مصطفى بجا

سلسلة نافذة على المعرفة (٨)

لعنة الخليج

"لقد أسهمت أمم أخرى بشكل مثير للإعجاب في "عاصفة الصحراء" ولكن قيادة أميركا وإسهامها كانا هما العنصر الحاسم... واليوم وكما كان في الماضي فإن أميركا وحدها القادرة على قيادة العالم".

دان كويل

نائب الرئيس الاميركي جورج بوش

١٥ - ٣ - ١٩٩١

١٩٩١

13401

مصطفى بحا

سلسلة نافذة على المعرفة (٨)

لعنة الخليج

" لقد أسهمت أمم أخرى بشكل مثير للإعجاب في " عاصفة الصحراء " ولكن قيادة أميركا واسهامها كانا هما العنصر الحاسم ... واليوم وكما كان في الماضي فإنّ أميركا وحدها القادرة على قيادة العالم ".

دان كويل

نائب الرئيس الاميركي جورج بوش

١٥ - ٣ - ١٩٩١

١٩٩١

حُقوق الطَبْع مَحفوظَة للمؤلف

١٩٩١

يطلب من المؤلف: ضبيه - هاتف: ٠١/٤٠٤٩٠٤

المحتوى

الصفحة

الاهداء ٧
المقدمة ٩

القسم الأول

احذروا القمم والنكبات ٢٧
● قمة مالطة: لا للحرب الباردة ٢٩
● رومانيا تخلع زعيمها الفولاذي ٣٦
● قمة بغداد: الظاهر والباطن ٤٠
● قمة واشنطن: السلام أو الطوفان ٥٢
● محنة «البيريسترويكا» ٦١
● قمة هلسنكي: تكامل امبراطورية؟ ٨٣

القسم الثاني

من العاصفة إلى العاصفة ٩٥
● أي كويت؟ أي صيف؟ ٩٧
● دولة وأمير ـ ان الحرب تقتل البقرة الحلوب ١٠٤

الصفحة

● الخطاب السياسي العراقي المأزوم ١٢٣
● دعوني أقبّل عقال الأمير
(مهداة إلى أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد
الصباح في محنته) ١٤٩
● أرضُ العرب فطائر وشرائح
(مهداة إلى رئيس تحرير مجلة «العربي» الكويتية
الدكتور محمد الرميحي، في مرور ثلاثة وثلاثين
عاماً على تأسيس المجلة) ١٦٦
● لعنة الخليج: «بقعة الزيت» تغمر الأرض
(مهداة إلى الملك حسين بن طلال في عامه
الخامس والخمسين) ١٨٤

القسم الثالث

«القيصر» آتٍ ٢٠١
● المأساة تجرّها خيول بلا حوافر
(مهداة إلى الشعراء: محمد مهدي الجواهري وبدر
شاكر السيّاب وبلند الحيدري وعبد الوهاب
البياتي ومظفّر النواب ولميعة عمارة) ٢٠٣
● يا يوسيفوس التاريخ والنكبات ٢٢٥
● من أورشليم إلى بغداد: «القيصر» يقرع
أبواب المشرق ٢٤٨

الصفحة

● بداية التاريخ ونهايته
(مهداة إلى العلامة السعودي الكبير
حمد الجاسر) ٢٧٣
● «أم المعارك»
(إلى الجيل العربي القادم) ٣٠٨

القسم الرابع

نصوص ووثائق ٣٥٣

الإهـداء

إلى الكويتيين، أميراً وشعباً وجيشاً وحكومة ونواباً وديبلوماسيين وإعلاميين واقتصاديين وحقوقيين وأطباء ومثقفين ومقاومين وغيرهم ممن اشتروا وطنهم الكويت: زهرة الصحراء ولؤلؤتها، بدمهم ومالهم.

إليهم جميعاً، أينما كانوا وحلوا، أهدي «لعنة الخليج»، راجياً أن يكون الغزو العراقي للكويت آخر مآسيهم وأحزانهم.

المؤلف

المقـدّمـة

عشيّة الغزو العراقي للكويت وجدتُني أقفُ في الصفّ الكويتي، ولكن كمن يقف مع نفسه ضد نفسه، ذلك أن العراق والكويت شقيقان عربيّان أريد لكليهما دوام السلامة والسيادة والعزّة والاستقرار، وأكرهُ أنْ يطمعَ أحدُهما في الآخر أو يكيدَ له أو ينقضَ عهدَه أو يتآمر عليه، أياً كانت الأسباب والظروف وسواها. ولطالما راودني الخوف على العربي من العربي، مثلما على الضعيف من القوي، وعلى الصغير من الكبير، وعلى المُنْعَم من الحاسد، وعلى ذي الصحة من المجذوم، وعلى الجميل من الدميم، وعلى الطيّب من الخبيث، وعلى الكريم من اللئيم، وعلى العالِم من الجاهل.

نعم، لقد رفضتُ المحايدة والمواربة ووقفتُ ثابتاً غير متردد في الصف الكويتي، لدرء هذا الاعتداء الظالم الغاشم الذي لم يُصب الكويتيين فحسب، بل العراقيين والعرب

كافة، وتراءى لي أن نكبةً جديدة لم نعرف لها مثيلاً في التاريخ العربي الحديث على الأقل، ستضرب العرب في صميمهم وتؤخرهم عن الركب الحضاري عقوداً وعقوداً، حين يعانون التفكك والتفسّخ وانعدام الرؤية الموحّدة المشتركة والانصياع شبه الكلي للطامعين في مرافئهم ومرافقهم وأموالهم، من أصحاب الجيوش الجرّارة والأعتدة الجبّارة والتكنولوجيا التغييرية الآخذة في التطوّر الهائل السريع الرامي، على ما يبدو، إلى تقزيم الإنسان وتدميره، لا إلى سعادته وهناءته كما يزعمون.

لن أذيع سراً إنْ أنا قلت بأن غزو الكويت زاد في خوفي وقلقي على لبنان وأمثاله من الأوطان الصغيرة(١)، التي من شأنها، كلما شعرتْ بخطرٍ مصدره الجار أو الشقيق أو الاثنان معاً، أن تبحث عن بعيد يحميها ويضمن لها الأمن والسلام، دونما النظر منها إلى الثمن الباهظ الذي لابدّ وأن يفرضه هذا الحامي، ولا إلى شروطه ومتطلباته مهما قست، ولسانها: «حسْبُكَ من القلادة ما أحاط بالعنق» وهو مثلٌ يُضرب في وجوب الاكتفاء من الشيء بما تتمُّ به الحاجة(٢).

(١) انظر كتابنا «عقائد ورجال» طبعة ١٩٩٠، ص ٥٥٩ ص ٥٦٦.

(٢) تمثال الأمثال، لأبي المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبي (المتوفى =

مما لا شك فيه ان الزحف الصدّامي المدجّج إلى الكويت أثار، في غير عاصمة ومدينة، الغرائز القومية والمذهبية والطبقية، حتى انّ فئات عديدة، عربية واسلامية، هتفت باسم الرئيس العراقي ودَعت إلى تأييده ودعمه، بل إلى «الجهاد» معه، وبثّ الرعبَ والارهاب، إذْ حسبتْه «نبياً» عربياً جديداً، بُعث ليجمع الشملَ العربي والإسلامي، وينشر العدالة الالهية في الأرض، ويوزّع الثروات على الناس بالتساوي، ويُعيد القدس الى العرب والمسلمين، بعد أن يكون قد دمّر الدولة العبريّةَ ومزّق اليهود وشرّدهم وسباهم وأجبرهم على شتات كالذي أجبرهم عليه نبوخذ نصر البابلي عام ٥٨٦ ق.م. أو تيطس الروماني عام ٧٠ م. وإن شاء فليعاملْهم بمثل ما عاملهم النبي محمد وخليفته عمر بن الخطاب(٣). ولكن آمال هؤلاء وأحلامهم، المستندة الى وعود صدّامية لا طائل منها، ما لبثت أن تبدّدت وضاعت، فيما صار «النبي» الواحد «شمشون» العراق وكل الخليج.

= سنة ٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م) حققه وقدّم له: الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة ـ بيروت، طبعة أولى ١٤٠٢ هـ/١٩٨٩ م. الجزء الثاني ص ٥٩٥.

(٣) يذكر ابن هشام في سيرته: «كان الرسول يبعث عبد الله ابن رواحة =

وبعد مائة ساعة بالتحديد، على بدء الهجوم البري، وستة أسابيع على بدء عملية «عاصفة الصحراء»، قال «قيصر» العصر، الرئيس الأميركي جورج بوش، في كلمة إلى الشعب الأميركي، انه «تمّ تحريرُ الكويت وهزم الجيش العراقي، وتحققت أهدافنا العسكرية وأصبحت الكويت مرة أخرى في أيدي الكويتيين الذين يسيطرون على مقدراتهم.. أننا نشاطرهم بهجتهم»[4].

= الى خيبر فيقسم ثمارها ويعدل عليهم في الخرص فلما توفى الله نبيه أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها الرسول حتى توفى ثم أقرها عمر صدراً من امارته ثم بلغ عمران رسول الله قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت فأرسل إلى اليهود فقال ان الله عز وجل قد أذن في جلائكم فقد بلغني أن رسول الله قال لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود فليأتني به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهّز للجلاء فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله منهم».

(ابن هشام ج ٢ ص ١٩٧) وانظر «تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام» للدكتور اسرائيل ولفنسون (أبو ذئيب)، طبعة مصر ١٣٤٥ هـ/١٩٢٧ م. ص ١٧٥ ـ ١٨٦.

(٤) صحف ١/٣/١٩٩١.

وقال وزير الدفاع الأميركي ريتشارد تشيني:

«ان الألوف والألوف من العراقيين قُتلوا في حرب الخليج إلا أن العدد المحدّد قد لا يُعرف على الإطلاق»[5].

وسبق لقائد القوات الأميركية في الخليج الفريق نورمان شوارسكوف أن قال، في مؤتمر صحافي عقده في الرياض يوم الاربعاء ٢٧/٢/١٩٩١: ان «القوات المتحالفة دمّرت أو استولت على ٣٠٠٨ دبابات عراقية وقطعت كل طرق الانسحاب أمام الجيش العراقي». أضاف: لقد «أُغلقت كل البوابات.. لا توجد أي طرق مفتوحة».

وقال شوارسكوف أيضاً: ان «عدداً كبيراً جداً من العراقيين قد قُتلوا وان نسبة الهاربين من الخدمة من العراقيين قد وصلت إلى ٣٠ في المائة في بعض المواقع».

ثم قال: «في احدى المراحل كانت القوات الأميركية المحمولة جواً على مسافة ٢٤٠ كيلومتراً من بغداد ولم يكن هناك ما يحول دون وصولها إلى العاصمة العراقية». واكد: «لم يكن هناك أي قوات بيننا وبين بغداد»[6].

(٥) صحف ٢/٣/١٩٩١.

(٦) صحف ٢٨/٢/١٩٩١.

لقد زحف، إذن، الرئيس صدّام حسين برجاله وعتاده إلى الكويت، زهرة الصحراء ولؤلؤتها، فازدادت «دليلة» - اسرائيل قوة وغطرسة، والعرب شحّ مالهم ويبسَ نباتُهم وعصبُهم وأصبحوا تحت رحمة «القيصر» الجديد، كذلك المسلمون، السلفيون منهم والاماميون، وسمعنا «جالوت» - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، يعلن في تونس: «أوافق على الحوار مع الاسرائيليين تحت علم الأمم المتحدة، ولا أطلب أن يوافق الاسرائيليون على فكرة دولة فلسطينية للبدء بالنقاش معهم»[٧]، وقيل: «لقد خدم الرئيس صدام حسين اسرائيل كما لم يخدمها أحد»، وقيل أيضاً: ان «الرئيس صدام حسين خدَمَ «دليلة» و «القيصر» وجميع ملوك السلاح وسماسرته كما لم يخدمهم أحد من قبل».

أين العرب وجامعتهم ومالُهم ونفطُهم؟

أين المسلمون و «جهادهم» وقدسُهم؟

لقد اغتال صدّام هؤلاء وهؤلاء، وجلس يتأمل في «القيصر» و «دليلة» كيف ينسجان خيمة للسلام الآتي.

أين «العدالة الالهية» التي بها وعد الرئيس صدّام أنصاره

---

(٧) صحف ١٨/٣/١٩٩١.

ومريديه والمعجبين به؟

دخل «الشمشونيون» (الصدّاميون) إلى الكويت، فنهبوا ودمّروا وقتلوا واغتصبوا ما شاء لهم أن ينهبوا ويدمّروا ويقتلوا ويغتصبوا، وأضرموا النار في حقول النفط الكويتي، فلوّثوا وسمّموا البحر والأرض والسماء، فكأنهم أعداء الانسان والحيوان والطير والنبات، وإذ اشترى الكويتيون بلادهم بالدم والمال، انكفأ «شمشون»، ببقية من حرسه ودباباته وطائراته، إلى الداخل، ليجهز على اولئك الذين صبروا الاعوام الطوال على مظالمه ومغامراته وأوهامه وخيالاته وادعاءاته وتناقضاته. وها هوذا اليوم يدكّ مدن الجنوب والشمال العراقيين على سكانها، ويملأ الساحات والشوارع والازقة بالجثث والاشلاء، منتشياً بالماضي القريب، ناقماً على حاضر الأكراد والفراتيين.

ماذا يريد «شمشون»؟

إن أحداً لم يعرف يقينياً ما في خاطر هذا الزعيم المهوّس المغرور. ولعلّ «شمشون» نفسه لا يعرف ما في نفسه.

ولكن الواضح أن التكريتي أعماهُ الاعلام الاسرائيلي والأميركي، حين تكثّف الحديث، في تل أبيب وواشنطن، عن القدرات البشرية والمادية خصوصاً الاسلحة الكيميائية

والبيولوجية والنووية التي يملكها صاحب العراق مثلما زعموا. ولما رأى هذا الدعيّ الاسرائيليين يتكلفون التدريب على استعمال الواقيات والنزول إلى الملاجيء والغرف المعزولة تحسباً لهجوم صدامي عليهم، أصابه مسٌّ من الجنون، جنون العظمة، وحسب نفسه «نبوخذ نصر» القرن العشرين، فانتفخ عقله وقلبه، وسلخ عن الواقع ذاته، وهزىء بما وردَ عليه من رسائل وبرقيات ونداءات، ضمّنها أصحابها النصائح والتمنيات والتحذيرات الصادقة المخلصة الرؤيوية، طالبين منه الانسحاب من الكويت وتعطيل فتيل الحرب، فلا استرشد لأمر أي من اخوانه الملوك والرؤساء العرب، ولا قبل الموعظة من صديق أو حليف شرقي أو غربي.

ولسوف يذكر التاريخ العربي، بمرارة وتأسف، تلك الرسالة القوميّة الفريدة التي وجهها إليه الرئيس السوري حافظ الأسد، قبل ساعات على إنتهاء المهلة التي حدّدها مجلس الأمن لانسحاب عراقي غير مشروط من الكويت، وفيها:

«السيد الرئيس صدّام حسين رئيس الجمهورية العراقية بمشاعر أخوية صافية وأحاسيس قومية صادقة ومن منطلق ادراك الأخطار المحدقة بالوطن العربي عامة وبالعراق

الشقيق خاصة، أتوجه إليكم بهذه الرسالة عبر الأثير حرصاً على أن نجنّب الأمة والعراق ما لا تُحمد عقباه، وكلي أمل في أن تلقى رسالتي منكم التفهم لحقيقة دوافعي والاستجابة التي أتوخاها».

أضاف الرئيس الأسد:

«إن حرصنا على العراق بأرضه وشعبه وجيشه كحرصنا على أنفسنا لأن العراق جزء عزيز غالٍ من أرض العرب وأمّة العرب.

«ان المستفيد من الوضع في هذه اللحظات هو اسرائيل التي تحتلّ أراضي عربية وتخطط وتعمل للتوسّع المستمر في أرض العرب وتستفيد من الوضع الدولي الحالي والتناقض العربي، في حين أن العرب مجتمعين ومنفردين وفي مقدمهم العراق هم الخاسرون، ولا أرى أن لأحد من العرب مصلحة في ما يحدث الآن ولا أن للعراق مصلحة فيه».

وقال:

«إن المصلحة الأساسية للأمة العربية وخصوصاً في هذه المرحلة التاريخية هي في التماسك والتضامن الحقيقي وأن يوفر كل بلد عربي الطمأنينة للبلد العربي الآخر، حتى ولو كانت

بينهما خلافات في موضوع أو أكثر من الموضوعات العربية. ولا أريد أن أصدّق أن الشعور عند العرب بوحدة المصير قد زال أو أن فداحة الخطر كفيلة بأن تعزز الشعور بوحدة المصير وكفيلة بأن تدفع إلى التضامن العربي وإلى حل الخلافات العربية بالحوار لا بالقسْر».

وقال الرئيس حافظ الأسد أيضاً:

«فليكن اذاً انسحاب العراق من الكويت المقدمة لجو جديد، تتلاشى فيه الأخطار الجدية ونقف فيه صفاً واحداً وقوة واحدة في وجه كل من يهدّد أرضنا ومصالحنا وكرامتنا ومصيرنا. وقد يقول قائل ان العراق سيكون مستهدَفاً لهجوم حتى لو خرج من الكويت. انني اريد أن اؤكد في هذا الشأن عهداً أخوياً لا شك فيه أنه لو حدث ذلك بعد الخروج من الكويت فان سوريا ستقف بكل امكاناتها المادية والمعنوية إلى جانب العراق في خندق واحد تقاتل معه بكل شدة وبأس إلى أن يتحقق النصر»[٨].

بيد أن صاحب العراق أجابه وردّ عليه بطريقة «شمشونية»

(٨) «النهار»: ١٩٩١/١/١٤. انظر الرسالة كاملة في القسم الرابع من هذا الكتاب ص ٤٨٨/٤٩٤. ويتلوها مقتطفات من السرد «الشمشوني» عليها.

«طاووسية» هوجاء حمقاء، قال: «إن (الكويت) المحافظة التاسعة عشرة هي ساحة منازلة كبرى للايمان والحق باسم الله وباسم الأمة وفلسطين ولبنان والجولان ضد الكفر والكافرين». أضاف: «إن جيش الايمان قادر على أن يحمي أرضه وعرضه وشرفه وشرف الأمة وهو المؤمن الذي لا يستطيع غيره أن ينازل جميع الكفار إلا عندما يؤمن بمثل ما آمن به».

وقال صاحب العراق أيضاً: «إن الفجوة بين الكفار والمؤمنين واسعة جداً حتى انها لم تترك مجالاً لمتفرج أو محايد».

ورأى هذا «الطاووس» التكريتي أنه إذا انضم الرئيس الأسد «إلى المؤمنين فسيرى خلفية القضايا كلها على نحو مختلف ويدرك أن من ينسحب من تحالف المؤمنين سينهار». ودعاه إلى الانضمام إلى هذا التحالف، ليذكر التاريخ «أنه انضم إلى طريق العراق متوكلاً على الله».

وأسف العراقي لعدم إرسال الرئيس الأسد موفداً له إلى بغداد قائلاً: «ما كنتُ أتصوّر أنكم (...) تتوهمون أننا نطلب ضماناً لجيشنا يحمينا من عدوان المعتدين»[٩].

(٩) المصدر نفسه.

واستمر «شمشون» يكابر ويتكبّر ويعتو ويتجبّر، حتى أُرغم وحكومته والبرلمان العراقي على إلغاء قرار «الوحدة الاندماجية مع الكويت» والامتثال على النحو الأوفى للقرار ٦٨٦ الصادر عن مجلس الأمن، الذي يحدّد للعراق شروط وقف دائم للنار ويبقي التكييف الممنوع للقوات المتحالفة باستخدام القوة(١٠). ولربما تمَّ في الوقت المنظور، بطريقة أو أخرى، عزْلُ «شمشون» عن منصبه، وحُلَّت ربقةُ العراقيين شعباً وجيشاً وانفرج عنهم هذا الغمُّ والكرْب.

وبعد اسبوعين على القرار المذكور طلب «الطاووسُ» الرئيسُ العراقي «المؤمن» من «القيصر» الرئيس الأميركي «الكافر» السماحَ للطائرات العراقية، التي لم تُدمّر ولم تُهرّب إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالتحليق داخل العراق من أجل ضرب المعارضة العراقية «فرُفِض طلبه»(١١) هذا، فظلت يده على الزناد بغية القضاء على الانتفاضة الشعبية والاستمرار في القبض على السلطة.

أين ذهب صاحب العراق «المؤمن» بالجيش الضحية؟

كيف تحوّلت «المنازلة الكبرى» أو «ام المعارك» من

(١٠) «النهار»: ١٩٩١/٣/٤.
(١١) «السفير»: ١٩٩١/٣/١٨.

الكويت إلى البصرة والعمارة والناصرية وكربلاء والنجف وكركوك والسليمانية وخانقين والموصل؟

إذا كان الحلفاء «كفاراً» والفُراتيون «كفاراً» والأكراد «كفاراً»، فما الايمان إذن ومن هم المؤمنون؟!

الواقع أن صاحب العراق، الذي نفخه وسمّنه الإعلام الإسرائيلي والأميركي، أشعلَ في أقل من سبعة أشهر سبع حروب مزيّفة هي:

- حرب «المؤمنين» على «الكفار».
- حرب الفتاوى.
- حرب «الفقراء» على «الأغنياء».
- حرب الشرق على الغرب.
- حرب العرب على العرب.
- حرب المسلمين على المسلمين.
- حرب العراق على العراق.

والنتيجة كما أسلفنا: حرائق وخرائب ومذابح وأهوال وهزائم وانكسارات وانقسامات، لن ينساها لا العراقيون ولا العرب ولا المسلمون ولو بعد سنين.

لقد قتَل مُشعِلُ هذه الحروب المزعومة جميع الرموز

والقيم العراقية القديمة والعربية والإسلامية، التي ادعى الاقتداء بها والعمل بوحيها وعلى هديها.

استحضر هذا الزعيم التكريتي المنفوخ المخدوع نبوخذ نصر والنبي محمد والفاروق عمر والإمام علي بن أبي طالب وولديه: الحسين والعباس وخالد بن الوليد وهارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وجمال عبد الناصر والإمام الخميني - رغم حربه الطويلة عليه وعلى إيران - وقتلهم ومثّل بهم أيما تمثيل.

صحيح أن الحروب التي ذكرْنا كانت - على زيفها ومكرها - خاطفة وقصيرة، ولكنها عميقة الأثر وغاية في الخطورة ولسوف تغطي مساحات من تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا لا تقاس تقديراً وتخميناً. ويمكننا القول انه منذ الآن وحتى أجل طويل غير محدّد، سيبقى الاقتصاد العربي، بمختلف قطاعاته، مرتهَناً للدولة العظمى الوحيدة، روما العصر، الولايات المتحدة الأميركية، ولمن ترضى عنها من حليفاتها. وأي نكبةٍ أشدُّ على الأمة من النكبة الاقتصادية، بل أي أمة ارتهن اقتصادها ولم ترتهن سياستها وثقافتها وكرامتها وحتى أخلاقها ومسالكها.

بين كل حرب وحرب كان يولد جزء من هذا الكتاب، وكان من المحتمل أن لا يتكامل لو أن صاحب العراق عاد

إلى الواقع وتخلى عن «شمشونيته» وأبعد عن بلاده ومنطقته هذه المحرقة الكارثة التي لا نظير لها. بل ان الكتاب تعاقبت أجزاؤه مثلما تعاقبت الحروب «الشمشونية» السبع، ثم اتصل بعضها ببعض، دونما تخطيط منا أو تصميم منهجي الا ما ندر، فارتأينا أن ندعوه «لعنة الخليج»، وارتأينا كذلك أن يكون الكتاب الثامن في «سلسلة نافذة على المعرفة» التي نرجو الاستمرار في إصدارها ونشرها.

على أن غزو الكويت سبقته أعمال قممية أساسية وهادفة، كان ينبغي لصاحب العراق أن يدرك أسبابها ومضامينها ووسائلها وأهدافها، هي: قمة مالطة وقمة بغداد - التي دعا هو نفسه إليها - وقمة واشنطن والمؤتمر الثامن والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي، الذي تبعته قمة هلسنكي ولما يمضي على الغزو العراقي للكويت سوى خمسة أسابيع فقط. ومن النكبات والأحداث نذكر، مثلاً لا حصراً، ذلك الانقلاب الدامي الذي أطاح الزعيم الروماني نيكولاي تشاوشيسكو وسبّب بالمذبحة الحقيقية التي شهدتها رومانيا.

هذه القمم الأساسية الهادفة، على قولنا، والنكبة الرومانية تابعناها، كلاًّ في حينها، ودرسنا خلفياتها وحلّلنا مقرراتها، يحدونا الأمل في أن يعتبر من يجب أن يعتبر من

رؤسائنا وقادتنا وبخاصة الرئيس العراقي، غير أن فنّ الإعلام الإسرائيلي والأميركي كان هو الأسبق والأفعل والأمضى، حين أطْمَعَ صاحبَنا التكريتي، فيما أطْمعَهُ، وهيَّجَهُ ورغَّبهُ في النزوع إلى الحرب والتوسّع، وقد اكثر من الثناء المخادع على أهمية العراق وقدرته الهجومية التدميرية والدفاعية، وصنّف الجيش العراقي على أنه رابع الجيوش العالمية الكبرى، فانطلتْ هذه الحيلة القاتلة على صاحب العراق، فذهب إلى الغزو مثلما ذهبت النعامة تطلب قرنين فجُدعت أذناها فعادت صلْماء جمّاء، وأنشد فيها الفَرّاء(١٢) ثلاثة أبيات هي:

«مثل النعامة كانت وهي سائمة
اذنَاء حتى زهاها الحينُ والجُبُنُ

جاءت لتشري قَرناً أو تعوّضه
والدهرُ فيه رباحُ البيْنِ والغُبنُ

(١٢) هو: يحيى أبو زكرياء الديلمي الفرّاء (نحو ٧٦١ - ٨٢٢): إمام لغويي الكوفة. تلميذ النحوي الكوفي أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ومؤدّب ابني المأمون. وُلد في الكوفة وتوفي وهو مسافر إلى مكة. له «الحدود» و«معاني القرآن».

فقيل اذناكِ ظلْماً ثُمّتَ اصطُلِمَتْ
إلى الصِّياحِ فلا قرنٌ ولا أذنُ»(١٣)

لا اعتقد أنني أجانب الحقيقة إذا ما قلت ان حرب الحلفاء على صاحب العراق هي في معظمها إعلامية نفسية، وان الجيش العراقي «الجيش المؤمن»، قد تم تدميره اعلامياً ونفسياً قبل تدميره عسكرياً وآلياً، وانني لعلى ثقة من أن الأيام المقبلة ستثبت بالبرهان القاطع صوابية هذا التقدير المبكر الشبيه بأول المطر الوسْمي الذي يَسِمُ الأرض بالنبات.

لقد استدعت تلك الأعمال القممية وتلك النكبة ـ المذبحة الكتابة الرؤيوية التحذيرية، التي بدونها ما كان لأجزاء «لعنة الخليج» أن يتصل بعضها ببعض، والأمر جعلنا نقسّم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام هي على التوالي:

القسم الأول: إحذروا القمم والنكبات.

القسم الثاني: من العاصفة إلى العاصفة، أي من الغزو العراقي للكويت إلى «عاصفة الصحراء».

القسم الثالث: «القيصر» آتٍ.

القسم الرابع: نصوص ووثائق، يتضمن آراء وأقوالاً وتعليقات صرّح بها ـ خلال الفترة الممتدة بين الغزو والهزيمة ـ ملوك ورؤساء

(١٣) تمثال الأمثال. الجزء الثاني ص ٥٠٩.

وقياديون وسياسيون وديبلوماسيون ومحللون شرقيون وغربيون، لابد وأن تساعد، بواقعيتها، على تبسيط الكتابة الاستقرائية الاستنباطية التى اعتمدنا في «لعنة الخليج» لاسيما في قسميه الثاني والثالث.

على أن هذا التنوع المنهجي في كتاب موضوعه واحد، ليس نسفاً للأصول والقواعد كما قد يَحْسَبُ البعض، بل رفض انساني شديد لمنهجية جميع القتَلَة والمدمّرين والمخرّبين والمعتدين الذين لا يحترمون حقاً ولا يرعون كرامة ولا يصونون شرفاً ولا يميزون بين حق وباطل إلا حسبما تقتضي مصالحهم وأهواؤهم وشهواتهم.

وإذ نحرص على تاريخية كل جزء من «لعنة الخليج» وتاريخية نشره في جريدة «النهار» اللبنانية الغراء، فلكي نؤكد على صدقيتنا وحبنا للكويت والعراق وكل الخليج من جهة، وعلى شكرنا وتقديرنا للجريدة الرائدة «النهار» من جهة.

أما أصدقائي القرّاء فإليهم أجدّد العهد بالوفاء، راجياً منهم أن يستمروا في منحي ثقتهم الغالية التي هي من أولى اهتماماتي وأهدافي.

ضبية ـ المتن الشمالي ٢٥ آذار ١٩٩١ مصطفى جحا

القسم الأول

احذروا القمم والنكبات

- ١ -

قمّة مالطة: لا للحرب الباردة *

ماذا يفعل، غداً، ملوك السلاح وامراء الحرب؟

مالطة[١] قالت كلمتها: «لا للحرب الباردة» وانطلقت

(*) كتبت في ١٩٨٩/١٢/٥ ونشرت في «النهار» ١٩٨٩/١٢/١٩.

(١) مالطة: مجموعة جزر مساحتها الكلية حوالي ٣١٥ كلم٢، ومجموع سكانها ٣٣٠،٠٠٠ نسمة، في البحر الأبيض المتوسط، بين صقلية وليبيا. خضعت للفينيقيين واليونان والقرطاجيين والرومان والعرب، وفي ١٥٣٠ اعطيت للفرسان الاسبتارية (فرسان مار يوحنا) الذين حكموا حتى هزيمتهم أمام نابوليون في ١٧٩٨. ضُمت لبريطانيا ١٨١٤، وأصبحت ڤاليتا - العاصمة القاعدة البحرية والعسكرية الرئيسية لبريطانيا في البحر المتوسط. وبمقتضى دستور ١٩٤٧ منحت مالطة حكماً ذاتياً محدوداً. وتعتبر أحواض السفن التابعة للبحرية البريطانية أهم مصدر عمل للسكان. وجدت في مالطة آثار مهمة من العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الحديث، والعصر البرونزي. نالت استقلالها في ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤.

تبشر بـ «الواقعية» شرقاً وغرباً.

واشنطن وموسكو «المالطيتان»[1] قرأتا التاريخ، تحت رحمة عاصفة لم تشهد الجزيرة السعيدة والعريقة مثلها في عقد أو أكثر. وانه ليبدو أن الجبارين تذكرا، في تلك العشية الصعبة، القديس مار يوحنا وحضوره في الجبهات والمستشفيات وسائر الميادين السياسية.

لقد حمدتُ الله كثيراً كثيراً. وشكرتُ الله كثيراً كثيراً. ذلك أنه لولا الرياح التي جنّت، والسماء التي كادت أن تطبق على البحر، لما عرف الجباران، ربما، أن الاستمرار في الحرب كالاقامة بحذاء بركان صامت ليس لانفجاره وقت معلوم.

ملفاتُ العالم كله شُحنت إلى مالطة. وقضايا العالم كله الى «غرفة العمليات»، داخل السفينة «مكسيم غوركي» منقذة القمة الأميركية ـ السوفياتية من الغرق وما قد يتبعه من شكوك وأوهام ومآس وويلات.

(١) إشارة إلى القمة الأميركية ـ السوفياتية، التي عقدها الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشيوف، في مالطة يومي ٢ و٣/١٢/١٩٨٩، على متن السفينة: «مكسيم غوركي» في جو عاصف وممطر، مما اضطر الجانبان إلى تغيير برنامج القمة الذي أعدا له شهراً ونصف الشهر.

في ختام هذا اللقاء ـ التحدي، وفي حضرة شفيع العسكر مار يوحنا العظيم، قال الرئيس الأميركي جورج بوش: «اكتسبنا معرفة أعمق بعضنا بآراء البعض، وهيأنا الظروف الملائمة لتحقيق تقدم في عدد كبير من المسائل».

وقال الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشيوف: «لقد تميز لقاؤنا بالانفتاح والشمولية في تبادل الآراء في عدد كبير من المسائل».

آنذاك، كانت حافلات الرئيسة الفيليبينية كوراسون أكينو تسحق، وعلى الطريقة الصينية، المحاولة السادسة لاطاحة نظامها الديموقراطي. وكان رئيس الوزراء الهندي الجديد فيشوانات براتاب سينغ يكتب، بالحبر الأزرق الباهت، نهاية حكم عائلة غاندي قائدة تحرير الهند عام ١٩٤٧ من الأجانب بالمقاومة السلمية.

وحدث في المانيا الشرقية ما لا يُصدَّق: لقد ألغى مجلس الشعب الألماني الشرقي الدور القيادي للشيوعيين، وتسلمت البلاد لجنة من الاصلاحيين لايبدو أنها ستنهض سريعاً بتعهداتها.

وتم في جمهورية سان سالفادور، في أميركا الوسطى، بين الأطلسي وغواتيمالا وهوندوراس، الاعلان عن أن المعارك بين

الجيش السالفادوري وثوار جبهة «فارابوندو مارتي للتحرير الوطني» أوقعت ٢٣١٠ قتلى و٢٥٢٤ جريحاً بين المقاتلين، المقاتلين فقط، منذ بدء الهجوم في ١١ تشرين الثاني المنصرم. لم توضح الحصيلة التي نشرها الجيش عدد الضحايا المدنية في المعارك، بيد أن نحو ١٥٠٠ مدني قُتلوا أو جُرحوا قبل أن يمضي اسبوعان على القتال الضاري الموصوف بـ«الثورة».

ويصعب التوفيق بين الثابت والمتحول، والقديم والجديد، في كل من رومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولونيا وسائر البلدان الشيوعية. فكأن ما خطه الجيش الأحمر «المؤدلج» بالدم، هنا وهناك وهنالك، «ربيع رجعي» لاينفي «الحصاد»، ولو قتل جميع العصافير، وجميع الحمام الزاجل والسمائي.

أين يوجد السلام؟

بل أين لا تبحث الحرب الباردة عن الوقود والنبيذ والكستناء والزبيب والعسل؟

في كابول، الثورة تأكل أبناءها، والجمهورية ما زالت تسلخ عن الوجه الأفغاني المخملي الداكن شَعر التاريخ بمسحوق ماركسي ـ لينيني غير شديد الحمرة.

ونتابع جولتنا على الشرق، مهد الأديان والعجائب

والمفاجآت وكل شيء للبيع أو التأجير أو الاستثمار أو الاعارة أو الهدْم أو الحرق. ولن ننسى خرائط المعابر والثغور وطرق القوافل التي كانت تقل البخور والتوابل والذهب والحرير والرقيق.

ومن أسف أن التاريخ ما لبث يجْترّ الأحداث، كل الأحداث، الكبيرة والصغيرة، ويلمِّع سيوف الأبطال وأحذيتهم، ويرتق أو يرقع ما تفتق من ثياب العزة والكرامة والسيادة، مؤكداً أن البطولة مثلها مثل الجوهر الموجود القائم بنفسه في كل زمان ومكان؟

من أين نبدأ؟

أمِن اسرائيل (فلسطين) والانتفاضة بالحجارة، والرد عليها بأقرب الوسائل؟ أم من لبنان حيث لم يبق سر الّا وانكشف بجميع مساوئه وحسناته؟ أم من الخليج الباحث عن هوية تستطيع خرق جميع المخافر والحواجز المسلحة؟

ماذا لو تقدمنا قليلاً نحو اليمن وأثيوبيا والسودان ومصر وليبيا والمغرب العربي؟

صحيح أن المسائل كثيرة، وكثيرة جداً. ولكنها متشابهة متماثلة، وتكاد أن تكون مسألة واحدة، واحدة فقط: الصراع على السلطة.

ومما لا شك فيه أن القابض على السلطة مظلوم، والساعي

إليها مظلوم كذلك. كلاهما مثل تفاحة نيوتن التي لابد عائدة إلى الأرض مهما علت وحلّقت.

وكما في كل آسيا كذلك في كل أفريقيا وسائر الأرض.

أين الحرية؟

أين الحق؟

أين السلام؟

لا شيء تغير حتى الآن.

كان الحق للقوي. وكانت الحرية للقوي.

كانت السيادة للقوي. وكانت العزة للقوي.

وكانت الكلمة الأخيرة، بل الأولى، بل الوحيدة، للقوي، للقوي فحسب.

ليس الجديد أن يصبح القوي ضعيفاً، والضعيف قوياً. وإنما الجديد أن نقلب هذا المنطق، ولو مرة واحدة، فنجعل الضعفاء أيضاً أحراراً وأسياداً وأعزاء ومحقين، دون أن يقطعوا رؤوس الأقوياء أو يأخذوا مكانهم.

في الغرب، وغرب الغرب، يتهامس الألمان الشرقيون والغربيون، فترتعد كل أوروبا، من غربها، من أقصى غربها، إلى شرقها، إلى أقصى شرقها، خوفاً من «المانيا الموحدة»، بل من برلين الكبرى، التي اعطي لها مجد بروسيا، الامبراطورية الخارجة العام ١٨٧١ من رحم معاهدة فرساي.

وفي جنوب الجنوب العربي، تراود اليمنيين الوحدة، بل العودة عن التقسيم، فيهتز العرب الأقربون والأبعدون، إذ لا يمكنهم أن يروا إلى اليمن وقد صارت دولة واحدة سعيدة، بصنعائها وعدنها، بسبأها ومعينها، بقطبانها وحضرموتها، بجبالها وسهولها، بسدّها وصحرائها.

مالطة، مالطة، ماذا تقولين؟

أصحيح أن ما قسّمه التاريخ لا يوحده الحاضر؟

إذا استعدنا هذا المنطق الجديد العنيد، وطبقناه على إسرائيل ولبنان وأفغانستان والهند والباكستان والجمهوريات السوفياتية، أفلا يعني أن ما وحّده التاريخ لا يقسّمه الحاضر؟

كرة النار تتدحرج من الشرق إلى الغرب، والعكس. وفي مالطة اتفقت واشنطن وموسكو على تسويق نظريتها المشتركة القائلة «ان التاريخ يملي علينا القدر والوسيلة»... ومن طلب الأمن والاستقرار ينبغي له أن لا يناطح التاريخ، ولو كان قرناه من الحديد الصلب.

منطق جديد عنيد يطوي عصراً أعطى لينين وهتلر وتشرشل وديغول وروزفلت ونهرو وماوتسي تونغ وتيتو وعبد الناصر والفيصل والخميني، ليبدأ بعصر لا ارهاصات فيه ولا نبوءات ولا أعاجيب.

- ٢ -

رومانيا تخلع زعيمها الفولاذي*

وقبل نهاية العقد التاسع من القرن بأيام، نزلت رومانيا إلى الشارع لتخلع زعيمها الفولاذي العنيد: نيكولاي تشاوشيسكو والأسرة الحاكمة، وتنشر غسيلها على حبال الاشتراكية الديموقراطية التي نصبها الاصلاحي الكبير، ميخائيل غورباتشيوف، منذ خلف - في آذار ١٩٨٥ - قسطنطين تشيرنينكو.

لقد رأى غورباتشيوف، القبضة الشرقية القوية، عبر التلفزيون، رومانيا تقف فوق الجثث وعلى وجهها علامات النصر، فصفّق لها طويلاً، ودعا إلى مساندتها فوراً وبشتى الوسائل والامكانات.

من يقتل من في رومانيا؟

الجيش الروماني قال: لا للتغيير، فكانت المذبحة

(*) كتبت في ٢٥/١٢/١٩٨٩ ونشرت في «النهار» ٤/١/١٩٩٠.

الحقيقية. ثم قال: لا لتشاوشيسكو، الدكتاتور تشاوشيسكو، فكانت الصاعقة التي احرقت النظام وسيده والحاشية.

الرجال في رومانيا يلاحقون الرجال، وحقول القمح تَعِدُ بموسم نسيه الرومانيون أو كادوا.

القمح والحرية في رومانيا هدفان متلازمان لا يجوز التهاون بهما. ذلك أن الحرية تزرع القمح الروماني، والقمح يغذي العقول والزنود والسواعد الرومانية.

صحيح أن شرارة الديموقراطية، كما يصفها الاكثرون، اندلعت من تيميشوارا في اقليم بانات (تمشقاد سابقاً) الغربي، ولكن بوخارست، العاصمة، كانت أقدر على الحسم واسرع إلى الريادة والهدوء.

على لسان تيميشوارا طعْمُ الظلم المجري القديم المولود عام ١٠١٠ م، والظلم التركي الذي حل محله عام ١٥٥٢ م، عندما دخلتها عساكر السلطان العثماني العاشر: سليمان الأول، الذي لقّبه الاتراك بالقانوني والافرنج بالعظيم.

وعلى لسان بوخارست طعم العزة التي تحققت لها على أيدي الامراء الولاخيين مذ توطنوها في القرن الرابع عشر حتى نهايات القرن التاسع عشر، وقد جعلوها عاصمة لهم،

فاعطوها ما استطاعوا من الجهد والحب والاخلاص. بيد أن الالمان حاولوا في الحربين العالميتين، الأولى والثانية، ازالتها عن الخريطة، لتدخلها القوات الروسية الستالينية في اليوم الأخير من آب ١٩٤٤، حتى يصار إلى تأليف حكومة شيوعية اكرهت، فيما بعد، الملك ميشال ابن الملك كارول الثاني على النزول عن العرش، واعدة بعدم الرجوع إلى الدكتاتورية والنظام القمْعي، ولكن الوعد خاب، خاب ولم ينجح.

روسيا الغورباتشيوفية تطلق لأميركا البوشية يدها في بناما، لتأخذ الشيوعية الحديثة، الداعية إلى الاشتراكية الديموقراطية، راحتها في رومانيا، وعلى قول المثل: كما تراني يا جميل أراك.

بيريسترويكا في الشرق، وبيريسترويكا في الغرب. على أن ما لروسيا لروسيا، وما لأميركا لأميركا.

من الجنرال مانويل انطونيو نورييغا إلى الجنرال نيكولاي تشاوشيسكو، ومنهما إلى الشاه محمد رضا بهلوي، إلى الرئيس أنور السادات، وإلى كل جنرال وشاه ورئيس، رسالة واحدة، واحدة فقط، بنصها وجوهرها: اليد التي لا تستطيع عضها قبّلْها وادعُ لها بالكسر.

ومهما يكن، فإن المنطق الذي اكدته مالطة في الأمس

القريب، هو المنطق الأميركي ـ الروسي، السامي الاحترام. أما التغيير، أما الديموقراطية، أما العدالة، فأمور مرهونة بأوقاتها. ولْيفعلْ الجنرالات وسواهم من حكام الغرب والشرق ما شاء لهم أن يفعلوا، فلن ينجح إلا الذين يحفظون دروسهم جيداً، ويتقنون طأطأة الرؤوس ومسح الجوخ والدعاء إما لأميركا وإما لروسيا، أو للامبراطوريتين معاً. ولربما نفعت السكونية أو اللاحركة أصحاب القلوب المعذبة والعقول الحارة. هكذا قالت بناما نورييغا، وهكذا قالت رومانيا تشاوشيسكو. وهكذا ستقول، غداً وبعد غد، غير بناما وغير رومانيا، والرحمة للذين من الاشارة يفهمون.

ـ ٣ ـ

قمة بغداد: الظاهر والباطن*

وفيما كان ستة عشر ملكاً ورئيساً وأميراً عربياً يعقدون، في بغداد، لقاءاً طارئاً أو استثنائياً (٢٨ ـ ٣٠/٥/١٩٩٠)، برزت ثلاث مقولات ظاهرها تصادمي عنفي، وباطنها توافقي انتقائي، وليس لمثلنا سوى أن يتلمس أنفه وإن كان أجدع. ذلك أن رائحة كل من هذه المقولات الثلاث معقّدة غامضة ولكنها مزعجة مقلقة بدون ريب.

ـ المقولة الأولى بغدادية صدّامية، أن العراق سيستخدم «اسلحة الدمار الشامل» إذا ما هاجمت اسرائيل «دولة الترياق» أو أية دولة عربية.

ـ المقولة الثانية تل أبيبية وتحديداً شارونية ـ ليكودية، بيانها أن اسرائيل «جاهزة للدفاع عن نفسها إذا نفّذ العراق تهديدات ضدها».

(*) كتبت في ٢/٦/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ٢٢/٦/١٩٩٠.

ـ المقولة الثالثة بيت أبيضية إذا صحّ التعبير، أو واشنطونية كما يحلو للكثيرين أن يدعوها، والخاصة تصر على تسميتها بالأميركية فحسب، إجلالاً وتعظيماً للعم سام، وربما ترهيباً وترويضاً لكل من ليس أميركي الهوى والسياسة. هذه المقولة أن البغدادية الصدّامية «غير مسؤولة وملتهبة وفضائحية»، وترى أن «المنطقة (الشرق الأوسط) متفجرة ما فيها الكفاية، ويجب الاّ يهدد أحد باستخدام غازات القتال».

أما الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، الموجود في كل عاصمة ومدينة ما عدا القدس ودمشق، الداعي إلى قمة بغداد حسبما يعتقد بعضهم، فله مقولة أو شبه مقولة، فولكلورية تحريضية اخبارية ولا نقول مخابراتية: «ان اسرائيل تجري مناورات عسكرية في صحراء النقب استعداداً لعدوان على المنشآت العسكرية العراقية».

بغداد، إذن، تدق بالعربية ناقوس الخطر، حين تدقه تل أبيب بالعبرية، وعلى السامعين أن يسمعوا لا أن يفهموا، لأن السمع مسموح والفهم ممنوع، ويُعتبر كل من يخالف هذه «القاعدة الذهبية» مشاغباً قومياً ينبغي عزله ونبذه وتدميره.

ماذا تريد بغداد؟

ماذا تريد تل أبيب؟

لكي نعرف حاجة هذه وهذه، يجب أن نعرف حاجة واشنطن، وهذا أمر غير سهل المنال، ولعلّ أحداً لن يستطيع فهمه وادراكه حتى تعدّل واشنطن نفسها براغماتيتّها أو تتخلى عن دوغماتيتها، وتقارن بين مساعداتها لاسرائيل ومساعداتها لمجموعة الأقطار العربية التي تلقت أو تتلقى المساعدات.

وإذ نبحث، أو نحاول البحث، عن حقيقة ما يجول في خاطر زعماء بغداد وتل أبيب، تستوقفنا هذه العبارة العدائية المازوشية الجديدة ـ القديمة: «الدمار الشامل»، التي بها تنطق، هذه الأيام، بغداد وتل أبيب، ويرددها، تنغيماً وترنيماً، غير زعيم، وغير ديبلوماسي، وغير ايديولوجي، وغير إعلامي.

إن «الدمار الشامل» كلمتان منزوعة منهما الانسانية، الأولى مكروهة، والثانية مرفوضة، يتحكم فيهما جنون مطبق، بل انهيار عصبي وعقلي ونفسي يصعب ضبطه وكبحُ جماحه.

ماذا قبل «الدمار الشامل»؟
بل ماذا بعد «الدمار الشامل»؟

إذا صدّقنا ظاهر هذه «اللعبة»، فإن معاييرنا وأحكامنا تصبح شديدة التحيز وشديدة الانفعال. وإذا اكتشفنا باطنيتها استغنينا ـ ربما ـ عن المعايير والأحكام وما إليها، ليبقى الخوف

على ما نملك، والخوف على الأمور المستَحبَّة والمغرية مثل الأمن القومي، والأمن الديني، والأمن الوطني، وتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً.

ما حاجة بغداد أو تل أبيب أو العاصمتين إلى سياسة «الدمار الشامل»؟

لكي نتخطى الشكل أو الظاهر، يلزمنا أن نتعرى من أحمالنا وقيودنا وعلاقاتنا الموروثة والمكتسَبَة، أو عبثاً نبحث، وعبثاً نستبطن، وعبثاً نتفلسف ونستعلم ونتعالم.

الواضح، حتى الآن، أن بغداد، العائدة من «حرب الخليج» مجرّحة مهشّمة مديونة، يهمها، في ما يهمها، أن تبقي على مناخ الحرب، كيفما كان ومع أي كان، وإنْ هي تفضل الحرب الكلامية، وكما «انهاء الحرب ليس سهلاً مثل استعمالها»[1]، كذلك «التجارب التاريخية تبين ان اقتصاد الحرب لا يمكن أن يعود بسهولة إلى سيره الطبيعي بمجرد سكوت المدافع»[2]، والأمر خبرته بغداد فآثرت الحرب الوهمية أو المزعومة على السلام الصعب المتطلب.

(١) عصام الخفاجي (باحث عراقي في الشؤون الاقتصادية). مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٩٠. ص ١٨٤.

(٢) نفسه: ص ١٩٤.

والواضح أيضاً أن تل أبيب التي تحيا وتعيش على المساعدات الأميركية، وفاجأتها «ثورة الحجارة» من جهة، والحركات التغييرية في أوروبا الاشتراكية من جهة، لن تتردد - رغم الأجواء الرمادية هناك وهناك - في إخراج «ملف الهجرة اليهودية» النائم أو المؤجل، إلى الميدان العملاني، لاستكمال تنفيذه كأن يصبح عدد سكان اسرائيل (فلسطين) من اليهود، وقبل نهاية التسعينات، ما يقارب الخمسة ملايين، وعندئذ يكون «المشروع الصهيوني» قد تحقق بكامل عناصره ومقتضياته وتطلعاته. أما وإن ضاعت هذه «الفرصة» فان «الحلم اليهودي» الكبير - اسرائيل الكبرى - سيضيع معها ولو إلى حين، ولكن اعتقادنا بأن الظروف والعوامل المحيطة به ملائمة جداً، وهذا ما تدركه تل أبيب ويدركه بالمثل حلفاؤها الجدد والقدماء.

طبيعي أن يفرض هذا الواقع الاسرائيلي، الاكتئابي العدائي المحموم، قرع طبول الحرب، «الحرب الدفاعية» وليس الهجومية، مثلما يصفها الليكوديون، بغية تقليب الرأي العام العالمي على خصوم تل أبيب من العرب، وتحقيق هجرة يهودية آمنة ومنتظمة وسريعة. على أن المنطق الاسرائيلي، والأقل في هذا الشأن: «ان اسرائيل لا تهدد أحداً، لكن لا يمكن ردعها بأية تهديدات... اسرائيل تعرف وسوف تعرف كيف تدافع عن نفسها» على قول رئيس الوزراء الاسرائيلي

اسحاق شامير[٣]، غير موثوق، وغير صدقي، بل مجافٍ للحقيقة والواقع، فمنذ قيام الدولة العبرية حتى الآن لم نر أي ميل اسرائيلي رسمي إلى السلام بل إلى الاستسلام العربي وما يتبعه من خنوع وذل واستصغار وهيمنة واحتكار واستضعاف.

ما هو المشروع الذي لا يمكن لأية تهديدات أن تردع اسرائيل عنه؟

إنه الآتي:

١ - «ثورة الحجارة» أو «الانتفاضة» يجب قمعها إنْ سلماً وإنْ حرباً.

٢ - الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي «حق عبري - توراتي» لا يقبل التسامح به أو تسليمه لغير الأمناء على «تاريخية» الدولة العبرية وسلامتها ومستقبلها.

٣ - «أرض اسرائيل»، «أرض الله»، «أرض الميعاد»، حدودها «مقدّسة» لأنها ليست وضعية بل «الهية» لا تقبل النقض أو الجدال.

هذا المشروع المثلث الزوايا لا تنفّذه «حرب دفاعية» بل هجومية كاسحة، الا إذا تعهدته القوى العظمى بالتكافل والتضامن.

---

(٣) «النهار» ٣٠/٥/١٩٩٠.

لا شك أن العالم نفذ إلى مسمعه ما قاله رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق شامير، منذ حوالي خمسة أشهر، وكان يستقبل في احدى ضواحي تل أبيب مهاجرين جدداً: «إن عدد سكان اسرائيل من اليهود سيبلغ خمسة ملايين نسمة خلال عشر سنوات»[٤] بفضل هجرة اليهود السوفيات الكثيفة التي هي الآن (إلى اسرائيل) المشكلة الأهم والأكثر الحاحاً»[٥] ويقتضي مواجهتها.

ولئلا يحسب العالم أن شامير يعلن حرباً على العرب، تراجع عن تصريح له سابق فيه «ان هجرة كثيفة تستلزم اسرائيل كبرى»، قال: «ما قصدته هو أن على البلاد أن تكون قوية وموحّدة في شكل يحقق الصهيونية ويجسّد رؤيا الأنبياء»[٦].

ويرى شامير نفسه ان اسرائيل العقد الأخير من هذا القرن «ستكون اسرائيل مختلفة»[٧]، بحيث «سيصبح لدينا سكان يهود يبلغون كما آمل خمسة ملايين نسمة، وهذه الموجة من الهجرة ستغيّر الطابع الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعنا»[٨]، ومن المفيد التذكير بأن عدد اليهود في اسرائيل حالياً ٣،٧ ملايين شخص.

(٤) «الديار» ١٧/١/١٩٩٠.

(٥) (٦) (٧) (٨) نفسه.

من حق العرب أن يصرخوا ويستغيثوا ويحذروا من خطر هذا المشروع عليهم، فهل تفيد الديبلوماسية«القمميّة» ويسمع العالم باذنيه الاثنتين، أو أن ما كتب قد كتب؟

بعد توحيد اليمنين، والاتجاه السوري نحو الديموقراطية وربما نحو اقتصاد السوق، استصرخت بغداد، بغداد الحرب، العرب، ان امنها في خطر، بل ان الأمن العربي كله في خطر، ولما حاول بعض الملوك والرؤساء العرب التخفيف من «روعها»، أبى الرئيس عرفات إلّا أن يلغوا مواعيدهم جميعها ويأتوا إليها، على جناح السرعة، ليدعموا ردّها على تل أبيب، ويؤكدوا وقوفهم إلى جانبها، وكل بقدر ما يستطيع وبالاسلوب المناسب، بشرط توحيد السلاح العربي.

حينذاك تكثفت الاتصالات العربية ـ العربية، والعربية ـ الدولية، من أجل قمة لا تثير الغبار، ولا تحرج الولايات المتحدة الأميركية التي لا ترى في الهجرة اليهودية ما يراه العرب. والحقيقة أن الرئيس المصري حسني مبارك قام، بمهارة ودقة فائقتين، بالدور التقريبي بل التوفيقي بين العرب والعرب، وبين العرب والبيت الأبيض، إذ دعا إلى «الاعتدال في مخاطبة واشنطن»، واستعمال العقل والموضوعية بدل الانفعال والتسرع. وحرص، في خطابه البغدادي، على تلميع صورتين غير واضحتين وغير متماثلتين طبعاً: «الواقع

العربي» و«التوجه الأميركي الأوروبي الغربي»، فاعتبر الأول قوياً متماسكاً، يوحي «بالثقة والأمل»، ويبدد «الشعور باليأس والاحباط»، كما لفت إلى ضرورة الاعتداد بالذات العربية وبما لديها من امكانات بشرية ومادية، قال: «فلا نحن أمة محاصَرة تهددها الأخطار وتتجاذبها الأنواء والعواصف من كل جانب، ولا نحن قوم خارت قواهم وسقطت مناعتهم. بل اننا نملك من مقومات القوة ما أتاح لنا في الماضي أن نواجه أعتى التحديات، وما يضمن لنا أن نتصدّى لمثلها في المستقبل بما يحمي مسيرتنا ويصون حقوقنا»[٩]. وشبّه (الرئيس مبارك) التوجه الذي لدى القيادة الأميركية والرئيس جورج بوش شخصياً ومن اتصل بهم من زعماء الدول الأوروبية في شأن الهجرة اليهودية، بالتوجه الذي لدى القيادة السوفياتية «التي تدرك تماماً أبعاد هذه المشكلة وتستوعب آثارها ونتائجها (. . .) وتتفهم جيداً المطلب العربي المحدّد الذي لا يتعارض مع حقوق الانسان ولا يصدر عن تعصّب أو عنصرية»[١٠].

بيد أن الرئيس مبارك ما لبث أن استدرك، على الطريقة المصرية، الخطأ بالصواب، فقال: «يمكن أن نتوقع أن تسفر الأشهر القادمة عن مجموعة من الخطوات المحسوبة للحد من

(٩) «النهار»، «السفير» ٢٩/٥/١٩٩٠.
(١٠) نفسه.

الآثار السلبية لتلك الهجرة، ووقف ما تحدثه من أضرار بالأمن القومي العربي. وإذا لم تتحقق توقعاتنا وآمالنا في هذا الشأن لسبب أو لآخر فاننا لا نقف أمام هذا التحدي مسلوبي الارادة أو عاجزين عن الحركة بل ان المجال مفتوح أمامنا للحركة النشطة والخطوات المحسوبة بدقة وإحكام»[١١]. وبهذا يكون الرئيس المصري كشف عن الوجه الحقيقي للمقولات الثلاث التي أشرنا إليها في مطلع كلامنا. ولا أرى حاجة إلى القول إن الرئيس مبارك فكّك «اللعبة» ووزع أجزاءها شرقاً وغرباً، حين ظل العاهل الاردني الملك حسين وحيداً بين نار الداخل ونار الخارج، وأخشى ما أخشاه أن تكون المملكة الاردنية الهاشمية الضحية الكبرى الوحيدة بعد لبنان.

ماذا قالت بغداد، قمة بغداد؟

لقد قالت الكثير الكثير، وبلهجة لا باردة ولا حارة.

وتقديراً لحيوية الرئيس مبارك وسرعته في التحرك والتحريك، أقرّت بغداد عودة الجامعة العربية إلى مقرها الأساسي: القاهرة، فثبت قول الشاعر العربي: «ما الحنين إلاّ لأول منزل».

أما لبنان، الغائب، أو المغيّب، فتكلم باسمه ـ مشكوراً ـ

(١١) نفسه.

جلالة الملك السعودي فهد بن عبد العزيز، وبفضله جدّد المجتمعون دعمهم للجنة الثلاثية العربية التي ما انفكت تسعى مخلصة لانقاذنا لا من الآخرين فحسب، بل من أنفسنا، وقد تكبّرنا وتجبّرنا حتى دمَّر بعضنا بعضاً.

هل تتوقف الهجرة اليهودية فندخل في عصر السلام الشرق الأوسطي، وينزل العرب عن «برميل البارود» كما وصفه الملك حسين، ويشهدوا حفلة تعطيله على أيدي خبراء أميركيين؟

الجواب، سلباً أو إيجاباً، نعم أو لا، عند تل أبيب فحسب. أما العرب، أما الملوك والرؤساء العرب، فخوفهم من رياح التغيير التي قد تسبب خللاً أو بعض الخلل في «ركائز الاستقرار القائم» على قول الرئيس السوري حافظ الأسد في افتتاح المؤتمر العام العاشر للاتحاد الوطني لطلبة سوريا[١٢]، لا يوازيه خوفهم من اسرائيل والهجرة اليهودية.

لست أدري، ولا أحد يدري، ماذا تفعل بغداد، التي تقول انها تملك «أسلحة الدمار الشامل»، إذا ما انتقمت اسرائيل، في القريب العاجل، من جماهيرية العقيد القذافي المتهم بأنه من وراء العملية البحرية التي نفذها فلسطينيون في

(١٢) «النهار»، «السفير» ١٧/٥/١٩٩٠.

اليوم الأخير لقمة بغداد، ضد القوات الاسرائيلية جنوبي تل أبيب.

لندعْ العقيد القذافي يدبّر رأسه، وهو بهذا خبير، وأي خبير، فنسأل وللمرة الأخيرة: هل ينقذ العراق الملك حسين وعرشه إذا ما انقض عليه الأصوليون أو الاسرائيليون أو الفريقان معاً؟

على أن سؤالنا عن لبنان والمملكة الاردنية الهاشمية لا يلغي سؤالنا عن الكويت والمملكة العربية السعودية ودول الإمارات والجزائر والمغرب وتونس وسواها من الدول العربية التي تتنامى فيها الحركات الأصولية المتشدّدة والمتزمّتة.

من المؤكد أن اجتماع ستة عشر ملكاً ورئيساً وأميراً عربياً أمر بالغ الأهمية، والأهم أن يفعل هؤلاء وهؤلاء ما يقولون ويقولوا ما يفعلون، وليس قصدنا التحريض والتحدي أو الامتحان، بل التأكيد على العلاقة العضوية بين القول والعمل، وأرجو لمقرارات قمة بغداد أن لا تكون حبيسة الارادات الضعيفة أو التابعة أو المتخاذلة أو المتآمرة أو الناقمة أو جميع ما ذكرنا.

ـ ٤ ـ

قـمّة واشـنطن: السّلام أو الطّوفان*

بين قمة مالطة (١ ـ ٢/١٢/١٩٨٩) التي سبق الحديث عنها، وقمـة واشنـطن التي استغـرقت ـ إلى اليـوم الأخـير من الشهـر المنصرم ـ الأيام الثلاثة الأول من الجاري، كما بين العجلة والتأني، وقل بين الذي يعالج القضايا الدوليـة العليا في جزيرة أو سفينـة حربية، حين الرياح شديدة والبحر مضطرب، والذي يعالجها في مقر رئيس أكبر دولة وأغنى دولة، والمناخ جميل معتدل، والطبيعـة هادئة مستقرة.

لذلك، ما فات القمّة الأولى وذهب عنها أدركته الثانيـة أيما إدراك، وجعـل الرئيسـين الأميركي جـورج بوش والسـوفياتي ميخـائيل غـورباتشيـوف يتفقان عـلى لقـاءات منـظمـة وغـير رسمية، بغية إزالة التباين في وجهات النظر في مسائل عـدة، لاسيا المسألة الالمانية وهجرة اليهود السوفيـات إلى (فلسطين) اسرائيل.

(*) كتبت في ١٠/٦/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ٢١/٦/١٩٩٠.

في مالطة «اتفقت واشنطن وموسكو» على تسويق نظريتهـا المشتركة القـائلة «ان التاريـخ يملي علينـا القدر والـوسيلة»[١]، فاطمأن الذين استطـاعوا رؤية «الحقيقة» عاريـة ونفذوا تحت السـطح، من حكـام الشرق والغـرب. وفي واشنـطن بـدأ الجبـاران قمتهما تحت ستـار التوصـل إلى «علاقـات سـلام لا رجـوع عنه»، فبـات عـلى الـذين اطمـأنـوا، في الأمس، أن يجهدوا في الأمر، ولو حملوا فوق طـاقتهم، ريثما تمـر العاصفـة وتنحسر.

لقـد اعتقـد البعض أن انتخـاب النـائب الاصـلاحي السـوفياتي السيبـيري الأصل بـوريس يلتسين، أبـرز معارضي الرئيس غورباتشيوف، رئيساً لجمهورية روسيا الاتحادية أقوى وأكـبر الجمهوريـات السوفيـاتيـة من جهـة[٢]، واتسـاع رقعـة النزاعات العراقية في «الملحقات» السوفياتية من جهة، علامـة واضحة وأكيدة على ضعف الرئيس غورباتشيوف بالنسبـة إلى محـاوره الـرئيس بـوش، وتـراجعـه حتى القبـول بـالشروط «البوشية» مهما تكن قاسية وانتقامية.

---

(١) انظر ص ٣٥.

(٢) اعلنت نتـائج الانتخـاب في مجلس السوفيـات لروسيا الاتحاديـة في مـوسكو بعـد ساعـات من سفر الـرئيس غورباتشيوف إلى كنـدا في طريقه إلى واشنطن.

وهنالك من اعتقد أيضاً أن «البيريسترويكا» التي يعمل لها الرئيس غورباتشيوف، بما أوتي من حيوية وقدرة على الفهم والاستيعاب والحوار، تفكيك للاتحاد السوفياتي وتقليل لدوره السياسي والاقتصادي والثقافي والايديولوجي. ولربما توهم الكثيرون أن الدولة العظمى الثانية ستنهار، في القريب العاجل، وتفقد أهميتها، ويخفت بريقها، وتنسى نفسها أنها كانت رائدة الاشتراكية، ورائدة الثورات، وصديقة الشعوب المستعمرة والفقيرة والمستضعفة. بيد أن الرئيس بوش قال، في معرض حديثه للقناة الخامسة في التلفزيون الفرنسي، عشية قمة واشنطن: «اعتقد أن (الرئيس) غورباتشيوف أدار حتى الآن التغييرات في أوروبا الشرقية بمهارة فائقة». وأضاف: «إني أرى زعيماً سوفياتياً قوياً هو الشخص الذي يجب أن نبحث معه في الأشياء» التي تهم البلدين والعالم كافة.

ولأهمية المسألة الالمانية وما قد تحدث من انعكاسات على العلاقات الأميركية ـ السوفياتية، حريٌّ بنا أن نتأمل في تصريح لوزير الخارجية الالمانية الغربية هانز ديتريش غينشر، وكونه يضع القواعد الصحيحة والسليمة التي ينبغي لألمانيا المستقبل أن تتبعها في سياستها الأوروبية والدولية، وهي إلى الدولتين العظميين السبيل الأفضل إلى حوار بنّاء

وتعاون أسسه واضحة وثابتة. قال: «إن الوحدة الألمانية يجب أن تتحقق» لا على حساب الآخرين ولا على حساب الاتحاد السوفياتي أيضاً، وذلك أن الألمان، الذي انهكتهم الحروب والنزاعات، لا يريدون «تغيير موازين القوى» لأنهم لا يريدون أن يكونوا سبباً لحرب نووية لن يربح فيها أحد حتى ولا أي من الجبارين».

ليس مستغرَباً، إذن، أن يحثّ الوزير غينشر نفسه الغرب، كل الغرب، على تقديم المساعدات الاقتصادية إلى الاتحاد السوفياتي، مؤكداً عزم هذه «المنظومة الاشتراكية» على العمل «باقتصاد للسوق» لا يتضارب مع المنهج الاقتصادي الغربي الحر.

ويرى الوزير الألماني الغربي أن التجاوب مع الرئيس غورباتشيوف «يؤدي إلى خلق تغيير جوهري في الوضع في أوروبا بحيث تظهر مسألة وضع المانيا العسكري في حلف الأطلسي من زاوية جديدة» لاسيما أن الحلفين (الاطلسي وفرصوفيا) «لن يتواجها بعد الآن بروح المواجهة بل سيشاركان في التعاون في مجال الأمن»، ومتى حصل «التجاوب المطلوب» و«التعاون الصادق» أصبحت «الأسس الايديولوجية» عملاً تثقيفياً وربما تربوياً، مهمته الغاء اسباب «المواجهة بين الحلفين». كأني بالوزير غينشر وهو يخاطب

العقل الغربي المدبّر، يردد مع امرىء القيس العربي: «حسْبُك من غِنىً شبع وريّ»، أي اقنع من الغنى بما يشبعك ويرويك وجُدْ بما بقي.

الواضح أن الرئيس بوش عنده اطلاع وثيق على حقيقة الوضع السوفياتي، وعلى حقيقة المنهجية الغورباتشيوفية، وليس أدل على ما نقول من الاستقبال الرسمي الحار الذي اقيم للضيف الكبير في الساحة الجنوبية للبيت الأبيض، حيث أشاد الرئيس بوش وسط تصفيق الحاضرين بـ «التغيير الكبير» الذي يتولاه ضيفه ونظيره الرئيس غورباتشيوف، وقد صدق الرئيس الأميركي إذ قال: «ان الولايات المتحدة تصفق للمخط الجديد الذي اختاره الاتحاد السوفياتي، وإني على اقتناع راسخ بأنه لن يكون من الممكن التراجع عنه». وأضاف: «إننا نرى على الأقل أن عصر المواجهة الطويل انتهى لمصلحة التعاون المشترك».

صحيح أن الرئيس غورباتشيوف كان، في رحلته إلى واشنطن، يحمل هموماً شتى، مثل: انتخاب بوريس يلتسين، استقلال ليتوانيا، النزاعات العرقية، التجارة، المانيا الموحدة، الهجرة اليهودية، حرب الأفغان، والصحيح كذلك أن الرئيس غورباتشيوف، الذي بدأ عهده في آذار ١٩٨٥، «قبضة قوية»، لن تثنيه هذه الهموم وغيرها عن الهدف

الأكبر: الاشتراكية الانسانية الديموقراطية.

بعد حوالي أربعة أشهر من حكم الرئيس غورباتشيوف، كتب المحلل السياسي كوستا كريستشين، في مجلة «لوبوان» الفرنسية (١٩٨٥/٧/٨): «ضربة قوية» حققها (الرئيس غورباتشيوف مؤخراً: خلال ثمانٍ وأربعين ساعة أقصى خصماً له، وعيّن وزيراً جديداً للخارجية (ادوارد شيفاردنادزه)، وتخلى لغروميكو عن رئاسة الدولة. وهو من الآن فصاعداً يتخذ وضع السيد، حتى في العمل الخارجي للاتحاد السوفياتي. فهل يتغيّر هذا العمل؟ نعم بلا شك في الشكل، أما في الأساس، فلا، كما هي الحال على الصعيد الداخلي، حيث سيقوم غورباتشيوف بتغييرات في الجهاز»[3] الحاكم.

ثم توالت الأحداث الدرامية، في معظمها، في كل أوروبا الشرقية تقريباً، فضلاً عن أحداث الصين وغيرها، فيما ظل الرئيس غورباتشيوف محافظاً على موقعه، مستمراً، بثبات، في منهجه التغييري، ما دفع مجلة «تايم» الأميركية، التي تختار «رجل السنة» منذ ثلاثة وستين عاماً، لأن تختار الرئيس غورباتشيوف أول «رجل للعقد»، وسبق أن اختير «رجل السنة» في ١٩٨٧ «لأنه كان يرمز إلى الأمل في بروز اتحاد

(٣) عن «السفير»: ١٩٨٥/٧/١٢ ص ١١.

سوفياتي جديد»، وبررت المجلة الأميركية مبادرتها الشجاعة بالقول: «هذه السنة عندما يركز العالم أنظاره على الفوران المؤيد للديموقراطية في الاتحاد السوفياتي والمجازر في بكين والثورات السلمية في أوروبا الشرقية من المؤكد أنه يشهد سلسلة أحداث بدأت قبل ١٩٨٩ سيمتد أثرها الحاسم إلى العقد المقبل وإلى القرن المقبل». وقالت أيضاً: «بدا لنا أن اختيارنا لسنة ١٩٨٩ لا يكفي، لذلك أطلقنا على (الرئيس) غورباتشيوف (لقب) رجل العقد»[٤].

ولكن الرئيس أندريه غروميكو الذي عايش خمسة من زعماء الكرملين، وعمل نصف قرن من الحياة العامة، ديبلوماسياً، فرئيساً، وأثّر في التحولات الدراماتيكية لعلاقات الشرق والغرب، توفي الأحد (٢/٧/١٩٨٩)[٥]، عن عمر يناهز الثمانين، وعن مذكرات ننتظرها بفارغ صبر، فهل يخضع الرئيس بوريس يلتسين للأمر الواقع، مثلما خضع غروميكو في سنواته الأخيرة، أو سيجرب حظه مع «رجل العقد» ويحدث ما قد يحدث؟

يعرف الرئيس يلتسين وسائر قادة المعارضة السوفياتية أن الرئيس غورباتشيوف لن يترك بلاده تتفرج على مسرح

(٤) عن «النهار»: ٢٥/١٢/١٩٨٩.
(٥) «النهار»: ٤/٧/١٩٨٩.

الأحداث الدولية، دون أن تفكر في ضرورة اليقظة، والانتقال من مرحلة التنظير والثرثرة إلى مرحلة العمل وإعادة البناء والمشاركة في تنفيذ كل العمليات الهامة. وإذا استطاع الرئيس غورباتشيوف أن يبرز على نظيره الرئيس بوش في الجدال، وخاصة في الشأن التجاري، ما حقق اتفاقاً، بينهما، يقضي «بتعزيز التجارة بين الدولتين والمشروعات التجارية المشتركة على إرساء القواعد الخاصة بالاستثمار وحقوق الملكية والعلامات التجارية والبراءات ومسائل أخرى»[٦]، وجدّد الاتفاق الأميركي ـ السوفياتي للحبوب، الذي ينتهي آخر السنة، خمس سنوات، وينص على أن يشتري الاتحاد السوفياتي عشرة ملايين طن متري سنوياً من الذرة والقمح وفول الصويا من الولايات المتحدة، فمعناه أن رحلة واشنطن ستكون المفصل بين النظام الغارق في السكونية أو اللاحركة ونظام «البيريسترويكا» الدائم التفكير والحركة من أجل الأحسن.

أما المسألة الألمانية، أما الهجرة اليهودية، أما النزاعات العرقية، فمن المؤكد أن الرئيس غورباتشيوف يتفهمها بكل أبعادها وبما لها من آثار سيئة على البعض وإيجابية على البعض الآخر، ولا بد من أن يجد، متعاوناً مع الرئيس بوش وسواه

(٦) «النهار»: ٤/٦/١٩٩٠.

من القياديين والمسؤولين، صيغة توفيقية تمكن الجميع من انهاء الحرب الباردة والتخلي عن كل ما يورطهم في حروب مدمرة مهلكة شاملة.

ان ثقة جميع الذين يتطلعون الى السلام بالرئيس غورباتشيوف، لكبيرة، كبيرة جداً، ذلك أنه أول زعيم سوفياتي آمن بأن الفلسفة الماركسية ـ اللينينية ينبغي لها أن تتطور وتنظر «بطريقة جديدة إلى العلاقة المتبادلة بين الحرب والثورة»[٧]. وكما أن الحرب النووية لا يمكن أن تكون «الافناء فقط»[٨]، فان فصل موضوع الثورة عن الحرب لكفيل أن يُبقي المبادلة الاقتصادية والسياسية والايديولوجية التي لا مفر منها، بين البلدان الرأسمالية والبلدان الاشتراكية، «في اطار التنافس السلمي الذي يفترض التعاون بالضرورة»[٩]، والأمر أكدته قمة واشنطن بداية ونهاية.

من مالطة إلى واشنطن، المنطق القممي هو هو: ما لأميركا لأميركا وما لروسيا لروسيا، ويبقى على الآخرين أن يقرأوا ويحللوا ويفسّروا ويوازنوا ويعدلوا ويعتدلوا ويجنحوا نحو السلام، لئلا يأخذهم الطوفان.

---

(٧) م. س. غورباتشيوف: البيريسترويكا الطبعة العربية ١٩٨٨، الناشر: دار الفارابي ـ بيروت، ص ٢٠٩.

(٨) (٩) نفسه.

- ٥ -

(المؤتمر الثامن والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي)

محنة البيريسترويكا *

قبل المضي في قراءة أعمال المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي التي استمرت اثني عشر يوماً (٢ ـ ١٣ تموز ١٩٩٠) في قصر المؤتمرات في الكرملين[١]، لا بد من الاعتراف بأننا كنا وما زلنا على خوف شديد من هذا المؤتمر وآثاره المستقبلية على زعامة الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشيوف ومشروعه الاصلاحي: «البيريسترويكا» (اعادة البناء)، أمل الشعوب السوفياتية وغيرها في الشرق والغرب. ولربما خشينا، بل اعتقدنا، رغم اعادة انتخاب الرئيس غورباتشيوف أميناً عاماً للحزب باكثرية ساحقة[٢]، أن الحزب

(*) كتبت في ١٧/٧/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ١٤/٨/١٩٩٠.

(١) كرملين: قصر في موسكو يشرف على نهر موسكوفا. شيدت في جواره الكنائس والقصور الفخمة. متحف مشهور. مركز الحكومة السوفياتية المركزية.

(٢) أعلن رئيس لجنة فرز الأصوات ايغور توتيفول رسمياً بعد ظهر الثلاثاء =

السوفياتي الحاكم لن يُدرك المؤتمر التاسع والعشرين وأن بحراً من الدم سيغمر الخمس عشرة جمهورية اشتراكية(٣)، التي تؤلف امبراطورية الحزب الواحد الجبارة.

ان الخوف الذي قادنا إلى هذا الاعتقاد السلبي جداً، ليس وليد الساعة، ولا هو مصادفة أو عرض أو ما يشبههما، بل من عمر البيريسترويكا التي أطلقها صاحبنا قبل خمس سنوات وبضعة أشهر، ومنذ ذلك الحين مصاعب تتراكم وعراقيل تتشابك وضغوط تتعاظم، لتثْني الرجل عن هدفه، وتبقي البلاد على حالها.

نعم، خائفون نحن لا على غورباتشيوف وما يمثل فحسب، بل على الاستقرار العالمي الذي بدونه لن «نعيش

= (١٠/٧/١٩٩٠)، أن المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي أعاد انتخاب غورباتشيوف أميناً عاماً للحزب في عملية اقتراع سري. وأوضح أن ٣٤١١ مندوباً صوّتوا للرئيس السوفياتي مقابل ١١١٦ صوتاً، بينما حصل منافسه الوحيد تيمور افالياني على ٥١١ صوتاً مقابل ٤٠٢٦ صوتاً.

(٣) هي: روسيا، استونيا، لتفيا، ليتوانيا، روسيا البيضاء، مولدافيا، اوكرانيا، جورجيا، اذربيجان، ارمينيا، كازخستان، تركمانستان، اوزبكستان، تاجيكستيان، قرغيزيا.

في عالم واقعي»(٤)، «عالم فيه مصالح للجميع»(٥)، كباراً وصغاراً، غربيين وشرقيين. لن ندع الفلسفة تجرنا إلى سوق النظريات والايديولوجيات، حيث يتبارى المتبارون في الحرية والأممية والتوتاليتارية والماركسية ـ اللينينية ودكتاتورية البروليتاريا والذاتية والموضوعية والاشتراكية والديموقراطية والرأسمالية والواقعية. ذلك أن المسألة، في رأينا، لا تحتمل الجدل مهما يكن مفيداً، ولا هي تستدعي البحث في أجزاء الحرية وسواها، وقل في جنس الملائكة. لماذا الاستطالة في النظر والاستدلال وما اليهما، حين الأمور واضحة غير معقدة، والواقع ليس لنا فيه بعض ما نرجوه!

هل يستقر العالم إذا ما انعدم توازن القوتين العظميين: الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، أو انفردت احداهما بوسائل الهيمنة والنفوذ والاستكبار!

ثم أي فلسفة وأي ايديولوجية تنتظرنا، اذا الحزب الشيوعي السوفياتي ـ باسمه هذا أو باسمائه القديمة ـ انهار أو انسحب أو عُزل أو وُضع في الاقامة الجبرية!

نعم، خائفون نحن على الحزب الشيوعي السوفياتي من

---

(٤) م. س. غورباتشيوف: بيريسترويكا، الطبعة العربية، دار الفارابي ١٩٨٨، ص ٣٠٧.

(٥) نفسه.

الانشقاق والتفتت حتى الزوال، لأننا لا نريد عالماً تتحكم فيه العلاقات غير السوية، ولا نريد مستقبلاً تسُوده سياسة الاكراه والتعجيز واملاء الشروط واصدار الأوامر.

هموم الحاضرين

إلى قصر المؤتمرات في الكرملين حضر أربعة آلاف وسبع مائة مندوب جاؤوا من كل الجمهوريات السوفياتية، يحملون هموم الامبراطورية المكتئبة، وهموم العقيدة التي أوقعتها أخطاء الماضي في أمر قد لا تعرف كيف تتدبره، فضلاً عن همومهم الشخصية. من هؤلاء المحافظون والراديكاليون الاصلاحيون والعسكريون والقوميون الاستقلاليون والتغييريون أو «البيريسترويكيون». المطلوب واحد، واحد فقط، أو هكذا يبدو: «انقاذ الامبراطورية». والسبل كثيرة، كثيرة، ومتباينة. المنصة الحمراء يميل لونها إلى الرمادي. الوجوه التي كانت، في الأمس، مستبشرة مرتاحة مطمئنة، أصبحت ـ اليوم ـ مضطربة مرتبكة قلقة، فكأن كارثة تشيرنوبيل (١٩٨٦)، ونكبة أرمينيا (١٩٨٨)، وأحداث رومانيا المستمرة، وكسح جدار برلين، ونزعة الجيل الصيني الجديد إلى الديموقراطية، وزلزال إيران الأخير، سيتبعها حتماً زلزال يضرب الكرملين فيجعله أثراً بعد عين.

وحده غورباتشيوف كان مستقيم الحركية متزناً حيوياً،

استبصر الأمور كافة، واستخرج خفايا الصدور، واستنبط، وانتقد، وصوّب، ونقّح، ووجّه، وعلّم، ونبّه، وحذّر.

عينُ غورباتشيوف على الحزب والدولة والزراعة والتكنولوجيا والتجارة والذهب المخزون والمناجم والمساعدات الغربية والمسألة الألمانية والنفط والقمح والتسلح النووي، وعيون خصومه، على كثرتهم، على الأمانة العامة، وربما ليس إلا.

خصوم متنابذون

رجال «الحرس القديم»، المحافظون، يرون، في ما يرون ـ «ضرورة بقاء الحزب وفياً للمبادىء الماركسية ـ اللينينية»، ولكنهم، يا للأسف، لا يعرفون، أو هم يتجاهلون، حق هذا الوفاء عليهم أنفسهم، ويحمّلون غيرهم مسؤوليته وواجب ادائه على اكمل وجه.

هؤلاء المحافظون: نصيّون، لا يوجد في قاموسهم سوى ما يدعم الثورة ويضمن دوامها. ذلك أن النظرية الماركسية ـ اللينينية تقول «ان حرب الطبقات في داخل الدول وبين الدول هي حالة دائمة لا تقبل تسوية»[٦]، وإذ قال لينين (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤): «لا يمكن للامبريالية العالمية أن تعيش

(٦) اوجين ليونز: الفردوس المفقود «الشيوعية السوفياتية في نصف قرن». (١٩٧١)، لا ذكر لدار النشر، ص ١٧٥.

جنباً إلى جنب مع الاتحاد السوفياتي المنتصر» فإن خلفاءه وتلاميذه «دون استثناء»[٧]، قاموا بأدوار متنوعة عديدة على هذه الفكرة ولم يرض أحد من الزعماء السوفياتيين في السنوات الخمسين الماضية احتمال قيام حل دائم دون انتصار شيوعي كامل»[٨].

الراديكاليون الاصلاحيون، أو جماعة «البرلمان الديموقراطي» كما يُدعون، خشنون جداً، وقساة جداً، ومتعنتون جداً. مطلبهم «المدني»: «فصل الحزب عن الدولة»، يشبه إلى حد كبير مطلب العلمانيين العرب: «فصل الدين (الإسلام) عن الدولة». والثابت، حتى الآن، أن أياً من هذين المطلبين لن يتحقق، ما دامت الماركسية ـ اللينينية وما دام الإسلام مسلّمتين لا يمكن العبث بأي منهما. وإنه لمستغرب حقاً أن يطلب الراديكاليون الاصلاحيون اعتراف الحزب(؟) بذنْبه عن الجرائم التي وقعت في عهدي الزعيمين الراحلين: جوزف ستالين وليونيد بريجنيف.

لسان بوريس يلتسين، الرئيس الجديد لجمهورية روسيا الاتحادية، زعيم الراديكاليين، بالغ الطول في معركته مع الرئيس غورباتشيوف. فلطالما حمل عليه، وانتقد سياسته الداخلية والخارجية، وطالبه بالاستقالة. أدنى أهداف هذا

(٧) (٨) نفسه.

المعارض العنيف: تجديد الحزب نفسه بغية اعادة ثقة الناس به. أما الأسلوب، فسريع، سريع جداً، يتمثل بالفصل الفوري والقسري بين الحزب والدولة.

لم يسْلم المحافظون من انتقادات يلتسين وتهديداته. ففي اليوم الخامس للمؤتمر (٦/٧/٩٠)، قال مفتتحاً كلمته التي استغرقت عشر دقائق: «أظهرت السنوات الأخيرة أن نشاط القوى المحافظة في الحزب لا يزال قوياً، وسيؤدي بروزهم إلى ترك الاعضاء المستائين صفوف الحزب، وإلى هجرة يمكن أن تؤدي إلى ثورة. إنه وهْم أن تعتقدوا أن رحيل هؤلاء الأعضاء سيتيح للباقين الاحتفاظ بسلطة الحزب». أضاف: «إذا حدث ذلك، وهو ما يسعى إليه المحافظون، فان الشعب سيكافح من أجل تأميم ممتلكات الحزب، وسيُجبر الحزب على تسديد ديونه للشعب».

ورأى يلتسين «ان الطريق الوحيد ليستعيد الحزب ثقة المواطنين هو تبني برنامج اصلاح جذري داخل الحزب يقوم على الغاء الخلايا الحزبية في الجيش ولجنة أمن الدولة «ك. ج. ب»، والسماح بقيام تيارات وكتل داخل الحزب»، الذي دعا إلى «تغيير اسمه ليصبح الحزب الاشتراكي الديموقراطي» كما في السابق.

وكمن يريد أن يقول وداعاً للحزب، حذّر يلتسين من أن

أي «محاولة لتعطيل تغييرات جذرية في الحزب ستؤدي إلى هزيمة تاريخية» ودعا إلى «انتخاب زعامة جديدة قبل أن يثور الشعب ويأخذ زمام المبادرة بيده».

إذ ذاك ردّ ايفان بولوزكوف، المنتخب حديثاً رئيساً للحزب في روسيا: «ان اقتراح يلتسين تغيير اسم الحزب غير واقعي ولا يمكن أن يقبل به معظم المندوبين»، موضحاً أن «المطلوب ليس تغيير اسم وإنما تجديد الحزب واظهار أن في امكانه ممارسة الدور الطليعي في المجتمع».

أما العسكريون فموقفهم من الرئيس غورباتشيوف والبيريسترويكا ليس ألين ولا أسلس من موقف الراديكاليين أو المحافظين، وهم يعتبرون سياسة الحد من التسلح حيال أوروبا فرصة للغرب كي يبني أمنه على حساب السوفيات، حسبما يقول الجنرال ايفان نيكولين، رئيس الادارة السياسية للجيش الجنوبي وعضو مجلس الدفاع. ولم يتردد هذا الجنرال في وصف فكرة الرئيس غورباتشيوف قيام «البيت الأوروبي الموحّد» بأنها «اسطورة غير واقعية». ولما سئل عن رأيه في غورباتشيوف أجاب: «أحبه على المستوى الشخصي ولكن اعتقد أننا في حاجة إلى أمين عام جديد».

بيد أن القوميين الاستقلاليين كالريح التي تشتد حيناً وتهدأ

أحياناً. فمن آذربيجان السوفياتية إلى أرمينيا إلى دول البلطيق الثلاث إلى روسيا الاتحادية إلى جيورجيا إلى قرغيزيا وغيرها، الشعار واحد: «نريد الاستقلال». ومما لا شك فيه ان اعلان أي من هذه الجمهوريات استقلالها، من طرف واحد، عن الاتحاد السوفياتي لا يخلو من الاستفزاز والاستضعاف والتهور، والرئيس غورباتشيوف خير من تفهم حقيقة «الاتحاد»، واعلن عزمه على البدء بتطبيق نظرته ورؤيته لاتحاد جديد، ثم فيديرالية بين «جمهوريات ذات سيادة»[٩].

أما عمال المناجم فيكادون أن يكونوا مسألة أخرى. قضية أخرى. ذلك أنهم سبقوا مؤتمر الكرملين بعملية تحذيرية كما وصفوها، ربما لتفشيله أو تأجيله، فعقدوا خلال الاسبوع الثاني من حزيران الماضي مؤتمرهم الأول، في مناجم الفحم في حوض الدون في جمهورية اوكرانيا الشرقية، وأصدروا بياناً تهديدياً جاء فيه: «إن الحزب الشيوعي يفقد سلطته» و«اننا عمال لكننا لا نعتبر الحزب الشيوعي السوفياتي حزباً (...) اننا ندعو إلى خروج جماعي عن الحزب»[١٠]. وليس مصادفة أن يصر هؤلاء العمال على الاضراب، فيما المؤتمر الثامن والعشرون للحزب يعالج المشكلات السوفياتية

(٩) «النهار»: ١٩٩٠/٦/١٤.
(١٠) «النهار»: ١٩٩٠/٦/١٦.

على اختلافها. ولعلّ مندوبي عمال المناجم، الذين حضروا المؤتمر وغيرهم من معارضي غورباتشيوف حاولوا تقليد الرئيس الروماني الجديد اليسكو في استخدامه عمال المناجم الرومانيين في قمع المتظاهرين، حيث عجز الجيش والشرطة الرومانيان عن ذلك، ما دعا المراقبين إلى اعتبار اضراب عمال المناجم السوفيات «إضراباً سياسياً» فحسب، هدفه النيل من زعامة غورباتشيوف والحكومة والحزب.

هؤلاء هم خصوم الرئيس ميخائيل غورباتشيوف الذي عرف تماماً كيف يستغل التنابذ الشديد المتحكم فيهم، ويؤمّن فوزه الساحق على منافسه الوحيد تيمورا أفاليانى الجيورجي.

الزعيم الواقعي

يومة أعيد انتخاب غورباتشيوف أميناً عاماً للحزب، وقبل التصويت، ردّ صاحبنا في كلمة ألقاها أمام المؤتمر على الانتقادات الكثيرة السياسية والعسكرية والاقتصادية، وحمل خصوصاً على الذين «تغريهم الديكتاتورية». ومما قال ان «الحزب يفقد سلطته» إلا أن «أي ديكتاتورية لن تحل شيئاً ونحن على الطريق الصحيح وعلينا أن نستمر». أضاف: «إذا مضينا هكذا فأنا أقول لكم بصراحة أننا نقود البلاد إلى الانهيار». ولمح إلى الرفض الذي أبداه المؤتمر لاقتصاد

السوق. ثم لاحظ أن «المندوبين الذين يتوجهون إليّ ليس عندهم إلا سؤالان: متى يستتب الأمن وماذا سنفعل بالمضاربين؟».

وإذ أكد غورباتشيوف أن «المغامرة هي في أن يحيد الشعب عن خيار اشتراكي فقد الثقة»، تعهد أنه لن يتسامح مع المسؤولين الذين لا يوافقون على سياساته. أما الذين تناولوا سياساته الخارجية في شأن أوروبا الشرقية، فردّ عليهم بما يشبه التقريع والاستخفاف: «ماذا؟ أيجب إرسال الدبابات أيضاً؟ أنعلمهم أيضاً كيف يعيشون؟». ورفض صاحبنا ما سمعه من العسكريين المتشددين الذين اتهموه بتقديم تنازلات إلى الغرب أدت إلى تعثر الشيوعية في أوروبا الشرقية.

ولما أعلن رئيس لجنة فرز الأصوات فوز غورباتشيوف، وقف غورباتشيوف ليقول: «أتولى هذا المنصب بروح المسؤولية وأعرف أنه يجب أن نستخلص النتائج من كل ما قلت وقاله الآخرون في هذا المؤتمر». وقال باعتزاز واضح: «اني أرى في هذا التصويت دعماً لمواقفي».

بيد أن يلتسين وبعض أعضاء «المنبر الديموقراطي» امتعضوا فانسحبوا من المؤتمر ثم من الحزب الشيوعي السوفياتي، بغية تأسيس حزب جديد مستقل. وما لبث أحد قادة هذا التجمع البرلماني، فلاديمير شوستاكوفسكي،

أن صرّح بدون تلفيق أو زخرفة أو تضليل: «إنني تحوّل إعلان انقسام الحزب الشيوعي السوفياتي. لقد قررنا تأليف حزب ديموقراطي برلماني». فكشف عن تصميم راديكالي مسبق على ضرب الحزب من الداخل وشقه وزجه في أتون الانقسامات.

هكذا سارت أعمال المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، وهكذا تمكّن الزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشيوف من دحر خصومه ومعارضيه، حتى أتى برئيس جمهورية أوكرانيا فلاديمير ايفاشكو نائباً للأمين العام للحزب (هذا المنصب استحدث في المؤتمر)، قاهراً زعيم المحافظين، عضو المكتب السياسي، ايغور ليغاتشيوف، وبرّر (غورباتشيوف) تأييده الشخصي لايفاشكو قال: ان «من المهم جداً أن يكون الأمين العام للحزب ونائبه قريبين في أسلوب تعاطيهما مع المسائل، وأي تباين بينهما من شأنه أن يؤدي إلى خسارة للحزب خصوصاً في هذه الظروف. ان ايفاشكو هو خياري».

هذا الانتصار المدهش لم يقلل من جدية صاحبنا وواقعيته واخلاصه لمشروعه: البيريسترويكا (أنا البيريسترويكا والبيريسترويكا أنا) ولمصالح بلاده، وحزبه، ولا هو تكبر أو تعالى، بل أكد أن «مخاطر» الانشقاق داخل الحزب «لم

تظهر». وعرض اقامة «ائتلاف موسّع» يضم ممثلين للجميع، تحقيقاً للاصلاحات الجذرية المطلوبة.

وبكل ثقة قال الرئيس غورباتشيوف في كلمته الختامية «ان من كان يأمل أن يكون هذا المؤتمر الأخير وأنه سيشهد جنازة الحزب أخطأ في تقديره مرة أخرى». وأكد أن «الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي حي وسيبقى حياً وستكون له مساهمته التاريخية في تقدم بلدنا وتقدم حضارة العالم».

وطمأن الرئيس غورباتشيوف جميع الذين عندهم شك أو ارتياب أو ما يماثلها، مشدداً على أن «فكرة انشاء ائتلاف موسّع كما وردت في قرارات المؤتمر من أجل التغلب على الأزمة وتنفيذ اصلاحات جذرية ليست خطوة تكتيكية، لكنها اقتراح جاد تمليه مصالح البلاد والشعب».

هل يطمئن المحافظون ويهدأ الراديكاليون والعمال والقوميون فينقذوا حزبهم وشعبهم واتحادهم؟

عين الغرب

لقد جرى ما تقدم في قاعة قصر الكرملين وأروقته، حين تنادى رؤساء أميركا وأوروبا واليابان إلى عقد مؤتمرين متتالين، الأول في لندن (٥ ـ ٦/٧/٩٠)، حيث اجتمع زعماء حلف شمال الأطلسي، والثاني في هيوستن ـ تكساس

(٩ ـ ١١/٧/٩٠)، التقى فيه زعماء الدول الصناعية السبع[11]. كان همّ أصحاب المؤتمرين دعم الرئيس غورباتشيوف وتأييده، على أن الحذر بقي يسود بعض الطروحات الغربية، خاصة الأميركية والبريطانية (من أعمال مؤتمر حلف شمال الأطلسي)، والأميركية والبريطانية واليابانية (من أعمال قمة الدول الصناعية)، فكأنهم لا يثقون تماماً بأن غورباتشيوف الذي حقق فوزاً ساحقاً سيكون مستقبلاً في وضع مريح. وعلى كل، لن ينسى غورباتشيوف أي جهد بذله الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران والمستشار الألماني الغربي هلموت كول، عشية المؤتمر الشيوعي، من أجل تجميد اعلان استقلال ليتوانيا الذي صوّت عليه برلمان فيلنوس في ١١ آذار الماضي، لفترة مائة يوم، مثابة فرصة للطرفين ليتدارسا هذه المسألة درساً هادئاً متعمقاً يبعد الشقاق والنزاع.

في غمرة الأحداث والأزمات التي تحاصر الرئيس غورباتشيوف ينبغي لنا أن نسأل رؤساء دول حلف شمال

(١١) هم الرئيس الأميركي جورج بوش، الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر، رئيس الوزراء الياباني توتشكي كاينو، رئيس الوزراء الكندي بديان مالروي، رئيس الوزراء الايطالي جوليو اندريوتي، المستشار الالماني الغربي هلموت كول، رئيس اللجنة الأوروبية جاك دولور.

الأطلسي والدول الصناعية السبع: أي أوروبا ترسمون، وأي اتحاد سوفياتي تريدون؟ بل يؤسفنا أن نسأل هؤلاء وهؤلاء: أليس من المعقول أن تصبح غداً المانيا الموحدة عامل قلق لفرنسا وبريطانيا وايطاليا؟ ولنفترض أن أوروبا أصبحت غداً «بيتاً موحّداً» كما يتمنى غورباتشيوف، فهل ترضى الإدارة الأميركية أن تنظر إلى هذا «البيت السعيد» بعين الحب والجلال، أو ستقلب الطاولة على رؤساء أبناء «البيت» وتعيدهم إلى سيرتهم الأولى؟

نظرة على الولايات المتحدة

إذا كانت الادارة الأميركية تعرف العالم بتفاصيله ودقائقه، فهلّا عرفت هذه الادارة الفائقة الضخامة نفسها؟ لعلّ من المفيد هنا أن نذكّر الادارة الأميركية بما قاله الرئيس غورباتشيوف عن الولايات المتحدة الأميركية، قال:

«أنا أعلن أن الولايات المتحدة الأميركية، أجل، أجل، الدعاية، تعمل على تصوير أميركا وكأنها «مدينة متألقة تكلّل قمة تلة». لأميركا تاريخ عظيم. ومن ذا الذي يتصدّى للتقليل من أهمية الثورة الأميركية في تقدم البشرية الاجتماعي أو النيل من العبقرية الأميركية العلمية والتقنية ومنجزاتها في الأدب والعمارة والفن؟ كل ذلك في أميركا. غير أن في أميركا

اليوم أيضاً أزمات اجتماعية وغير اجتماعية حادة، لم يجد لها المجتمع الأميركي حلاً حتى الآن، والأسوأ من ذلك، وهو أمر يحدث، أن أميركا لا تبحث عن الحلول حيث ينبغي أو كما ينبغي، فتجد نفسها في وضع لا تُحسد عليه في نظر الآخرين».

أضاف: «في الولايات المتحدة الأميركية طاقة انتاجية جبارة وثورة مادية وملايين العاطلين عن العمل. ثمة ما يستحق التأمل هنا. إن الواقع التبشيري بالعظات عن الأخلاق وحريات الانسان والاستخفاف بتأمين أبسط حقوق الانسان في بيته. كل ذلك هو أيضاً مدعاة للتأمل. كلام لا ينقطع عن حقوق الانسان وإملاء نمط حياة معين على الآخرين ودعاية تبشيرية لعبادة القوة والعنف. فكيف نفهم ذلك؟».

وإذ يضع غورباتشيوف النقاط على الحروف، جميع النقاط على جميع الحروف، يقول: «اغتباط بالقوة، بالقوة العسكرية، وتضخم مستمر في نفقات التسلح، وخلل في الموازنات الداخلية، وأعباء خارجية الآن، كل ذلك في سبيل ماذا؟ ما الذي يحرّك الولايات المتحدة الأميركية؟ هذه وكثير غيرها من الأسئلة نطرحها على أنفسنا في محاولة لفهم واقع الحقيقة الأميركية مع السعي لرؤية الزنبرك الذي يحرّك سياسة

الولايات المتحدة».

وعن نظرة القيادة السوفياتية إلى هذا «العالم» وما فيه من متناقضات ومطامير وأسرار، قال الرئيس غورباتشيوف: «إن القيادة السوفياتية لا تقيس الولايات المتحدة الأميركية بمقياس واحد، وهي تميز كل الوجوه المتعلقة بأمورها واهتماماتها بدقة. وعلى وجه العموم، هناك ملايين الكادحين المفعمين بمشاعر المحبة والسلام، وهناك سياسيون يفكرون بواقعية، وهناك الشخصيات المحافظة ذات النفوذ، إلى جانب الدوائر الرجعية المرتبطة بمجموعة الصناعات الحربية وأرباح الانتاج الحربي والاهتمام الطبيعي بنا والعداء الأعمى للسوفيات وللشيوعية المنتشر على نحو واسع».

ويمضي الرئيس غورباتشيوف في الكشف عن الحقيقة الأميركية بمختلف أوضاعها وأشكالها فيقول: «نحن نعتبر أن النظام السياسي للبناء الاجتماعي في الولايات المتحدة الأميركية هو قضية الشعب الأميركي نفسه، فله أن يقرر كيف يحكم بلاده، وكيف يختار قيادته وحكومته. نحن نحترم حقه هذا في السيادة، ولو قررنا وضع خيار الشعب الأميركي موضع الشك فما الذي ينتج من ذلك؟. لا بد أن تقوم السياسة على الحقائق والادراك أن كل شعب له الحق في أن يختار نمط حياته ونظام حكمه بشكل مستقل».

وكمن يفلسف نظرية لينين: «لا يمكن للامبريالية العالمية أن تعيش جنباً إلى جنب مع الاتحاد السوفياتي» ـ حسبما تقدم ـ يقول الرئيس غورباتشيوف، بل يقرر: «الولايات المتحدة دولة علينا أن نتعايش ونقيم العلاقات معها، انه الواقع». أضاف: «ومع كل التناقضات في علاقاتنا، يبدو أننا لن نفعل شيئاً دون الولايات المتحدة الأميركية لضمان السلام، والولايات المتحدة لن تفعل شيئاً دوننا. لا مكان نخفي فيه أنفسنا عن الأميركيين، ولا مكان يختفي فيه الأميركيون عنا. لذلك لا بد من الاتصال والحوار، ولا مندوحة عن البحث عن سبل تحسين العلاقات»[12].

ترانا نسينا اليابان والاسلام؟ لا. لا. كيف ننسى صانعة الترانزيستور والسيارة والرجل الآلي والحاسوب؟ ثم كيف ننسى الاسلام، بمذاهبه وفرقه، بفقره وغناه، بكمونه وغضبه، بثوابه وعقابه، باستعداه، الخفي والمعلن، للانقضاض على الغرب المادي والشرق الماركسي؟

المسألة الألمانية

بعد أربعين سنة مضت عادت الألمانيتان لتصبحا المانيا واحدة موحّدة. جدار برلين الذي شيّدته المصالح الأمركية

(١٢) بيريسترويكا: ص ٣١٠/٣١٢.

والبريطانية والسوفياتية تحطم. الشعب الألماني، استرجع أو كاد ذاته، ووحّد طريقه ونقده على أمل أن يوحّد أيضاً نظامه السياسي الاجتماعي وفلسفته وايديولوجيته.

قد يكون المستشار الألماني الغربي هلموت كول اشترى من الرئيس غورباتشيوف وحدة بلاده، والحقيقة أن الرئيس غورباتشيوف، الذي تحاصره الأحداث والأزمات، مثلما بيّنا، ولئن لم يتوقع هذه «المفاجأة السياسية»، مقتنع ـ أصلاً ـ بأن تجزئة المانيا غلطة كبيرة لا يمكنها أن تستمر طويلاً.

لقد روى، مرة، الرئيس غورباتشيوف لمثيله فون فايتزكر رئيس المانيا الاتحادية، قصة شعبية جرت له عام ١٩٧٥ مع أحد المواطنين الألمان وهي قصة بالغة الأهمية، وبالغة الخطورة، قال: «صادف وجودي في المانيا الاتحادية عام ١٩٧٥ الذكرى الثلاثين للنصر على الفاشية. ودار حديث مع صاحب محطة محروقات قرب فرانكفورت، فقال لي: «كان ستالين يردد: الهتلريون يجيئون ويذهبون أما الشعب الألماني فباق. وأما بعد انتهاء الحرب فقد قام الاتحاد السوفياتي بتقسيم الشعب الألماني».

وتابع غورباتشيوف: «وبدأ نقاش بيننا، فذكّرته بمشاريع تفتيت الدولة الالمانية التي أعدها تشرشل والساسة الأميركيون

في غضون الحرب، لقد وقفنا ضد هذه المشاريع وكنا نريد قيام دولة المانية موحَّدة وديموقراطية وذات سيادة. وذكّرته أيضاً أن الدول الغربية أيدت قيام دولة انفصالية في المانيا الغربية، وبعد ذلك فقط ظهرت جمهورية المانيا الديموقراطية. كنا حتى بعد يالطا وبوتسدام[١٣][*] مع قيام دولة المانية موحدة وذات سيادة ومسالمة قبل كل شيء، على أساس نزع الروح النازية والعسكرية واشاعة الديموقراطية. ولكن قوى وجدت في الغرب استطاعت أن توصل الأمور إلى ما نحن عليه اليوم. إن الاتحاد السوفياتي ليس مسؤولاً عن تجزئة المانيا

(١٣) يالطا: مدينة في الاتحاد السوفياتي على البحر الأسود (شبه جزيرة القرم)، محطة استجمام. عقد فيها ١٩٤٥ مؤتمر الحلفاء بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يمثلهم تشرشل وروزفلت وستالين لتنظيم العمليات الحربية ضد المانيا وتقرير مصير العالم بعد الحرب.

- بوتسدام: مدينة في المانيا الشرقية قاعدة الاقليم. مركز صناعي. عقد فيها الحلفاء مؤتمراً (١٧ تموز - ٢ آب ١٩٤٥) لتقرير مصير المانيا بعد انتصارهم عليها.

(*) الرئيس غورباتشيوف والمستشار الالماني الغربي السيد هلموت كول اتفقا عشية ١٧ تموز ١٩٩٠ على توحيد المانيا وحريتها في الانتماء إلى الحلف الأطلسي، على أن لا يكون في المانيا أي وجود أميركي مسلّح.

ويجب التفتيش عن المذنبين في مكان آخر. توجد دولتان المانيتان اليوم وهذا واقع مُقرٌّ به في المعاهدات الدولية، وما يمكن لأي سياسي واقعي القيام به هو استرشاده هذه الحقيقة فقط»[١٤].

على أن السوفيات الذين عانوا من تلك الحرب الرهيبة لم يخنهم «شعور الواقعية ولم (يخلطوا) بين الشعب الألماني والنظام النازي»[١٥]، ولا هم «يلقون على الشعب بالملامة على المآسي التي حملها (إليهم) العدوان الهتلري»[١٦].

ان الوحدة الألمانية، اذن، على المحك. والغرب كذلك على المحك. ومهما يكن، فان المعارضة السوفياتية، برفضها الوحدة الألمانية، إنما تشبه «أهل الكهف»، إذ خرجوا من «المنفى» ليصطدموا بالواقع الذي تجاوزهم منذ أمد بعيد، فاستحال عليهم الانسجام مع هذا التغيير الشمولي، فعادوا من حيث أتوا لتطمئن نفوسهم.

يستطيع خصوم الرئيس غورباتشيوف أن يرمّدوا الأحمر والأبيض والأخضر وكل مُشرق وجميل، وينزلوا «لعنة الشيوعية» على «البيريسترويكا» وصاحبها، ولكنهم يستطيعون

(١٤) بيريسترويكا: ص ٢٨٨/٢٨٩.

(١٥) (١٦) نفسه.

أيضاً أن يجنبوا أنفسهم والشعب هذه الكأس.

هل حان لجنون التفكك أن ينزل في امبراطورية الحزب الواحد، فيزرعها دماراً وخراباً وتقتيلاً وبؤساً ويأساً، أو ان العقل الجدلي أو المادي الديالكتيكي، لا يزال قوياً نشيطاً؟

صحيح أن «البروليتاريا الظافرة لا يمكنها أن تفرض على أي شعب غربي سعادة دون أن تفقد بذلك انتصارها»(١٧)، على قول فريدريك انغلز (١٨٢٠ ـ ١٨٩٥)، ولكن هل البروليتاريا ظافرة فعلاً أو هي في وضع لا تتمناه؟

ربما استعاد، في هذه الأيام، خصوم الرئيس غورباتشيوف ما قاله أبو الثورة، فلاديمير لينين، في شأن «تصدير الثورة»: «تقوم الثورات عندما يتوصل عشرات الملايين من الناس إلى الاستنتاج أن استمرار العيش هكذا لم يبق ممكناً»، وهي «تنضج عبر عملية التطور التاريخي وتولد في اللحظة التي تشترطها جملة أسباب داخلية وخارجية»(١٨). لذلك، حري بهؤلاء أن يتذكروا أيضاً أن لينين نفسه وصف كل محاولات القيام بالثورة «بناء على طلب» و«توقيتها» وتحديد موعدها بأنها «تدجيل»(١٩) على الشعوب، التي غالباً تخدعها الشعارات والألفاظ والانتقادات الشديدة والوعود بالسعادة المطلقة.

(١٧) (١٨) عن بيريسترويكا: ص ٢١٤.

- ٦ -

قمة هلسنكي: تكامل امبراطورية؟*

مرة أخرى، نجدنا هذا العام أمام قمة أميركية ـ سوفياتية، وربما شهدنا قمة ثالثة ورابعة في الأشهر الثلاثة القادمة إذا رياح التغيير، التي هبّت على العالم، لم تنحسر سريعاً وكيفما كان. بيد أن في الأفق ما يزيدنا خوفاً وقلقاً على ما لدينا وما حولنا، فكأن الانسانية قد ضلّت أو ضاعت أو فقدت عقلها وإرادتها.

بعد شهرين وأسبوع واحد فقط على لقاء واشنطن، ذي الأيام الأربعة(١)، بل لقاء السلام الذي «لا رجوع عنه» مثلما دعي في حينه، تمّ يوم الأحد (٩/٩/١٩٩٠) في العاصمة الفنلندية الأوروبية الشمالية، هلسنكي، لقاء ليوم واحد، شعاره: «التوافق ضد العراق» حتى ينسحب من الكويت.

(*) كتبت في ١٩/٩/١٩٩٠. لم يتسن لها النشر لأنها ضاعت في «البريد».

(١) أيام ٣١/٥ و١، ٢، ٣/٦/١٩٩٠.

لا نعرف، حتى الآن، لماذا اختار الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشيوف الاجتماع في هلسنكي، ولا نعرف كذلك أي الزعيمين طلب أن تكون هلسنكي وليس غيرها المدينة المضيفة، ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن الرئيس الأميركي قد يكون دعا نظيره السوفياتي إلى هناك، ليجدد تقدير بلاده لفنلندا «الدولة الأوروبية الوحيدة التي دفعت ديونها للولايات المتحدة في السنوات التي تخلّلت الحربين العالميتين»[2] من جهة، وليؤكد على ضرورة استمرار المفاوضات الأميركية ـ السوفياتية، وقد استقبلت هلسنكي نفسها في تشرين الثاني ١٩٦٩ إحدى حلقاتها (المفاوضات) وهي خُصصت بشكل أساسي للحد من الأسلحة الاستراتيجية ولكن من دون التوصل إلى نتائج ملموسة، من جهة.

على أن بين الاتحاد السوفياتي وفنلندا تاريخاً طويلاً مليئاً بالمظالم والاحتجاجات والانتقامات والآلام والأحزان والفجائع، وقد ظلّت فنلندا مسرحاً شبه دائم للحروب الروسية ـ السويدية، أبرزها الحرب الشمالية الكبرى (١٧٠٠ ـ ١٧٢١) المعروفة من الفنلنديين بـ«الغضب الكبير» (Great Wrath)[3]، ما سبّب لفنلندا وعلى مدى القرون

(٢) الموسوعة العربية الميسّرة: دار نهضة لبنان، ج ٢ ص ١٣٢٥.

(٣) The World Book Encyclopedia (F.) V. 7 P. 113.

المشار إليها أشدّ المعاناة، أقلّها التجزئة والتقسيم ونهب الموارد، ولولا صبر الفنلنديين على الظلم والاستبداد والاحتلال لكانت بلاد الغابات والبحيرات غير ما هي عليه الآن بكل تأكيد. ومهما تعاظمت المظالم والأهوال، فان فنلندياً أبيض واحداً لن ينسى كم كان ثمنُ استقلال «الأمة الفنلندية» باهظ التكاليف، وسيتذكر الفنلنديون أن حبهم للسلام ورفضهم الحروب أمران يصعب تحقيقهما في عالم تتنازعه الأهواء والأنانيات والشهوات والصراعات المدمّرة على المكاسب والمغانم.

اذاً ليس مستغرباً أن يستوحي الرئيسان بوش وغورباتشيوف من تاريخ المدينة الخليجية الأوروبية الشمالية الساحرة، هلسنكي، التي بناها عام ١٥٥٠ ملك السويد غوستاف الأول على خليج فنلندا، التعاون الصادق المخلص، في ما بينهما، من أجل انقاذ الكويت الخليجية العربية التي هي أيضاً نُكبت وظُلمت وانتُهكت على مرأى من العالم. ومثلما كرست اتفاقية هلسنكي، في أول آب ١٩٧٥، الأمن والتعاون بين جناحي أوروبا الشرقي والغربي، نرجو لقمة هلسنكي اليوم أن تفرض السلام في الخليج العربي وتبعد شبح الحرب أو السخط الكبير.

لماذا قمة هلسنكي؟

قبل الشروع في الجواب عن هذا السؤال لا يسعنا إلا أن نسأل وبالصوت العالي: ماذا كان يحدث لو أن العراق اجتاح الكويت والعهد في الاتحاد السوفياتي ليس العهد الغورباتشيوفي الحالي؟ بل ماذا كان يحدث لو أن نكبة الكويت هذه وقعت في أيام الزعيم السوفياتي الراحل ليونيد بريجنيف مثلاً؟

ان التدخل الأميركي في الخليج، حسب مفهوم بريجنيف، معناه اعلان الحرب العالمية الثالثة، حين يراه الرئيس غورباتشيوف استبعاداً للحرب بل دعوة للسلام والاستقرار، ولولا هذا المنطق الغورباتشيوفي لتحوّلت آبار الخليج كتلاً نارية وبالتالي سحباً من الدخان ورماداً وأوخاماً وأوبئة. فمنذ الغزو العراقي للكويت يحذر الرئيس غورباتشيوف العراق من خطر هذا الغزو داعياً إلى الانسحاب الفوري غير المشروط وعودة الحكومة الكويتية الشرعية إلى سابق عهدها، ليصار فيما بعد إلى الحوار والتفاهم على أساس الاحترام المتبادل بين النظامين.

هذه هي صحيفة «البرافدا» الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفياتي تقول عشية قمة هلسنكي: «ان البعض يعتقد أن أزمة الخليج كانت السبب الوحيد لعقد القمة ليوم واحد، فيما يلمح البعض الآخر إلى أن الخلافات بين موسكو

وواشنطن تزداد عمقاً». أضافت: «لقد أُعلنت في وضوح مواقف الطرفين التي يمكن أن يكون طرأ عليها تعديل أو أن تكون مختلفة في بعض جوانبها، ولكن من الواضح تماماً أن الاتحاد السوفياتي لا يدعم العدوان ويؤيد تسوية سياسية للأزمة، وموقفنا صادق ويرتكز على مبادىء»[4].

في الوقت نفسه، نسمع وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر يعلن، أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأميركي، أن الولايات المتحدة تفكر في انشاء حلف مع العرب على غرار حلف شمال الأطلسي «لاحتواء النزعة التوسعية» للعراق حتى لو انسحبت القوات العراقية من الكويت[5]. وإذْ أبدى أحد النواب شكوكه في احتواء العراق الساعي إلى الحصول على أسلحة نووية، ردّ الوزير بايكر مشبهاً العراق في حالته الراهنة بالاتحاد السوفياتي إبان الحرب الباردة، قال: لقد «نجح الأمر في اوروبا، والاتحاد السوفياتي يملك أسلحة نووية منذ زمن طويل يعود إلى العهد الستاليني، ومع ذلك اقمنا بنية أمنية اقليمية بحتة. إني لا أشك لحظة واحدة في أن نستطيع الشيء نفسه في هذه الحال»[6].

---

(٤) عن «النهار»: ٦/٩/١٩٩٠.

(٥) (٦) نفسه.

والواقع أنْ ليس الزعيم السوفياتي غورباتشيوف وحده الذي ما يزال يحول دون احتراق الخليج، ذلك أن وقوف بعض الدول العربية، مثل مصر وسوريا والمغرب، إلى جانب الكويت والسعودية، صحّح إلى حد بعيد الصورة الغربية في الشرق العربي والإسلامي، وأسقط الكثير من الأفكار والشعارات التي ظهرت في بغداد وعمان وتونس والخرطوم وغيرها من العواصم العربية، القائلة بأن أميركا وحلفاءها الغربيين سيشعلون في الخليج العربي «حرباً صليبية» جديدة أين منها الحروب السابقة.

لماذا قمة هلسنكي؟

نعود إلى تصريح الوزير الأميركي جيمس بايكر: «ان الولايات المتحدة تفكر في انشاء حلف مع العرب على غرار حلف شمال الأطلسي»، لنسارع إلى القول بأن الغزو العراقي للكويت أوقع العرب، كل العرب، في أزمة لن يخرجهم منها سوى الولايات المتحدة، والحقيقة، أن حالة العرب اليوم لا تقل كثيراً عن حالة أوروبا الغربية عشية التوقيع على ميثاق شمال الأطلسي الذي تمّ في ٤ نيسان ١٩٤٩ في واشنطن، فما بالك إذا ما أصرّ الرئيس العراقي صدّام حسين على الحرب واحتراق الخليج!

لقد دمّرت الحرب العالمية الثانية أوروبا، فدخلتها

الولايات المتحدة من الباب الواسع بل المخلّع المحطّم حاملة معها مشروع سلام: «حلف شمال الأطلسي» المعروف باسم ناتو (NATO) وهو الحرف الأول من اسم المنظمة باللغة الانكليزية (North Atlantic Treaty Organisation).

ما أشبه الأمس باليوم!

وما أشبه الكويت في الفاتح من آب ١٩٩٠ ببولندا في الفاتح من أيلول ١٩٣٩:

بولندا غزاها هتلر فأشعل أوروبا والعالم.

والكويت غزاها صدّام فهل يشتعل الخليج ثم العالم؟

قوات المحور (ألمانيا ـ ايطاليا ـ اليابان) تحدّتْ الغرب والشرق، فكانت الحرب العالمية الثانية.

أي «محور» يستطيع اليوم أن يشعل الحرب العالمية الثالثة؟

لعلّ من حسْن حظ العالم أن صدّام ليس كهتلر، وأن حلفاءه ليسوا كايطاليا واليابان.

وفيما روسيا توسّع نفوذها في أوروبا وآسيا، وُلد ـ في الجناح الغربي من أوروبا ـ النصف الأول من الأمبراطورية الأميركية.

على أنقاض هتلر وكل المانيا وقفت أميركا وروسيا، وجهاً

لوجه، تتناظران حيناً وتمارسان لعبة العض على الأصابع أحياناً.

صحيح أن واشنطن وموسكو عنيدتان، عنيدتان جداً وربما على قدر واحد، ولكن الصحيح أيضاً أن للصبر حدوداً كان ينبغي لموسكو أن تعرفها قبل واشنطن.

في معركة «عض الأصابع» ينتصر من له أكثر من يدين وأكثر من فم وأكثر من معدة، وهذه حالة أميركا الباحثة عن نصفها الآخر.

روسيا صرخت «آخ»، حين أميركا كانت تهمّ بفتح فمها لئلا تغص بلعابها.

التي صرخت من الوجع انسحبت تاركة للولايات المتحدة العالم، بشرقه وغربه، وبهمومه وقضاياه.

وإذ رأى صاحب واشنطن صديقه صاحب موسكو يوشك أن يغْرق في بحر المشكلات السوفياتية، مدّه بمختلف الوسائل لكي ينقذه من خصومه الأشداء.

لقد بدأ النصف الثاني من الامبراطورية الأميركية يتكوّن.

نعم، لقد بدأت «روما» العصر الحديث تطل برأسها الكبير، ولكن من بلاد الشمس والزيت هذه المرة.

لماذا هلسنكي؟

المطلوب من الزعيم السوفياتي الذي يسير منذ سنتين بين الفخاخ أن يعرف حجمه وامكاناته ويقول: «نعم لأميركا»، «نعم لروما العصر».

على أن «نعم» هذه لن تكون رخيصة كما يتصوّر خصوم الرئيس غورباتشيوف. والواضح أن «جوائز الترضية» التي أُعدت لصاحب موسكو بدأت تتقدم من قصر الكرملين لتمجد «العظمة الحمراء» الذاهبة قسْراً إلى التقاعد. فمن البيان المشترك عن التعاون التجاري بين موسكو وواشنطن إلى المعاهدة السوفياتية ـ الألمانية (على أساس المانيا الموحّدة) «لحسن الجوار والشركة والتعاون»، وقد افتتحتها ألمانيا الغربية بتقديمها قرضاً للاتحاد السوفياتي من دون فائدة قيمته ثلاثة مليارات مارك، وسيضاف هذا المبلغ الى الـ ١٢ مليار مارك التي كانت حكومة بون قد وافقت على دفعها لتمويل بقاء الجيش السوفياتي في المانيا حتى آخر ١٩٩٤ وانسحابه بعد ذلك التاريخ، فإلى عودة العلاقات الديبلوماسية المقطوعة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفياتي منذ العام ١٩٣٨، جميع هذه «الجوائز» وما سيتبعها في المستقبل القريب إنما هي بأمر من صاحب واشنطن الذي لا يُردّ له أمْر.

في موسكو أعلن بيان رسمي صدر لمناسبة زيارة وزير

الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل إلى الاتحاد السوفياتي، أن موسكو والرياض قررتا أن تكون علاقاتهما الثنائية «قائمة على أساس ميثاق الأمم المتحدة وعلى قاعدة التعايش والمساواة والاحترام المتبادل للسيادة ووحدة الأراضي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية»(٧). بينما سبق للأمير سعود الفيصل أن قال، في تصريح نشر في الرياض، ان «موقف موسكو القوي في مواجهة الغزو العراقي للكويت جعل الوقت مناسباً لاستئناف العلاقات»(٨) بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفياتي. فلا يظنن أحد أن هنالك تناقضاً أو ما يشبه التناقض بين ما صدر في موسكو وما صدر في الرياض، بل هي الديبلوماسية التي ترتدي لكل مناسبة ثوباً ولكل منبر قفازاً. المهم أن العلاقات بين عاصمة الإسلام وعاصمة الإلحاد عادت لتستمر وعلى جميع المستويات.

يعتقد البعض أن دولاً غربية عدة لن يسعدها أن ترى العالم تحكمه قوة عظمى واحدة، ويحسب أن هذه الدول المتضررة ربما قلبت الطاولة وقضت على مشروع «روما

---

(٧) «السفير»: ١٨/٩/١٩٩٠.

(٨) نفسه.

العصر» قبل أن يصبح حقيقة وواقعاً، فهل ان هذا الاعتقاد في محله؟

عندما كان المدُّ اليساري في الشرق يتنامى ليزحف نحو الخليج، كانت اسرائيل - «الشرطي الاقليمي» - تمسك بالعصا الغليظة وتحذّر «موّكلتها» أميركا من تزايد النفوذ الشيوعي في ديار العرب، ولكن «البعبع الأحمر» أصبح أليفاً جداً لا مخالب له ولا أنياب، وإلى أن يستعيد «شبابه» أو يظهر «بعبع» آخر، ستبقى الولايات المتحدة لا «الشرطي الدولي» فحسب، بل السيد المطاع في الشرق كما في الغرب.

هكذا قالت هلسنكي.

أليس جنوناً أن تعطى واشنطن جميع الفرص الضائعة؟

منذ الاعلان عن حلف شمال الأطلسي (NATO) تتطلع واشنطن إلى التكامل والسيطرة على العالم من أقصاه إلى أقصاه، وكما جاءتها في الأمس أوروبا التي حطمها هتلر صاغرة ذليلة، جاءها اليوم الخليج الذي حطم احدى لآلئه صدام، صاغراً مستعْطفاً مسترحماً، فصح في هتلر وصدام قول بشر بن المعتمر (أبو سهل البغدادي) من كبار المعتزلة:

«إن كنتَ تعلم ما أقو
ل وما تقول فأنتَ عالمُ

أو كـنـتَ تجـهـل ذا وذا
ك فـكُـنْ لأهـلِ الـعـلم لازمْ
أهـلُ الـريـاسـة مـن يـنـاز
عْـهُـم ريـاسـتـهـم مـظالمُ
سـهـرتْ عـيـونهم وأنْـ
ـتَ عـن الـذي قـاسـوه حـالمُ
لا تـطلبـنّ ريـاسـة بـالجـهـ
ـل أنـتَ لهـا مخـاصـم»[9]

رحم الله العرب وثروات العرب
إنّا لأميركا وإنّا إليها لراجعون

(٩) ذكره الدكتور نبيل خليل أبو حلْتم في كتابه «الفرق الإسلامية فكراً وشعراً»، دار الثقافة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م. ص ٣٠٠، عن «أمالي السيد المرتضى» لأبي القاسم علي بن الطاهر بن أحمد الحسيني (ابن المرتضى) طبعة مصر ١٣٢٥ هـ/١٩٠٧ م. ج ١ ص ١٣٢.

القسم الثاني

مِنَ العَاصِفَة الى العَاصِفَة

- ١ -

أيّ كويت ؟
أيّ صَيْف ؟

- ١

لم يخطر في بالنا أن في الصيف
تستقيل الأزهار
وتموت الأسماك
وتُسفح المهج .

- ٢

لم يخطر في بالنا أن في الصيف
تفتقد الشمس
وتُسحق الجرار
وتُهشَّم الأباريق
ويُغتال القمر

(*) كتبت في ١٣/٨/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ٣/٩/١٩٩٠ .

- ٣

لم يخطر في بالنا أن في الصيف
تُسمَّم الأنهار
وتُدمَّر العيون
وتُنحَر الجِمال والخيول

- ٤

لم يخطر في بالنا، يا كويت، أن يحدث
هذا الذي حدث
لم يخطر في بالنا
لم يخطر في بالنا

- ٥

حينَ كنتِ زهرة، كانت أنوفُنا لا تشمُّ
سوى البعيد البعيد
ضيّعَنا، يا كويت، هذا البحر، الخليج، المحيط
علَّمَنا الرحيل
قتَل فينا الرجولة
بدّل أقلامنا بنادق
وأشعارنا هذياناً
وتواضعَنا غروراً
وحياءنا فجوراً

- ٦

كنا نظنُّ أن الله معنا
ينام معنا
ويرحل معنا
ويلعب معنا
ويفكر معنا
بل عنا
ويقاتل معنا
ويكذب مثلنا
لأجلنا.

- ٧

كل المواعيد الجميلة، يا كويت، أُلغيت
السنة الثالثة والثلاثون نهاية عمر «العربي»[1] بل نهاية النهايات.

- ٨

في السنة الثالثة والثلاثين بدأ الصلبُ على الأخشاب
وبدأ الانسان يعشق سقوطه
ويلعق دمه

---

(١) مجلة «العربي»، ثقافية مصوّرة، تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت.

ويضحك لمأساته
ويغني لجلاّده
ويعزف صخباً
ويزرع يأساً
ويحصد يأساً
في السنة الثالثة والثلاثين

٩ -

كل المواعيد الجميلة، يا كويت، أُعدمت
عالَمك، الذي كان «فكراً» و «معرفة»[٢]
سكت قلبه فجراً، وانسحب كالغيمة
ما أتعسَ حظ «الفكر» وحظ «المعرفة»
ما أشقاكِ، يا كويت، وأشقانا
مكتباتنا فاتها أن تعلن الحِداد
فاتها أن «الفكر» مات
و «العلم» مات
والحق مات
مكتباتنا فاتها أن تلبس السواد

(٢) إشارة إلى «عالم الفكر» و «عالم المعرفة». الأولى فصلية. الثانية سلسلة كتب ثقافية شهرية. يصدرهما المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إلى مجلات ودوريات أُخَر.

لكنها لا بد أن تلبس السواد

١٠ -

يا كويت،
يا جُرح الخليج المختلَفِ عليه
أيتها السمكة الذهبية المقتولة
أيتها الكف الممدودة
الممدودة للأسود والأبيض
للشقيق والصديق
للقريب والبعيد
للصغير والكبير
للضعيف والقوي
للسائل والمحروم

١١ -

يا كويت،
يا مدينة التحدي الانساني
يا درة نادرة
أي عين حاسدة ضربتكِ
أي يدٍ آثمة قتلتكِ
وما كفّنتكِ
أراكِ نسيتِ أن المغازي لا خاتمة لها

وأن الرحمة لا تسكن قلوب الطواغيت
أراكِ نسيتِ كثيراً كثيراً
لتحبي كثيراً كثيراً.

١٢ -

وعدتنا «العربي»[٣] بـ «العربي»[٤]
بمقالةٍ مميّزة: «في الكويت.. يصبح الصيف أمتع»[٥]
أيُّ كويت؟
أيّ صيف؟
الوعد طريف جميل
الوعد جزء من الحقيقة
جزء من الحلم
نسيت ذات الثلاثة والثلاثين أن «الرياح»
قد تجعل الحلم خرافة
أيُّ كويت؟
أيُّ صيف؟
وعدتْنا «العربي» بـ «العربي»

(٣) العدد ٣٨٠، السنة الثالثة والثلاثون، تموز ١٩٩٠.
(٤) العدد ٣٨١، السنة الثالثة والثلاثون، آب ١٩٩٠.
(٥) مقالة بقلم ريم الكيلاني، كان ينبغي للعدد القادم من «العربي» (آب ١٩٩٠) أن يتضمنها.

بالصيف ـ الحلم
لكنما الكويت ضاعت
ضاعت بين الأمتع والأوجع.

١٣ -

يا كويت،
يا كلمة لا تملك خنجرا
يا رسالة إلى عالم لم يكتشف البريد
حتى الآن
كل الأوطان الصغيرة بعدكِ إلى زوال
كل الشعوب الضعيفة بعدكِ إلى المعتقَلات
كل الحريات بعدكِ مائتة
كل العهود بعدكِ باطلة
إن حزني، يا كويت، يسبق خوفي
نصفه عليكِ
ونصفه على... لبنان
لم يخطر في بالنا، يا كويت، أن يحدث
هذا الذي حدث
لم يخطر في بالنا

دَولـةٌ وأمـير*

إن الحرب تقتل البقرة الحلوب

- ١

في الفاتح من آب الماضي زحفت بغداد إلى الكويت، تحمل دفترها العتيق بيد والسيف «النبوخذنصري» باليد الأخرى.

بين الساعة الثانية والعشرين والساعة الرابعة والعشرين قرأت بغداد، على الكويت، صفحة وبعض الصفحة من الدفتر المنسي أو المهجور:

«إذا كانت الحركة عرَضاً، وكان لا عرَض في الدنيا إلا الحركة، فما يكون السكون؟

الشديد القوي ينطق إذ لا ينطق عن الهوى.

الضعيف يسكت ولو بلغ السماء وعانق النجوم.

(*) كتبت في ٢/٩/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ١١/١٠/١٩٩٠.

الثروة من الله، فمن أحسن إدارتها أحسن إلى الله وخلقه، ومن أساء إدارتها أساء إلى الله وخلقه.

قارون سقط عند أول منعطف يتلوّى من الحزن أو الخوف أو الشعور بالذنب.

المجدُ لموسى يتأبط عصاه وبيانه اليتيم».

- ٢

كانت الكويت، آنذاك، تخلد إلى السرير مهدهدة، تغالب جفونَها الرغائب والأحلام وما بينها وإليها.

لم تستطع زهرة الصحراء أن تسمع جيداً.

أدركها الصوت مثلَ شِعْر عراقي قديم، ليس له وزن ولا قافية.

أدركها مثل مزمور أو آية أو موعظة
خيال الكويت تجاوز الشمال وما وراءه
برزت لها غيمة تشبه فرَسَ النهر
أيقنت أن المطر لا يأتي عبثاً
وأن الشتاء قد يسبق أوانه
الفرَسُ صارت دبّابة
تذكرت الكويت الفن التجريدي
والسراب وبخار البحر
رفعت اللؤلؤة يديها تستمطر

جبينها برَد أو تندّى
أخذها النوم.

- ٣

بين الساعة الصفر والساعة الثانية قرأت بغداد أيضاً ودائماً من دفترها العتيق:

«نعتقد أن البدن آفة على الروح حابس لها
إذا الروح فارقت البدن ارتفعت إلى الأعلى
كذلك النار والنور حين يتخلصان من الشوائب
الروح الخفيفة إلى فوق إلى عليّين
الروح الثقيلة إلى تحت، إلى الأسفل
الحق لا يضيع في الرمال مهما تحرّكت
الحق لا يصدأ
الحق لا يتعفّن
استيقظي يا كويت،
استيقظي
وجدتُ الحَرَّ مضاداً للبرد.
ووجدت أن الضدين لا يجتمعان في موضع واحد من ذات نفسيهما.
فاعلمي، يا كويت، أن لهما جامعاً جمعهما وقاهراً قهرهما على خلاف شأنهما».

رفعت اللؤلؤة رأسها دون أن تفتح عينيها
ذلك أن الأذن تعشق أو تكره قبل العين وربما دائماً أيضاً.

- ٤

الواقع أن الكويت عركت عينيها كما لو تسير في الظهيرة

ما زالت تحسب الصوت شِعْراً عراقياً قديماً، ليس له وزن ولا قافية.

قالت الكويت: من يَعِظ نائماً كمن يعظ فيلسوفاً في أثينا أو شاعراً في عكاظ أو حنبلياً في بغداد أو إمامياً في النجف أو أزهرياً في القاهرة.

ردّ الصوت: إن الظلام يا كويت موات ثقيل
قالت: بل ان الخفيف الحي محال أن يصير ميتاً ثقيلاً.
وغضبت بغداد مما سمعت ورأت فقالت: محال أن يصير الثقيل الميت حياً خفيفاً.
تراجع الصوت، ثم تراجع.
نامت اللؤلؤة.

- ٥

بين الساعة الثانية والساعة الثالثة ارتجّ الباب أو السرير.
مذعورة نهضت اللؤلؤة تتلمس أطفالها وجواهرها.
عاد الصوت يطاردها:
«إن النور يا كويت يذهب علواً والظلمة تذهب سفلاً.

من أراد أن يعرف النور فلينظرْ إلى الفقراء.
ومن أراد أن يعرف الظلمة فلينظرْ إلى قارون
لا نفط يا كويت بعد اليوم
لا ذهب يا كويت بعد اليوم
لا حرير يا كويت بعد اليوم
النور يا كويت يفعل الخير ولا يكون منه الشر.
الظلام يا كويت يفعل الشر ولا يكون منه الخير.
افتحي الباب والنوافذ
بغداد قادمة
لا تحاولي أن تخبئي جواهرك ونقودك
أخرجي ثيابكِ وجزادينكِ وأحذيتكِ
إن الثورة يا كويت كانت في فكرنا قبل أن يخلقك الاستعمار
بغداد قادمة.
بغداد قادمة.

٦ -
شهقت اللؤلؤة
لملمت بعضها
فتحت الباب الكبير
قالت ويدها إلى عنقها:
«لا أنا فاجرة ولا زانية

الله أعطى.
أنا أخذتُ وأعطيت
وأكلت وأطعمت
وشربتُ وسقيت
ولبستُ وألبست
وسمعتُ وأسمعت
بغداد هي بغداد
والكويت هي الكويت
ليست الثورات دائماً على حق
وليس الثوار دائماً ثواراً»
ردّ الصوت:
«اليومُ يومُكِ يا ظالمة»
قالت:
«بل أنتَ الظالم
وأنتَ المفتري
وأنتَ المعتدي»
قال:
«اليوم تتغلّب الجغرافيا على ما عداها
اليوم تستعيد الأم ابنتها وأحفادها
اليوم يقف الحق على الماء».

قالت:

«بل اليوم تُرتكب جريمة

واليوم تشتعل حرب

لا يخرج إلى الغزو سوى الفاشلين أو الحاقدين أو الحاسدين أو المرتهنين أو المتورطين أو المشبوهين أو جميعهم»

قال:

«اليوم بُعث الاسلام والنبي

فإما أن تتوبي يا كويت، وإما أن تتهيأي للعذاب. ان عذاب الله لشديد».

٧ ـ

بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة انطلق الموكب البغدادي المدجَّج المدرّع في تنفيذ مهمته «القومية ـ الإسلامية».

أي نكبة حلّت بلؤلؤة الخليج!

الغازي البغدادي يتمختر في شوراع الكويت، معلناً زوال دولة الأمير، متمثلاً بشاعر «السلَف الصالحين» الذي أعلن زوال دولة «أهل البدع» مؤذناً بأنفراط عقد «حزب إبليس»:

«ذهبتْ دولة أصحاب البدعْ
ووهى حبلُهم وثم انقطع

وتداعى بانصراف جمعهم
حزبُ ابليس الذي كان جَمع
هل لهم يا قوم في بدعتهم
من فقيه أو إمام يُتَّبع..»[1]

وهكذا ضاعت هوية الغازي البغدادي.

هل هو نَظَّامي»[2] معتزلي أو «سلفي» حنبلي؟.

لست أدري.

٨ ـ

التقى كويتي صاحبه فكان بينهما هذا الحوار:

ـ الغزو من عمل الانسان أم من عمل الشيطان؟

ـ الغزو معناه القصد.

ـ بل السيرُ إلى قتال العدو وانتهابه.

ـ هل نكبتُنا غزاة أم غزوة؟

ـ هي الاثنتان معاً.

ـ كيف؟

(١) ذكره زهدي جار الله في كتابه «المعتزلة»، الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٧٤، ص ١٨٥، عن «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لأبي الفرج ابن الجوزي ص ٣٥٨.

(٢) نسبة إلى ابرهيم النظّام (٣٣١ هـ/٨٤٥ م)، تلميذ أبي الهذيل العلاّف. متكلم معتزلي نشأ في البصرة وأقام في بغداد حيث توفي.

ـ في الحديث: قال يوم فتح مكة لا تُغزى قريش بعدها، أي لا تكفر (قريش) حتى تُغزى.

ـ وإذا أخفق الغازي ولم يظفر؟

ـ المهم أن مكة لن تعود دار كفر يُغزى عليه.

ـ يُفهم من كلامك أن الكويت كانت دار كفر؟

ـ البغدادي اعتبرها كذلك فغزاها.

ـ وما وجه الغزو؟

ـ قال سيبويه: وأغزيت الرجل أي امهلته وأخرت مـالي عليه من الدّيْن.

ـ والذي لا يمهل ولا يؤخر؟

ـ يُغزى.

ـ ويُنْهَب؟

ـ ويُنْهَب.

ـ ويُطرَد من منازله؟

ـ ويُطرَد من منازله.

ـ ويُقْتَل؟

ـ ويُقتَل انْ هو قاوم.

ـ والمغازي؟

ـ مناقبُ الغزاة.

ـ الكويت؟

ـ إلى أجل غير مسمّى.

ـ ومكة؟

ـ ليست مغزى.

ـ حتى الآن؟

ـ إلى يوم القيامة.

ـ ولكن البغدادي حذّرها من الكفْر

ـ بل حذّر نجْداً والحجاز

ـ والنهاية؟

ـ الله أعلم

ـ أراحلٌ أم مقيم؟

ـ راحلٌ، إنْ شاء الله

ـ إلى أين؟

ـ إلى الأمير. وأنت؟

ـ راحل أيضاً، إنْ شاء الله

ـ إلى الأمير؟

ـ أجل، وهل غير الأمير يُطعمنا ويسقينا؟

ـ هل الفرْد حرّ في اختيار أفعاله؟

ـ البغدادي يقول: لا.

ـ والأمير؟

ـ رحم الله عهدَ الأمير.

- ٩

بين الساعة الخامسة والساعة الثانية عشرة دخلت الكويت في ذمة بغداد.

واللؤلؤة تبعثرت حبّاتها.

لا ماء.

لا كهرباء.

لا أمن.

كلُّ شيء في الكويت تصحَّر.

كل شيء في الكويت للنهب.

الذهب

النقد

الثياب

الأثاث

الطعام

الساعات

الأحذية

الكويت، بمستشفياتها وكلياتها ومدارسها واداراتها، نُهبت أو سُلبت.

الذين عمّروا الكويت هربوا منها تاركين وراءهم جنى العمر.

اللبنانيون، المصريون، الايرانيون، الهنود، الباكستانيون، الاتراك، الفيليبينيون، وغيرهم وغيرهم، حملوا أمتعتهم ومضوا في صحراء التيه يبكون الأمير والدولة التي منحتهم الأمن والأمان والعزّة.

قَتل العطَشُ أو الحر عشرات.

الغازي البغدادي دمّر أو حرق أو سرق أو نهب ما بناه الأمير وأصحاب العقول الجبّارة.

زهرةُ الصحراء ابتلعتها الرمال

فكأن الصحراء ممنوعٌ تعميرها

وممنوعٌ تحديثها

وممنوعٌ تطويرها

وممنوعٌ تمدينها

وممنوعٌ تشجيرها

وممنوعٌ تزيينها بالحدائق والجنائن والبِرَك والأحواض.

- ١٠

سأل استاذ جامعي مصري زميله وهما يغادران الكويت إلى مصر:

- لماذا بغداد تتحدث عن نجد والحجاز وليس عن المملكة العربية السعودية؟

- قبل انشاء المملكة العربية السعودية كان على الحجاز أمير، هو أمير مكة الشريف الحسين، وعلى نجد أميران، هما ابن

السعود وابن الرشيد. السعودي أزاح الأميرين ودعا البلاد «المملكة العربية السعودية». حتى ان الشريف الحسين الذي حالف الانكليز لنزع النير التركي عن امته خطب في أبها ـ قاعدة عسير ـ يوم الاحتفال بذكرى إعلان الدستور العثماني، مؤكداً اخلاصه للدولة العثمانية: «اعلموا علم اليقين أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدّة اعتناء خلفائها بالأمة الإسلامية... لاختطفتكم الدول الأجنبية اختطاف الذئاب للغنم المنفرد»[3].

ـ وماذا بعد؟

ـ لما قويت شوكة الانكليز باع الشريف الحسين آل عثمان بوعد من المملكة البريطانية أو ما يشبه الوعد.

ـ ولكن...

ـ ولكن الوعد أو شبيهه تبخّر، فساند الانكليز آل سعود على تحقيق مشروعهم الملكي، إذ وحّدوا نجداً والحجاز وعسيراً.

ـ لذلك قال العاهل الأردني الملك حسين: «الذي يريد أن يكرّمني يسميني باسمي، والذي يريد أن يكرّمني أكثر وأكثر

---

(٣) سليمان موسى: الحركة العربية (المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ ـ ١٩٣٤) دار النهار للنشر، الطبعة الثالثة ١٩٨٦، ص ٥٤.

فاسم الشريف حسين، هو اكثر ما يمكن أن أُكرّم به في هذه الحياة»[4]؟

ـ ربما. ولكي يُدعى الملك حسين «الشريف حسين» لا بد له من العودة إلى مكة. إلى إمارة مكة.

ـ والمملكة العربية السعودية أين تذهب؟

ـ بغداد هي التي ستذهب بها ولست أنا.

ـ إلى أين؟

ـ إلى نجد. إلى إمارة نجد.

ـ والمملكة الاردنية الهاشمية؟

ـ تقصد شرق الاردن؟

ـ أجل.

ـ هذا يصبح دولة فلسطينية فحسب.

ـ متى سيتم ذلك؟

ـ عندما يرجع «الشريف الحسين» (الملك حسين) إلى مكة، وآل سعود إلى نجد.

ـ والبترول؟

ـ لن يكون عربياً بكل تأكيد.

ـ لعلّك نسيت مقولة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر: «بترول العرب للعرب».

---

(٤) «النهار»: ١٣/٨/١٩٩٠.

ـ رحم الله جمالاً. كان حكاية، حكاية فقط.
ـ كأني بك ترسم خريطة الخليج الجديدة؟
ـ بل الأحداث هي التي ترسم الخريطة التي ذكرت.

ـ ١١

بعد اجتياح العراق للكويت صار على الولايات المتحدة الأميركية أن تحتوي هذه القضايا الرئيسية الثلاث:

ـ اسرائيل.
ـ الإسلام.
ـ النفط.

ذلك أن اسرائيل وُجدت لتبقى، والإسلام يستمر كما هو ومتنازَع عليه بين العرب والعرب، وبين العرب والفرْس. مثلهما النفط، خصوصاً النفط العربي. إذا الادارة الأميركية قبضت على الخليج قبضت على اسرائيل والإسلام.

ننتظر من الرئيس جورج بوش أن يطالعنا، قريباً وقريباً جداً، بمشروعه الشرق الأوسطي.

هل تحقق الولايات المتحدة أقصى طموحاتها؟

ـ ١٢

يُذكَر أن المرحوم نوري السعيد، حين كان وزيراً للخارجية العراقية، رأس وفْدَ بلاده إلى الأقطار العربية في آذار ونيسان ١٩٣١ فعقد معاهدة صداقة مع شرق الأردن

ومعاهدة صداقة وتبادل تسليم المجرمين مع مملكة الحجاز ونجد ومعاهدة تسليم المجرمين مع مصر، ما دعا المغفور له الملك فيصل الأول إلى منحه وسام الرافدين من الدرجة الأولى والنوع المدني في ٢٦ آذار ١٩٣٢، فحيّا شاعرُ العراق معروف الرصافي نوري السعيد قائلاً:

«تِهْ، يا وسامَ الرافدين، بصدر من
هو في العلى للرافدين وسامُ
نوري السعيد، أبو صباح، من به
سعد العراق فثغره بسّامُ
قد أنعم الملك المطاع به لكي
يزدان فيه وزيره الضرغامُ
يا حبذا ذاك الوزير، وحبّذا
الملك المطاع وحبّذا الإنعام
زُهي الوسام بصدره، فكأنه
تاجُ المليك يحفّه الإعظامُ
صدْرٌ إذا الخَطْبُ ادلهمَّ تلألأت
فيه السجايا الغرّ والأحلام
وإذا تنهّدت الصدور لحادثٍ
بدت الشجاعةُ منه والإقدام»(٥)

(٥) عن أعلام السياسة في العراق الحديث، تأليف: مير بصري، دار رياض الريّس للكتب والنشر، لندن، طبعة ١٩٨٧، ص ١٣٨.

هل تقرأ بغداد، اليوم، تاريخ فيصل ونوري السعيد؟

إلى أين تذهب بغداد في سياستها الخليجية بل الجوارية؟

ومهما يكن، فان الجوار، كما فهمه العرب، «هو الحماية والنصر من القوي القادر للضعيف واعطاء الأمن ورد العدوان»، بل ان «قيام الرجل أو الجماعة أو القبيلة بحسن الجوار وبذل الحماية لمن لا تجب له بسبب غير الجوار يُعد عرفاً محموداً عندهم (العرب)». والجوار، في المقابل، «دليل على قوة المجير وسيادته في قبيلته عندما يجير عليها فتذعن لجواره وتحفظ عهده». لذلك «تعد حاجة المستجير إلى الحماية وانضواؤه تحت كنف القوة ليأمن البطش والخوف الذي يخشاه على حياته أو ماله أو عرضه دليلاً على ضعفه وتنازله عن حقه في الدفاع عن نفسه إلى من استجار به»(٦)، ومن أسف أن يستجير العربي، في هذا العصر، بغير العربي ليأمن بطشة أخيه العربي وطمعه وحسده وشرّه.

- ١٣ -

في مرور شهر على اجتياح العراق للكويت، نود أن نذكّر

(٦) الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي، تأليف: الدكتور مرزوق بن صنعَان ابن تنباك، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت (الحولية الحادية عشرة، الرسالة السبعون) ١٩٨٩/١٩٩٠، ص ٢٥.

الرئيس العراقي صدّام حسين بحديث، بجزء من حديث «الرفيق صدام حسين» لمجلة «دير شبيغل» الالمانية، فيما كان العراق على وفاق مع سوريا ضد الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات وزيارته للقدس، وكان الرئيس صدّام نائب رئيس مجلس قيادة الثورة. لقد سألهُ مندوب المجلة: سيادة النائب، يقول الرئيس السادات لا يوجد طريق سوى المفاوضات، وسيناء عادت إلى مصر بواسطة هذا الطريق، فلماذا ترفضون هذه المفاوضات مع اسرائيل؟ فردّ النائب (الرئيس):

«كيف نفهم السيادة؟ هل نفهم السيادة على أنها استبدال حاكم أجنبي حاكماً أجنبياً آخر وتسلط أجنبي تسلطاً أجنبياً آخر؟ عملياً السادات أعاد بعض سيناء اسماً فقط وجعل أميركا تحتل سيناء عسكرياً كبديل من الاحتلال الصهيوني، وجعل أميركا و(اسرائيل) تحتلان مصر كلها بالسياسة وبالاقتصاد وبالثقافة وبكل النشاطات الأخرى، فكيف نفهم أن السادات قد استرجع سيناء؟ ليته لم يسترجعها لأن العدو كان سيظل بعيداً عن مصر في سيناء فقط، أما الآن فقد أصبح في القاهرة. ثم أنه (السادات) تخلى عن واجب في الوقت الذي أعاد سيناء وفق الطريقة التي أشرنا إليها»(٧).

(٧) سياستنا تجسيد لحاضر الأمة ومستقبلها ـ حديث الرفيق صدام =

الا يحسب الرئيس صدام أن اجتياحه للكويت يفرض احتلال أميركا للخليج، كل الخليج، بما فيه العراق؟

لن تدع الولايات المتحدة الأميركية واسرائيل وحكومات الغرب والشرق أحداً، مهما يكن قوياً وغنياً، يهيمن على الخليج. وكما اعترف الرئيس صدام، بعد عشر سنين من الحرب والخصومة مع إيران، باتفاق الجزائر (١٩٧٥) في شأن الحدود العراقية ـ الإيرانية، وبادر إلى سحب قواته من الأراضي الإيرانية التي احتلها، لا بد أن يعترف غداً بأن تمدّده نحو الكويت إنما كان خيراً لأميركا واسرائيل وشرّاً على العرب، خليجيين وغير خليجيين، وأي شر؟

وقال النائب (الرئيس) صدّام، في ما قال للصحافي الألماني: «وعلى حسب ما أظن (فـ) ان الحرب تقتل البقرة الحلوب»(٨).

أجل، الحرب تقتل البقرة الحلوب وربما أهلها أيضاً.

أليس الخليج البقرة الحلوب؟

لماذا نصرّ على ذبحها؟

= حسين لمجلة «دير شبيغل» الألمانية، منشورات الثورة ـ بغداد ١٩٧٩، ص ١٩.

(٨) المصدر نفسه: ص ٣٨.

ـ ٣ ـ

الخطاب السياسي العراقي المأزوم*

يعاني الخطاب السياسي العراقي، في هذه الأيام، أزمة حادة بالغة يُخشى أن تفصله عن الواقع والضرورة، ويخشى كذلك أن يصبح في القريب العاجل ميئوساً منه، وعندئذ لن ينفعه لا الفقه ولا الفقهاء، حتى ولا أصحاب الفتاوى مهما علت مستوياتهم العلمية والمعنوية، وهذه حالة لا نتمناها له بكل تأكيد.

لماذا الخطاب السياسي العراقي في أزمة؟

لعلّ في الجواب عن هذا السؤال ما يشبه المجازفة أو الكلام من غير قانون وبدون تبصّر، ولكن الثابت أن السكوت عنه لا مبرر له سوى الخوف من الخطاب نفسه، وقد ألقى بظلاله الكثيفة الثقيلة على فئة من الناس، في غير عاصمة ومدينة، كانت لأيام خلت هادئة ساكنة، فصارت تنذر وتتوعد وتطلق

(*) كتبت في ١٢/٩/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ٢١/٩/١٩٩٠.

شعارات شتّامة لعّانة، بغية تدمير الجسور والمنافذ والقنوات التي أقمنا ونقيم بيننا وبين العالم، دونما النظر إلى المخاطر والمآسي التي لا بد أن تنجم عن فعلتهم هذه. لذلك قرنا الاجابة ملتزمين العلم والموضوعية، فنرجو التوفيق في مسعانا المتواضع البريء من الاستفزاز والتحدي وما يماثلهما.

أولاً: الخطاب والآلية

ان الخطاب السياسي العراقي، ونحن في صدد قراءته الآن، قديم شكلاً ومضموناً، ولا أمل في انسجامه وتعقيدات الآلية الحربية الموكول إليها تنفيذ النص الخطابي من ألفه إلى يائه. لذلك سيتفاقم الشك في جدية النص وصدقية الجهوزية على حد سواء حتى يثبت العكس.

والحقيقة أن هذا الخطاب أو النص في معظمه استلابي، ويمكننا وصفه بالقلِقَ المحموم، لشدة الاضطراب المتحكم في نبرته وكلماته وحروفه. ذلك أن الوعد بالعدالة الالهية والرحمة الواسعة وانتزاع المال من «قارون» وأمثاله، بحجة توزيعه على المعوزين والمحرومين، إنما هما ضرب من الاغراء الرخيص والتعليل والتبرير الوهميين، وقت لا يملك الواعدون سوى التثوير والتحريض والتقريع سبيلاً إلى عواطف الفقراء وغرائز الصعاليك والمعارضين والناقمين والحاقدين.

أين يصبح الخطاب الاستلابي، القلق المحموم، مثلما قلنا، إذا الآلية أو الجهوزية لن تترك وراءها غير الأرض المحروقة والمقابر الجماعية والقلوب المفجوعة والنفوس المحطّمة؟

لمن العدالة؟

ولمن الثروات؟

ان الاحساس بالأمن والأمان، إلى الانسان أو الجماعة أو الأمة، لا يقوم إلا على ما يملك الانسان وما تملك الجماعة والأمة، بيد أن منطق الحرب المتوقَّعة هو منطق الجحيم فحسب.

ثمة طريق واحد يلغي منطق الحرب، منطق الجحيم، ويعطل الجهوزية التدميرية، وهو الخروج من الحالة الأنانية المريضة المتردية إلى الحالة الانسانية الصحية الاستيعابية، فالى اتحادنا ـ تالياً ـ والعالم المحيط بنا. وأما إنْ غلّبْنا منطقَ الحرب على منطق الحوار فكل المُثُل إذ ذاك تصبح باطلة ما عدا علة الحرب، حيث لا عدالة ولا رحمة ولا أمن ولا أمان ولا ثروات بل جنون، وأي جنون. فلماذا التلاعب بأعصاب الناس والعبث بأدوات الدمار الشمولي؟

ثانياً: تاريخية الخطاب

الواضح أن الخطاب السياسي العراقي المأزوم يغرف من

بحـر القـرآن، ولا يغـرف من سـواه. ولكن الغـرْف، في مجمله، عشوائي عبثي ضبابي، وفي اعتقادنا أن لن يمضي وقت طويل حتى تستقر الأمور ويدخل الخطاب في تاريخية القرآن والتراث السمعية الأخلاقية التي لا تغيّر واقعاً ولا تفرض جديداً.

لقد سطا الخطاب على القرآن فأخذ منه ما شاء له أن يأخذ، ولو وضع «خطيب بغداد» على رأسه العمامة ولبس الدرع واتكأ على السيف أو العصا لقلنا إن التاريخ يعيد نفسه، والحقيقة أنه (البغدادي) آثر أن يظل حاسراً حليقاً متأنقاً، فإذا بنا أمام خصمين غير متكافئين لا نعرف أيهما «النبي» وأيهما «قارون».

حدّثنا القرآن عن «قارون» الذي أتاه الله من الكنوز ما أشعره بالقوة والعظَمة والجبروت. قال: «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبية أولي القوة، إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين. وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغِ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين. قال انما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون»[1].

(١) سورة القصص ٧١/٧٣.

على أن «قارون»، ودائماً بحسب قول القرآن، استكبر واستعلى وظلَم وقتَل وفتك وعربد «فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثوابُ الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون»[2].

وكما «قارون» كذلك خصمه الذي دعا الناس إلى مساندته وشد أزره وتأييده، دفاعاً عن الحق وانتصاراً للعدالة والاصلاح والحرية، حتى إذا لبُّوا دعوته ونال مبتغاه، نكث وعوده وتعهداته ومضى يفسد أيضاً ويطعن متفوقاً على «قارون» نفسه و«القارونيين». و«من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويحمد الله على ما في قلبه وهو الدُّ الخصام. وإذا تولى مسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتّقِ الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم وبئس المهاد»[3].

لم يجد صاحبنا البغدادي مثل القرآن مصدراً لخطابه الهجومي التبريري. حين القرآن سيف ذو حدّيْن، ومثلما استعمله البغدادي في خطابه الثوري يستطيع كذلك الكويتي أو

(٢) نفسه ٧٩/٨٠.

(٣) البقرات ٣٠٤/٣٠٦.

الحجازي أو العُماني أو البحراني أو سواهم من أصحاب المال المسلمين استعماله في الخطاب الدفاعي الذرائعي. ذلك أن الثروة، مهما عظمت، فمن عند الله، وليس على الفقراء والمحتاجين والمحرومين سوى أن يسعوا في مناكبها ويقتنعوا بما رزقهم الله. «قل (لهم) لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم (بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه من عند الله) والله أعلم بالظالمين»[4].

لذلك لا يكفي أن نتخذ من القرآن داعماً لمواقفنا وحروبنا وثوراتنا ومنازعاتنا، بل ينبغي تأطير هذه المواقف أو الحروب أو الثورات أو المنازعات وما إليها في الإطار الايديولوجي فحسب، كأن نعلن مثلاً عن مواقعنا التي قد تكون إمامية أو سلفية «رحمانية» أو وهّابية أو اباضية أو غيرها، فتصبح أعمالنا هادفة موجهة وليست ضبابية غير معروفة الحدود والأبعاد. ان لنا في فتوى السيد أبي القاسم الخوئي الشيعي الامامي الاثني عشري وفتوى مفتي مصر السني الأزهري الشيخ سيد طنطاوي خير دليل على قولنا هذا.

ففي بغداد أعلنت وكالة الأنباء العراقية أن أعلى مرجعية دينية شيعية في العراق أصدرت فتوى تحرّم «الاستعانة بالكفار

(٤) سورة الأنعام ٥٨.

على المسلمين»، ودعت هؤلاء إلى «الوقوف سداً منيعاً في وجه أعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين». وأوضحت أن الفتوى التي أصدرها آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي تأتي اثر انتشار القوات الأميركية في السعودية لـ «تدنيس أرض المقدسات والأنبياء» في مكة والمدينة.

ودعا الخوئي المسلمين إلى «أن يتركوا الخلافات ويوحّدوا كلمتهم ويتغلبوا على مشاكلهم بحلها بالطريق السلمية والتفاهم في ما بينهم ليجنبوا الأمة ويلات الحروب وإراقة الدماء وليقفوا سداً منيعاً في وجه أعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام»[5].

وفي القاهرة اعتبر مفتي مصر الشيخ سيد طنطاوي أن المسلمين مدعوون وفقاً لتعاليم القرآن إلى مقاتلة العراق الذي يمثل «الطائفة الباغية».

واستند الشيخ طنطاوي إلى آية من سورة الحجرات تقول: «وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين»[6].

(٥) عن «النهار» ١٨/٨/١٩٩٠.

(٦) سورة الحجرات ٨.

ويقول المفتي طنطاوي في تصريح نشرته صحيفة «أخبار اليوم» المصرية ان من «واجب المسلمين مقاتلة العراق لأن هذا البلد ارتكب بغزوه الكويت عملاً عدوانياً على طائفة أخرى من المسلمين»[٧].

إذا أخذنا بمنطق القرآن المجرد، فإن أياً من المفتين لم يخطىء وإن كلا الخطابين، البغدادي والكويتي، صحيح تماماً، ولكن لماذا الاعتداء ولماذا التقاتل؟. «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله توّاب رحيم»[٨].

نعم، إن القرآن سيف ذو حدّين. فمن بادر إلى امتشاق هذا السيف وضرب وانتصر، انتصرت معه الدنيا وحق على المفتين في جميع ديار الإسلام تأييده والوقوف إلى جانبه، ولولا

(٧) عن «الديار» ١٩/٨/١٩٩٠.

(٨) سورة الحجرات ١٠/١٢.

السياسة والمال والمصالح لعمّت العالم العربي والاسلامي الأفراح والتظاهرات الشعبية والرسمية ابتهاجاً بالاحتلال العراقي للبلد الشقيق الصغير المسالم: الكويت.

ومهما يكنْ، فإن الله، الله القرآن، قوي ويحب الأقوياء في كل زمان ومكان. أما الضعفاء أما القليلو العدد، فما عليهم إلا أن يصبروا ويصابروا حتى يفرج الله عليهم، ان «الله مع الصابرين». ومن أسف أن العراقي أكل لحم أخيه الكويتي وهَمَّ بأن يأكل لحم أخيه السعودي وغيره، فكان لا بد من الاستعانة بالأجنبي المتهم بـ«تدنيس المقدّسات» الاسلامية. ولا شك أن آية الله الخوئي يعرف تماماً أن الذي يأكل لحم أخيه ميتاً إنما هو أشدّ على أمته من ذلك الأجنبي الذي دعاه، على غير حق، «كافراً» و«مدنساً». إن هذه الخرافة يجب أن ننساها وإلى الأبد إن كنا نتوق إلى عالم متقدم متحضر فعلاً.

ثالثاً: في الأسباب والدوافع

في مؤتمر القمة الثالث لمنظمة المؤتمر الاسلامي المنعقد في مكة في تاريخ ٢٥ ـ ٢٨ كانون الثاني ١٩٨١، تحدّث الرئيس العراقي صدّام حسين عن أبعاد الحرب العراقية ـ الايرانية. قال:

«منذ ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ كان العراق وسيبقى

من أشد المتمسكين بسياسة عدم الانحياز القائمة على مبادىء عدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام السيادة الوطنية لجميع الدول والحرص على السلام والأمن في العالم.

«وجانب ذلك، أن سياستنا الخارجية لا تسمح مطلقاً بالتساهل بأي شكل من الأشكال فيما يخص استقلال العراق والبلاد العربية وسيادتها وحرمة أراضيها من قبل أية جهة كانت وتحت أية ذريعة أو غطاء». لقد «تمسكنا بهذه السياسة وبهذه المبادىء في سياستنا الخارجية انطلاقاً من مبادئنا ومن حاجة عميقة لها، ومن تجربة وطنية وقومية طويلة في هذا الاتجاه. فلا يخفى عليكم أن أي خلل في أسس التكافؤ في العلاقات بين الدول سيؤدي بالتأكيد إلى المساس بحقوق أحد الأطراف في سيادته»[٩].

على أن الخلل في العلاقات العراقية ـ الايرانية تحديداً، كما يراه صدام حسين، يتمثل في تجاوزات ايران المستمرة على العراق منذ معاهدة ١٧٤٦ فاتفاق (أرضروم) عام ١٨٤٧ ثم بروتوكول طهران عام ١٩١١ وبروتوكول ١٩١٣ ومحاضر لجنة تحديد الحدود ١٩١٤ ومعاهدة الحدود بين العراق وايران في ٤

(٩) عن «صدام حسين: نضاله وفكره السياسي» تأليف الدكتور شفيق عبد الرزاق السامرائي ١٩٨٢ ص ١٩٢.

تموز ١٩٣٧ واعلان ايران انفرادياً في ١٩ نيسان ١٩٣٧ انهاء معاهدة الحدود لعام ١٩٣٧ فاتفاق الجزائر ١٩٧٥[١٠].

وبما أن الظروف التي أملت على العراق بل اضطرته إلى التوقيع مع ايران ـ الشاه على اتفاق الجزائر ١٩٧٥، كانت أقوى من إرادة العراق الرفض، حين «بادر الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين رحمه الله بالاتصال معنا ومع ايران. وافقنا على مبادرته وعقدت اتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ تحت هذه الظروف والملابسات»[١١]. ان أهم هذه الظروف دعم الشاه «حركة التمرد الانفصالي الرجعية في شمال العراق على نطاق واسع، وأصبح بذلك يمارس الدور الميداني المباشر من أجل تجزئة العراق وتقسيمه»[١٢]. والواقع أن ذلك «تم في رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وتشجيعها ومشاركة الكيان الصهيوني (الذي) كان يزود (الزعيم الكردي مصطفى) البرزاني الأسلحة والمعدات والخبراء ويقوم بتدريب المتمردين من عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٧٥»[١٣].

ويؤكد الرئيس صدام أن العراق «خاض صراعاً مريراً ضد هذه الزمرة العميلة وضد سياسات الشاه العدوانية مدافعاً في ذلك عن سيادة بلاده ووحدة أراضيه»، و«قدم من التضحيات

(١٠) نفسه.
(١١) نفسه ص ١٦٥.
(١٢) نفسه ص ١٦٤.
(١٣) نفسه.

قرابة ستين ألف إصابة بين شهيد وجريح من بين صفوف القوات المسلحة والشعب. ناهيكم بالخسائر المادية الفادحة»[١٤].

ثم وقعت الثورة الاسلامية في ايران وهرب الشاه ليموت في ما بعد في القاهرة، حزناً على العرش والتاج الامبراطوريين اللذين انتزعهما منه الامام الخميني بالقوة. وفيما الثورة الخمينية تعالج الوضع المتردي الناشىء عن انهيار العرش والجيش الايرانيين، حاول صدّام إبطال اتفاق ١٩٧٥ واقامة علاقات التعاون وحسن الجوار كما ليس في الاتفاق. وبحسب رواية صدام، فهو التقى، على هامش مؤتمر قمة هافانا (عاصمة كوبا) ١٩٧٩، وزير خارجية ايران الأسبق السيد ابراهيم يزدي، وأكد له استعداده لاجراء لقاء مع القادة الايرانيين، بغية معالجة مشاكل العلاقات (بين البلدين) بالطرق السلمية»[١٥]، وعندما تولى رئيس الجمهورية الايرانية السيد (أبو الحسن) بني صدر منصبه الجديد «قام سفيرنا في طهران تاريخ ٢٠ شباط ١٩٨٠ بزيارته بتكليف مني شخصياً لنقل تهانيّ الشخصية إليه في هذه المناسبة»[١٦]. ولكن الجانب الايراني ردّ على مطالب صدام مستغرباً مستنكراً، ما حتّم

(١٤) نفسه.
(١٥) نفسه ص ١٦٨.
(١٦) نفسه.

الحرب بينهما مدة ثماني سنوات كلفت البلدين ما كلّفت من خسائر بشرية ومالية واقتصادية.

منذ تلك الأيام وإلى ما قبل اجتياح الكويت ظل صدّام يلقي تبعة الحرب على الجمهورية الإسلامية الايرانية مبرئاً نفسه أمام العرب والعالم. «لقد اتخذنا جميع الخطوات من أجل وضع علاقاتنا مع ايران على أسس سليمة وإيجابية، وكان منطلقنا سياسة حسن الجوار، والرغبة في إقامة علاقات طبيعية مع ايران إلا أن حكام ايران الجدد عزفوا بغطرستهم المعهودة عن جميع هذه المبادرات. فقد كانوا (حكام ايران) مصممين ويتعمّد كامل على الاساءة للعراق والتوسع في حسابه والسير بنفس الطريق العدائي والتوسعي الذي كان يسير عليه شاه ايران. وقد ظهر ذلك في التصريحات التي أدلوا بها وكذلك في أعمالهم وأفعالهم»[١٧].

والصحيح أن صدّام رأى في الفترة الانتقالية، التي كانت تجتازها ايران ـ الثورة، فرصة للانقضاض على اتفاق ١٩٧٥ لا تعوّض، ولربما أمدّته الأجهزة المخابراتية العديدة بالمعلومات عن الوضع الايراني والفوضى السائدة آنذاك في الحكم والجيش والشعب، ما شجعه على استدراج ايران إلى

(١٧) نفسه.

الحرب. وبعد ثماني سنوات ادّعى لنفسه الانتصار متناسياً القتلى والجرحى والخسائر المادية الهائلة التي مني بها العراق، ومتناسياً أيضاً الديون الطائلة التي سيعجز عن تسديدها.

في أحدث دراسة، نُشرت حول الاقتصاد العراقي بعد الحرب الايرانية، حدّد كاتبها الباحث العراقي في الشؤون الاقتصادية عصام خفاجي ديون العراق حتى أواسط ١٩٨٧ بـ ٨١,٢ وربما ٨٦,٢ مليار دولار(١٨). هذه الديون موزعة على الوجه التالي:

ـ ديون مصارف وجهات غير حكومية	١٤,٢ مليار دولار.
ـ مدفوعات نقدية سعودية ـ كويتية	٢٧,٠٠ مليار دولار.
ـ مبيعات نفط سعودية ـ كويتية لصالح العراق	١٤,٠٠ مليار دولار.
ـ ديون إلى الاتحاد السوفياتي وفرنسا	١٦,٠٠ مليار دولار.
ـ ديون أخرى	من ١٠,٠٠ ـ ١٥,٠٠ مليار دولار
المجموع	٨١,٢ ـ ٨٦,٢ مليار دولار

(١٨) مجلة «الفكر الاستراتيجي العربي» العدد ٣ نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٨٩.

ويرى الاستاذ عصام خفاجي أن «من الضروري التفريق بين ديون السعودية والكويت من جهة والديون الأخرى من جهة»(١٩). ذلك أن الديون «الأولى ذات طبيعة خاصة من حيث طريقة التسديد وعدم تقاضي الجهات الدائنة فوائد عنها، بل واحتمال الغائها. أما الديون الحكومية الثانية فهي طويلة الأجل، ومن المؤكد أن اتفاقاً ما حول سبل تسديدها تم التوصل إليه، لكن تفاصيله غير معروفة»(٢٠). والمفترض أن الفوائد احتسبت «بحدود ٧ ـ ٩٪ سنوياً وفقاً للمتوسط السائد في السوق العالمية حالياً»(٢١).

لعلّ من المفيد أن نعرف أن هذه الديون (السعودية ـ الكويتية) ناجمة «عن مبيعات النفط السعودي الكويتي ما قيمته ١٤ مليار دولار (٣ مليارات العام ١٩٨٣ / ٣,١٧٥ مليارات العام ١٩٨٤ / ٢,٩ مليار العام ١٩٨٥ / ٣,١٥ مليارات العام ١٩٨٦ / ١,٧ مليار العام ١٩٨٧ / ١,٨١٦ مليار العام ١٩٨٨»(٢٢) لحساب العراق، فضلاً عن المبالغ التي كان يدفعها البلدان نقداً، وهي تراوح بين ٦٠٠ مليون دولار ومليار دولار سنوياً خلال الفترة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٨»(٢٣).

(١٩) نفسه ص ١٨٨.

(٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) نفسه.

ولما توقفت المدافع والصواريخ عن القصف والقصف المضاد وعاد كل يراجع حساباته، أدرك الرئيس صدام بالعقل المجرّد أي حمل ثقيل يقع عليه، بل أدرك أن وضعه معقّد وخطير، فاما أن يدع الديون تنهش دولته ونظامه حتى السقوط، وإما أن يجد لنفسه مخرجاً يحرره من هذه الضائقة الرهيبة التي ظهرت انعكاساتها، بادىء بدء، على الجسم العمالي المصري في العراق، إذ قُتل في ظروف غامضة (؟) مئات المصريين ممن أعانوا العراقيين في حربهم «القومية» مثلما يدعونها.

ثم أخذت الأزمة الاقتصادية تشتد وتتفاقم يوماً إثر يوم، فتفتقت «العبقرية» العراقية بالكلام عن أعلى القضايا العربية، وبتنا نسمع الرئيس صدّام يهدّد اسرائيل إن هي اعتدت على العراق أو سواه من الأقطار العربية باستعمال أسلحة الدمار الشامل، وقت يسعى أصدقاء العراق إلى تحقيق المصالحة العراقية ـ الايرانية والمصالحة العراقية السورية، ولكن ربما لم يعلم أحد أن العراق كان يخطط للانسحاب من الخليج الفارسي (العربي) لأنه يخطط لاحتلال الكويت.

وفيما الاتصالات العراقية ـ الايرانية، السرية والعلنية، تجري بانتظام، برزت الحرب الكلامية بين العراق والكويت

وما لبثت أن عنفت وقست، والغريب حقاً أن العراق قدّم في منتصف تموز الماضي شكوى إلى الجامعة العربية، متهماً الكويت بـ «نهب» نفطه و«قضم» أراضيه. وذكّر نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية العراقي السيد طارق عزيز في رسالته إلى جامعة الدول العربية، بأن العراق تحمّل في سنوات الحرب خسارة مقدارها ١٠٦ مليارات دولار بسبب انهيار أسعار النفط الخام وتراجع صادراته النفطية، وان هذا التراجع جاء لمصلحة دول نفطية أخرى في الخليج، إذ ازدادت طاقتها على التصدير في مستوى انخفاض طاقة العراق. وطلب عزيز إلى «إلغاء الديْن» تنظيم «خطة عربية على غرار مشروع مارشال لتعويض العراق بعض ما خسره في الحرب»، متسائلاً: «هل يمكن اعتبار ما قُدّم من مساعدات ديْناً؟» بل كيف «يتحمل العراق (منفرداً) مسؤولية الدفاع عن الأمن القومي العربي وعن ثروة الخليج التي كانت ستذهب لو خسر العراق الحرب (؟)»[٢٤].

إلى هذا، كشف عن تصريح للرئيس صدام أكد فيه للزعماء العرب في القمة العربية الطارئة في بغداد في أيار الماضي، أن «الحروب تحصل أحياناً بالجنود ويحصل الايذاء

(٢٤) «النهار»: ١٩/٧/١٩٩٠.

بالتفجيرات وبالقتل وبمحاولات الانقلاب وأحياناً أخرى يحصل بالاقتصاد»(٢٥). وخاطب القادة العرب قائلاً: «لقد وصلنا إلى حال لا نتحمل الضغط»(٢٦).

هل سمع القادة العرب هذا الانذار جيداً؟

كما سمعته الولايات المتحدة وأوروبا سمعه القادة العرب. ولكن يبدو أن الأقوياء لا يضيرهم أن يروا الكويت كبش محرقة أو قرباناً سياسياً على مذبح «المصالح الحيوية».

التهديدات العراقية للكويت تصاعدت، وتصاعدت.

الكويت دقت ناقوس الخطر. استصرخت الأشقاء والأصدقاء. ردّت على الشكوى العراقية بديبلوماسية متفوقة.

الولايات المتحدة تتحدث عن حشود عسكرية على الحدود العراقية ـ الكويتية.

ماذا قالت الادارة الأميركية؟

ماذا قال العرب؟

سُئلت الناطقة باسم وزارة الخارجية الأميركية السيدة مارغريت تتوايلر، فأجابت بدعم بلادها لقدرة الأصدقاء في الخليج على الدفاع عن النفس فردياً أو جماعياً، وهل تُعد

(٢٥) (٢٦) نفسه.

الكويت من أصدقاء الولايات المتحدة؟ فردت بالايجاب وبأن الولايات المتحدة «لا ترتبط مع الكويت بأي معاهدات دفاعية أو بالتزامات أمنية خاصة»(٢٦). ففهم البعض هذا الرد أنه مساهلة وتسيير من الادارة الأميركية للعراق لتنفيذ مخططه التوسعي.

أما العرب، فآراؤهم متباينة ومواقفهم متناقضة، الأمر جعل مساعي الرئيس المصري حسني مبارك وغيره من المسؤولين العرب تذهب مثلما الصدى في الوادي السحيق.

اذن، العالم كله رأى وسمع هدير الآليات العراقية المتجهة نحو الكويت. بل تأكد للعالم كله أن القوات العراقية الغازية لن ترتد عن غايتها «القومية ـ الاسلامية»، الاستيلاء على الكويت ونهب خيراتها، حتى آخر دينار وآخر عقد وآخر سوار وآخر قيراط وآخر ساعة وآخر قلم وآخر ريشة وآخر قميص وآخر حذاء في الكويت.

وإذ وقعت الواقعة، بدأ الرؤساء المعنيون يصفون صدّام بـ«الكذاب» و«المخادع» و«المراوغ»، ليرد عليهم من العيار نفسه وأحياناً بأشد وأعنف.

(٢٦) نفسه.

لقد خاطبت الكويت المغدورة، في بيانها الأول، العرب مستنجدة مستغيثة:

«أيها الزعماء العرب
أيها الملوك والرؤساء والأمراء العرب
بلد عربي قدّم الكثير لأمته العربية لايمانه العميق بمصيره المشترك مع البلدان العربية. بلد عضو في جامعة الدول العربية التي من أولى واجباتها حماية أعضائها.
كويت العرب تستنجدكم.
لو أننا قصّرنا ولو بجزء من واجباتنا تجاه أمة العرب لعذرناكم.
ولكننا عندما نتصفح التاريخ لا نجد إلا العروبة في دمائنا والاسلام في روحنا عقيدة لم تنفصم في يوم من الأيام.
«نبكي لبكاء العربي ونحزن لحزنه ونموت لموته.
ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا سخّرنا لخدمة اخواننا في العروبة والإسلام.
كل ما نملك من إرادة هو في خدمة العرب وقضاياهم.
واليوم قضيتنا أيها العرب، أرضنا التي هي جزء من أرض العروبة تتعرّض للغزو ونشحذ الهمم للدفاع عنها.
«لبوا نداء الشعب الكويتي العربي الذي لم يتخل عن ندائكم في يوم من الأيام.

الله أكبر على المعتدي. وسنرد المعتدين بعون الله ثم بتكاتف شعبنا والتفاف أمتنا العربية من حوله»[٢٧].

وقال البيان العراقي، بيان الغزو والاحتلال والضم:

«بسم الله الرحمن الرحيم
«بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو ماحق» صدق الله العظيم.
الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر
أيها الشعب العراقي العظيم
آمنون بأن الأمة العربية أمة واحدة وأن حالها ينبغي أن يكون واحداً عزيزاً كريماً وأن الدنس والخيانة والغدر يجب أن لا تتصل بصفوفهم ونواياهم.

أيها الناس، حيثما كان العدل والانصاف دينكم. لقد خسف الله الأرض بقارون الكويت وأعوانه بعدما جانبوا القيم والمبادىء التي دعا الله لتسود بين الناس وبعدما خانوا وغدروا بالمعاني القومية وشرف معاني العلاقة بين من يتولون أمرهم من الناس ومع العرب»[٢٨].

الواضح أن «رب» بغداد غلب «رب» الكويت. وأن

---

(٢٧) «النهار» ٣/٨/١٩٩٠.
(٢٨) نفسه.

إسلام بغداد فاز على إسلام الكويت. فهل يترك العالم خطيب بغداد يخرج من أزمته ويسدد ديونه ويتابع زحفه، «جهاده المقدّس» حتى آخر سلطنة خليجية؟

البغدادي المثقَل بالديون وهموم الحرب، وما أشدها، احتل الكويت، وفي اليوم التالي التفت نحو الجمهورية الاسلامية الايرانية، ولكن بعين المُصالح المسالم المستغفر هذه المرة لا بعين المهاجم المخاصم المستشرس.

ماذا بين اسلام البغدادي وإسلام حكام ايران؟

ها ان الغبار نُفض عن اتفاق الجزائر ١٩٧٥، والعلاقات الديبلوماسية بين الجمهوريتين عادت لتنشط من قطيعة طالت وامتدت أبعد من الديبلوماسية والجغرافيا والاقتصاد، فهل يتحد «الاسلامان» وكيف؟

الخطاب السياسي العراقي مأزوم، مأزوم جداً.

والخطاب السياسي الايراني فك عقدته أو كاد.

وكما انتهى ميشال عفلق، البعثي الدمشقي، مسلماً بغدادياً، ربما بأمر من السلطات العراقية العليا، سينتهي صدام، على ما يبدو حتى الآن، إماماً طالبياً جعفرياً خمينياً، وإلا فلن يهدأ له بال ولن يستقر ما بقي حياً. ولن ننسى معاوية بن أبي سفيان، الزعيم

العربي الذي اشتهر بحكمته وحنكته وواقعيته، أنه حين شعر بدنو أجله في مرضه الأخير استدعى ولده يزيد، فحذّره وأوصاه، أوصاه بأهل الحجاز خيراً وأهل الشام بطانة. وأهل العراق قال له فيهم: «وانظرْ أهل العراق، فإنْ سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزْلَ عامل أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف». وحذره أيضاً من سادة قريش الذين أبوا البيعة له، وخصّ منهم عبد الله بن الزبير، فوصفه بالأسد الجاثم في أرض الحجاز والذي يتحفز للوثوب حين يجد المطية الصالحة لذلك[٢٩].

فليدْفنْ البغدادي «البعث العربي الاشتراكي» كما دفن صيف ١٩٨٩ الرفيق المؤسس ميشال عفلق، ورحم الله «البعث» والعروبة والوحدة والحرية والاشتراكية.

خاتمة

هذه هي مراحل الخطاب السياسي العراقي المأزوم، وهذه هي أسبابه ومضاعفاته.

أما الذين قُتلوا من العراقيين والايرانيين ليبقى اتفاق

---

(٢٩) ذكره الدكتور نايف معروف في كتابه «الخوارج في العصر الأموي»، دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٨١ م/١٤٠١ هـ ص ١٣٢. عن ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦.

الجزائر ١٩٧٥ ويبقى النظام العراقي، فرؤوس نضجت فقُطفت ليس إلا.

عُرف عن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز تساهله مع الحرورية، وهي فرقة من الخوارج، في عهد خلافته، فكان يرى فيهم أنهم «ضُلِّلوا فضَلّوا» وأنهم كانوا «يبغون الحق فأخطأوا سبيله»، وذكر ابن الجوزي أن أناساً من الحرورية أُدخلوا على عمر (ابن عبد العزيز) وهو أمير المؤمنين، فأشار عليه بعض جلسائه أن يرعبهم ويرمي الرهبة في نفوسهم، فلم يأخذ برأيهم، بل رفق بهم ورزقهم، وقال لبعض أصحابه: «يا فلان إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي، فلا تكوينه أبداً»[٣٠].

أما «الرفيق» صدّام، قاهر الكويت، فاستحل أموال اخوانه ملوك الخليج وأمرائه وسلاطينه الذين أعانوه في حربه مع الامام الخميني أيما إعانة، فخوّنهم وكفّرهم، ثم خرج عليهم بالحديد والنار وكل أدوات الكي والقتل والسحْل والفتك، وصولاً إلى هدفه، فازدادت أمته العربية تفككاً وضعفاً وبؤساً، حين ازدادت الولايات المتحدة وحليفتها

(٣٠) ذكره الدكتور نايف معروف المصدر أعلاه، ص ١٧٢، عن ابن الجوزي (أبو الفرج الحافظ قدامة بن جعفر): سيرة عمر بن عبد العزيز ـ طبعة مصر ١٣٣١ هـ. ص ٦٢.

اسرائيل قوة وتماسكاً وبأساً، ورغم هذا وذاك لا يزال «الرفيق» صدام يدفق على العرب والمسلمين الوعود الصعبة بل المستحيلة مثل تحرير «بيت المقدس» وكل فلسطين، ونشر العدالة الالهية على الأرض العربية والاسلامية، وطرد «الغزاة» و«الكفار» عن آخر شبر عربي وإسلامي، متمثلاً تارة بصلاح الدين الأيوبي وطوراً بنبوخذنصر الأشوري.

أيها البعثيون العفلقيون،

إذا دعيتم غداً إلى تشييع فقيدكم الأعز «البعث العفلقي» فتذكروا أن «الرفيق» صدام قال مرة:

«. . . فالمطلوب منا هو أن نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة وفي المجتمع، وضد اقحام الثورة في المسألة الدينية وأن نعود إلى أصل عقيدتنا، وأن نعتز بالدين بلا سياسات للدين، لأنك حين تجعل من نفسك واعظاً أو مرشداً دينياً وتطلب، ومن موقع رسمي أو حزبي، من الناس أن يؤدوا الطقوس الدينية، إنما يتوجب عليك أن ترشدهم إلى كيفية إداء تلك الطقوس، وما يترتب عليها من التزامات تبعية. وإذا ما دخلت في ذلك فسوف تبدأ المشاكل والتعقيدات حيث تبدأ الاختلافات وفق اجتهاد المذاهب الاسلامية. أفليس هذا دخولاً في السياسة الخاسرة من أخطر أبوابها في

الوقت الذي بإمكانك أن تربحها عن طريق آخر؟»[٣١].

أيها البعثيون العفلقيون،

اقرأوا، اقرأوا هذه المقولة الصدّامية

اقرأوها ولو بصوت منخفض، فلربما استيقظ «الأستاذ» المؤسس وطالب بالرجوع إلى دمشق.

وإن سألكم «الرفيق» صدام: ماذا تقرأون؟ فليكن جوابكم واحداً وبصوت واحد: إننا لا نقرأ. بل نبتهل إلى الله أن يرحم «البعث» ويعزّ بكم الاسلام والمسلمين.

(٣١) مقتطفات من أحاديث صدام حسين، إعداد حسن طواليه، دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٧٩، ص ١٧٩. عن «نظرة في الدين والتراث» لصدام حسين، ص ١٢/١٣.

- ٤ -

دعوني أُقبِّل عِقال الأمير*

(مهداة الى امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح في محنته)

- ١ -

الحصارُ هنا ظلام
الظلام موت مؤجّل
لبنان ما كان مرة العراق، ولن يكون
دعوني أقبّل عِقال الأمير[١]
دموعه شهادة لي بأنّي البريء
وبأني سيدُ المظلومين
وسيدُ المعذَّبين
وسيد المقهورين

(*) كتبت في ٢/١٠/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ٢٧/١٠/١٩٩٠.

(١) اشارة إلى أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح الذي لم يتمالك عن البكاء أمام المندوبين في الجمعية العمومية للأمم المتحدة («النهار» ١٨/٩/١٩٩٠).

وسيد المشرَّدين
وسيد المضطَهَدين
دعوني أقبِّل عقال الأمير
إنا دخلْنا في زمن البحث عن الأوطان
عن الأوطان المسروقة
والمغتصَبة
والمحروقة
والمقطَّعة
والمقتولة
والموءودة.

٢ -
ما زلتُ أحمد الله على المكاره
على انتظاري بين العاصفة والعاصفة
لن ينال مني اليأس أكثر مما نال
أصبح قلبي عصيّاً
تركني الموت مثل عصفور في بئر
لا يُستسقى منها الماء
هل أغنّي؟
لأجل كل العصافير الجميلة أغنّي
لأجل بيروت أغني

لأجل الكويت أغني
لماذا يا دجلة ويا فرات هذا الغضب؟
يكاد الملح يقتلنا
والانحراف
والنصَب

٣ -
الحصار هنا شهوةُ «الرؤساء»
وشهوة الأصنام
وشهوة الأزلام
وشهوة الأنصاب
وشهوة الأقزام
وشهوة الأدعياء
الحصار والقتال توأمان
أي فرق يا أمير بين الموت جوعاً والموت
بقذيفة؟
أي فرق يا أمير بين جزمة تضغط الصدر
ومدفع يقصف العمر؟
حكامنا يا أمير لا يبكون
حكامنا يا أمير يأكلون... ببطونهم يأكلون
حكامنا يا أمير يأكلون... ويأكلون.

حكامنا يا أمير سياط للضرب والجَلد
أو مدافع للهدم والقتل
هل أحدّثك عن خبزنا ومائنا
وصرتَ تعرف كيف يتحول الخبز والماء
جسداً لا يُؤكل ولا يُشرب،
وصرتَ تعرف كيف الغزاة يفْرضون
الصمت والجوع والطاعة؟

ـ ٤
كان الوقتُ ظهراً
أو بعد الظهر بدقائق
عندما «الفرسان» خرجوا لينفّذوا أمراً
ليس له رقم معهود
فجأة أصبحنا مسافرين بدون حقائب
وفجأة أصبحت سّياراتنا وأشياؤنا كأنها لا
سياراتنا ولا أشياؤنا.
ـ من كان منكم مع الوطن فليترك سيارته
ويذهب مشياً، كالغزال أو الثور أو الحمار أو
الكلب.
رياضة...
رياضة لأجل الوطن

رياضة لأجل السلام
رياضة لأجل الدولة الناهضة
رياضة لأجل الأمن الموحّد
رياضة لأجل العرب
رياضة لأجل العالم
من كان منكم مع الحق فليتركْ الباطل
ليموت وحيداً.
إن الباطل شوكة في الخاصرة
وشوكة في العين
وشوكة في القلب
نحن الذين سنقلع هذه الأشواك جميعاً
افتحوا خواصركم وعيونكم وقلوبكم
نريد الأشواك... فحسب
خواصرُكم لكم
عيونكم لكم
قلوبكم لكم
لا تدعونا نمزّقها.

ـ ٥
ـ الآن حصار وكلام وحوار
وغداً غضب وطوفان ونار

من يقرأ جيداً يأكل جيداً
الذي يقول «لا» ليس كمن يقول «نعم»
نريد حياتكم فلا تطلبوا الموت
ليرفعْ المريض، كل مريض، اصبعه
ليضحكْ السليم، كل سليم، ليضحكْ فوراً
لا أحد كشّر عن أنيابه
ـ من أين جاءكم المرض يا هؤلاء؟
أن تكونوا على مرض خير لكم من أن تكونوا
على سفر.
وأنتِ يا امرأة لماذا دموعُكِ تنساب هكذا
مثل الماء في نهايات الخريف
أو مثل عناقيد القنابل الشتوية؟
مسحت المرأة دموعها عن خديها وقالت:
ـ أريد أن أذهب إلى البيت
ـ الطريق يا سيدة مفتوحة. لا أحد يمنعكِ
من الذهاب إلى بيتك
ـ وسيارتي؟
ـ اسمحي لنا. اسمحي لن
ـ لماذا؟
ـ سيارتكِ يا سيدة ذات محرك
ـ وأنا؟

ـ ذات قلب.
ـ اذن خذوا قلبي . . . خذوه.
ـ ليس لنا حاجة في قلبك.
ـ فهمت.
ـ المهم أن تفهمي.

ـ ٦ ـ

الحصار باب على الجوع
وباب على الحرب
وباب على البحر
وباب على الجمهورية الثانية
وباب على جهنم.
سأل أحدهم: لماذا تأخذ الحقَّ من غير صاحبه؟
قال الذي يرعى النجوم ويراقبها: الأخذ يسبق العطاء.
من لا يأخذ لا يعطي
ـ لكنما الذي يجب أن يؤخذ منه بعيد
ـ البعيد يصبح قريباً.
ـ والقريب يصبح بعيداً؟
ـ القريب في اليد.

ـ حتى الاختناق؟
ـ إذا شاء.
ـ إذا شاء من؟
ـ البعيد.
ـ لستُ البعيد.
ـ ولكنك القريب.
ـ عصفور في اليد . . .
ـ خير من عشرين وأكثر
ـ تريد الواحد أو العشرين؟
ـ أريد أن أنفّذ الأمر
ـ أي أمر؟
ـ الحصار. الحصار فقط.
ـ رحمك الله. ألا تعرف أنني أبٌ لخمسة أولاد؟
ـ رحمك الله. ألا تعرف أن الأمر ليس لي؟
ـ ولكنك ترعى النجوم وما فوق النجوم
ـ وأنت؟
ـ أرعى الأولاد
ـ جيد . . . جيد. الراعي يكون حكيماً أو . . .
ـ حكيماً أم . . .؟
ـ الراعي لا يكون متمرداً ولا انفعالياً ولا

ـ زُجاجاً . . .
ـ استغفر الله. استغفر الله. أنا لا أقول بهذا.
ـ بل أوشكتَ أن تقول بهذا
ـ أين الطريق إلى بيتي؟
ـ أنت أعلم.
ـ لم يبق لنا علْم ولا . . .
ـ امشِ من هنا وإلا . . .
ـ وسيارتي؟
ـ قلت لك امشِ. ولم أقل لك تابعْ
ـ ماذا تقصد؟
ـ امشِ امشِ حالاً. هل فهمت؟
ـ وسيارتي؟
ـ إلى جهنم . . . فكّ رقبة
ـ وأنا؟
ـ إلى جهنم أيضاً
ـ متى أعود؟
ـ عندما الوكيل يخرج عليك بالهراوة أو السيف.
ـ أي وكيل؟
ـ المتمرد

ـ الجهنمي؟
ضحك راعي النجوم، ثم ضحك، وقال:
الجهنمي. نعم الجهنمي. يجب أن تخلصوا منه
ـ كيف؟
ـ عندما تجوعون تعرفون كيف تتخلصون
من جهنم والجهنمي.

ـ ٧
الحصار كتاب أسود
في الزمن الأسود
من يقرأ؟
لا أحد يقرأ
لا أحد يكتب
الحصار يشمل الناس كافة
ولا يشمل النوآب والديبلوماسيين
والصليب... الأحمر الدولي
نسي الذي أمَر بالحصار أن النواب لا
يعبرون إلى «البعيد».
ونسي أن الديبلوماسيين أصبحوا قلة
نادرة، نادرة جداً.
وأن الصليب الأحمر أصبح مثلثاً أو مربّعاً أو مسدّساً

غير متوازي الزوايا وغير متوازي الأضلاع
لماذا لم يستثنوا الكتّاب؟
لماذا لم يستثنوا الشعراء؟
لماذا لم يستثنوا الصحافيين؟
لماذا لم يستثنوا الأطباء؟
لماذا لم يستثنوا المعلمين؟
لماذا لم يستثنوا القضاة؟
لماذا لم يستثنوا المحامين؟
لماذا لم يستثنوا العمّال؟
لماذا لم يستثنوا الأطفال؟
لماذا لم يستثنوا النساء؟
ليتني من نواب هذه الأمة التاعسة البائسة
الحزينة.
ليتني ديبلوماسي أو شبه ديبلوماسي
ليتني سائق في سفارة أو قنصلية
يعزّ عليّ يا قلمي أن أقول لك وداعاً
ويعزّ عليّ يا كتبي أن أتبرأ منكِ
ويعزّ علي أن أنتمي إلى غير هذه الطبقة
المنبوذة المطارَدَة.

ـ ٨
الحصار، الحصار، كلمة تافهة ناقصة ساقطة

الجوعُ خنجر لا بد أن يرتد إلى نحر صاحبه
تكلمي يا معابر
تكلمي يا شوارع
تكلمي يا أزقة
تكلمي يا حجارة
تكلمي يا شمس تشرين
تكلمي يا منازل بلا سقوف وبلا أبواب
ونوافذ.
تكلمي يا مدارس مهجورة
لا يؤخذ الحق من غير صاحبه
لا يؤخذ الحق من غير مالكه
تعرفون الشوكة وتبحثون عنها
في خواصرنا وعيوننا وقلوبنا
تعرفون العلّة
وتأبون إلّا أن تجرّبوا فينا مباضعكم
وعقاقيركم؟
لا يأتي الحظُّ مرتين سوى المجانين

- ٩

حمل بائع أوراق الحظ (اليانصيب) ست
برتقالات وتقدم نحو حارس الجسر

هل يعْبر؟
أوراق الحظ وبرتقال!
تجارة وطعام!
التجارة محظّرة
الطعام ممنوع
لن يعبر بائع الحظ
ومعه البرتقالات.
العابر يلعن البعيد والقريب، والسحر
والساحر، والصمت والفجور.
العابر لسانه مبْرد.
أكل البرتقالات اثنتين اثنتين
مسح فمه وشاربيه وتابع طريقه يردد:
جرّبْ حظّك
جرّبْ حظك
اربحْ هنا واخسرْ هناك
الحظُّ هنا له طعم آخر
جرّبْ حظك
جرّبْ حظك

- ١٠

الحصار هنا امتحان في الهواء الطلْق

من يخضع للأوامر جيداً يصل إلى البيت
«الأساتذة» والشعب تحت الشمس
ليس لكل سؤال جواب
تعْبر أو لا تعْبر:
مسألة غير مطروحة للبحث
البلاد في مخاض، فلا تجعلوه عسيراً
غنوا للدولة الآتية
للجمهورية الآتية
ليس شرطاً أن تكون لديك سيارة
الترهّل أيضاً يذبح القلوب.

- ١١ -

بين نهر الكلب ونهر الموت فاصلة
تحتها نقطة
الكلب يعرف أنه مائت
بينما الموت لا يعرف أنه الموت
لو نحذف النقطة
لو نلغي الفاصلة
الفاصلة والنقطة عقدتان
لا حلّ لهما.
نهر الموت يفتتح خريف الموت

كسَر نهرُ الكلب الصمت. هـذَر الدم.
أيها النهران ماذا وراءكما؟
بيروت نار تحت الرماد، أم قرار لا رجوع عنه؟
تعبت المدينة والناس والدول.

- ١٢ -

لماذا نفتعل مجزرة
حين يجب أن ننسى المجازر كلها؟
بين الحصار والمجزرة مثلما بين الفاصلة والنقطة.
الآن أصبح للسلام معنى آخر
وللحرب معنى آخر
يا جسر نهر الموت
ويا جسر نهر الكلب
لأجل السلام إتّحدا
لأجل الوطن إتحدا
لأجل الحرية إتحدا
لأجل بيروت التي تستعد للقيامة إتّحدا.

- ١٣ -

من بيروت إلى الكويت

الجرح العربي يتسع ويتسع ويتسع
هل أحدّثك يا أمير عن بيروت
وصرتَ تعرف كيف تحترق المدن الجميلة
وكيف تنتحر الفراشات
وكيف تتساقط القلاع
وكيف تُنهب الارزاق
وكيف تُنتهك الكرامات
وكيف تُسفح الأعراض
هل أحدّثك يا أمير عن بيروت
والجرح العربي يودُّ أن يتجاوز
بيروت والكويت؟
إنا دخلْنا يا أمير في زمن البحث عن
الأوطان
عن الأوطان المسروقة
والمغتصَبة
والمحروقة
والمقطّعة
والمقتولة
والموءودة
إنا دخلنا يا أمير في الزمن الملعون

والمكروه
والمرفوض
ما أشبه الزمن الكويتي
بالزمن البيروتي!

- ٥ -

أرض العرب فطائر وشرائح*

(مهداة الى رئيس تحرير مجلة "العربي" الكويتية الغراء الدكتور محمد الرميحي، في ذكرى مرور ثلاثين عاماً على تأسيس المجلة)

كان أستاذ العلوم الاجتماعية الشاعر الدكتور نديم يعيد تنظيم مكتبته، ما تبقّى من مكتبته التي تعاقبت عليها المدافع وبنادق القنص، وفي اعتقاده أن البلاد دخلت السلام من أبوابه ونوافذه كافة، فوقع على كتاب «قيام الدولة السعودية العربية»، للدكتور عبد الكريم الغرايبة، الصادر في ١٩٧٤ عن معهد البحوث والدراسات العربية، في جامعة الدول العربية، ولأن اجتياح العراق للكويت، في الفاتح من آب الماضي، ما برح يشغل جزءاً غير قليل من اهتماماته، جلس أرضاً وأخذ يقلّب الكتاب ذا الصفحات المائة، وقد بدت

(*) كتبت في ٦/١١/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ١٤/١٢/١٩٩٠.

عليه علامات الارتياح والنشاط، فكأنه لم ير هذا الكتاب من قبل، بل كأنه أمام كتاب تمّ تأليفه وطبْعُه غداة سقوط الكويت، زهرة الصحراء، بيد الرئيس العراقي صدّام حسين، وخروج الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح وحكومته منها.

وبينما هو ينعم النظر في الصفحة تلو الأخرى، طرق بابه صديقه الصحافي «المخضرم» جلال، فبادره قائلاً:

ـ أهلاً، أهلاً. لقد أتيتَ يا استاذ جلال في الوقت المناسب. لو لم يكن الهاتف معطلاً، رحم الله الهاتف، لاتصلتُ بك كي تأتيني على الفور، نعم على الفور، وربما مخفوراً أيضاً، عفواً أصحاب الميليشيات.

ـ خير إن شاء الله يا دكتور نديم!

ـ كل الخير.

ـ يعني؟

ـ أمسك الدكتور نديم بضيفه من يده وهو يقول:

ـ تعال، تعال يا أخي

ـ ها قد أتيت. ماذا عندك؟

ـ عندي لك سبق صحافي.

(ضاحكاً) ـ هكذا مرة واحدة!

ـ أجل، مرة واحدة.

جلس الدكتور نديم أرضاً، تماماً حيث كان قبل لحظات، وظل الاستاذ جلال واقفاً ينتظر شيئاً ما، ولعله حسب أن صاحبه قد عثر على ديوانه المخطوط: «قصائد للانتقام»، الذي يعتقد أنه سُرق أو احترق قبل ثلاث سنوات، عندما انفجرت في الحي الذي يسكن سيارة مفخخة بشُحنة من الديناميت الشديد الانفجار، قُدرت زنتها آنذاك بحوالي تسعين كيلو غراماً، أوقعت عشرات القتلى والجرحى، وأحدثت خراباً ودماراً هائلين، ولكن الدكتور نديم ما لبث أن فتح على الفصل الثاني من كتاب «قيام الدولة السعودية العربية» وراح يقرأ على صاحبه بعد أن أجلسه قبالته:

«يُطلق اليوم على المنطقة موضوع هذه الدراسة اسم المملكة العربية السعودية. وهذا اسم جديد برز رسمياً إلى الوجود للمرة الأولى بموجب مرسوم ملكي أصدره الملك عبد العزيز آل سعود يوم ٢١ أيلول /سبتمبر ١٩٣٢ الموافق ٢٠ جمادى الآخر ١٣٥١ هـ. ولم يكن هذا الاسم معروفاً من قبل كما لم يسبق أن كوّنت الأقطار التي تتألف منها المملكة اليوم وحدة سياسية أو جغرافية أو اقتصادية قبل أن يعمل آل سعود قبل ثلاثة قرون على توحيدها وتحويلها إلى كيان جديد موحّد بقوة العقيدة والسيف. إلاّ أن هذه الأقطار كانت أجزاء من امبراطوريات عربية أو اسلامية كبيرة ضمت إضافة إليها

أقطاراً عربية أخرى وأقطاراً غير عربية. غير أن حكم الدول والامبراطوريات الموحّدة لم يكن في يوم من الأيام أقوى أو أكثر فعلاً مما هو عليه في العهد السعودي. كما لم تختف الاتجاهات الاقليمية والمحلية والنزعات الانفصالية في هذه الأقطار أكثر مما بدت في ظل الحكم السعودي. ومع أن الرابط الوحدوي بدأ ضعيفاً وكاد أن يقتصر على شخص الحاكم ومقدرته على فرض سلطانه بالقوة والاغراء، إلا أن عوامل كثيرة، كان الاقتصاد لاسيما البترول من أهمها، ساعدت على ازدياد رسوخ هذه الوحدة وجعلت الحجازي أو السعودي أو الشمّري حريصاً على تأكيد صفته الجديدة كمواطن سعودي».

قبل أن يتابع الدكتور نديم القراءة سأل صديقه جلالاً:

- أرأيت يا جلال كيف ان القوة توحّد الأرض بعد أن تكون مجزّأة أو مبعثرة؟
- نعم. ولكن القوة ليست نظاماً دائماً.
- بل هي النظام الباقي أبداً.
- والضعف؟
- الضعف أيضاً نظام ولكن...
- ولكن ماذا؟

ـ الضعف نظام نظري، نظري فقط. فيا القوة نظام محترم لا يُقاوَم.

ـ لذلك. . .

ـ لذلك، فان السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة، اليوم وغداً وإلى دهر الداهرين.

ـ الله، الله، يا دكتور نديم، أتريد أن تبعث فيّ اليأس؟

ـ أبداً، أبداً، بل هي الحقيقة، الحقيقة فحسب.

ـ أي حقيقة؟

ـ القوي له العزة والسيادة. الضعيف بضاعة الموت.

ـ بضاعة الموت فقط؟

ـ لنتابعْ.

ـ تفضّلْ.

وعاد الدكتور نديم ليقرأ:

والبلاد (السعودية) غير واضحة الحدود في كثير من
ـرائها إذْ تقوم بينها وبين جيرانها، وكلها دول عربية
لامية، خلافات حول مناطق الحدود. وأكثر المناطق
ـازَع عليها صحارى قاحلة جرداء كانت قليلة القيمة
تصادية لولا احتمالات وجود البترول والمعادن فيها. وقد
ن حل الخلافات مع جميع جيرانها في الشمال بيد أن
ـلافات مع الجيران في الجنوب والجنوب الشرقي مازالت

معلّقة بدون حلّ».

ويلتفت الدكتور نديم إلى ضيفه، فيجده مغمضاً عينيه ويداه على شفتيه المطبقتين كأنه يصلي أو يتأمل، فسأله:

ـ هل أنت معي يا جلال؟

ـ أجل أنا معك بكل أحاسيسي، تابعْ، تابعْ يا نديم. إنه لموضوع شائق حقاً.

ـ وشائك أيضاً

ـ فعلاً

وتابع نديم:

«وأول دولة عربية أمكن إنهاء خلافات الحدود معها هي دولة الكويت. فبموجب إتفاقيتي المحمّرة والعقير (٥ مايو/أيار) و (ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢) تمّ الاتفاق على تخطيط الحدود وإنشاء منطقة محايدة يتمتع الطرفان فيها بحقوق متساوية. وتغطي المنطقة المحايدة ما مساحته ٥٧٧٠ كلم٢ ولها ساحل على الخليج طوله ثمانون كيلومتراً. وتبينّ أن المنطقة المحايدة بمياهها الاقليمية غنية بالبترول. وتم أوائل ١٩٦٦ تقسيمها بالتساوي بين الدولتين وهكذا زالت من الوجود كوحدة ذات وضع خاص.

«وشكلت الحدود مع العراق قضية من نوع آخر. إذ ان

قبائل كبيرة كالظفير والمنتفق ومطير تجوّلت في مناطق الحدود غير آبهة بما يدّعيه الطرفان من سيادة. ورفض الملك عبد العزيز ابرام اتفاقية المحمرة (٥ مايو/أيار ١٩٢٢) بسبب الخلاف على ولاء قبيلة الظفير، إلا أنه عاد يوافق على اتفاقية العقير (٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢) وفوّض العراق إلى الدكتور عبد الله الدملوجي توقيع الاتفاق. إلا أن هذا الاتفاق لم يرض العراق لأنه لم يحل قضية ولاء قبيلة شمر الكبيرة».

قاطعه الاستاذ جلال ساخراً:

ـ دائماً العراق لم يرض. ودائماً العراق لن يرضى. فإن رضي فإلى حين، وإن غضب فغزو وسبي ونهْب وسلْب وتقتيل، ثم تراجُع، وعفا الله عما مضى.

ردّ الدكتور نديم: لقد أصبت يا جلال. إنها محنة العراق.

ويواصل نديم القراءة:

«وجرت محاولات للاتفاق في مؤتمري البجرة (نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٥) وجدة (مايو/أيار ١٩٢٨) بوساطة بريطانية. وأخيراً تم لقاء بين الملك عبد العزيز والملك فيصل في ٢٢ شباط ١٩٣٠ على ظهر السفينة الحربية البريطانية لوين في مياه الخليج وتم الاتفاق على إيجاد منطقة

محايدة مساحتها سبعة آلاف كيلو متر مربع وعلى اعتبار (قبيلتي) المنتفق والظفير وفرع العمارات من شمّر قبائل عراقية. بينما اعتبرت (قبيلة) مطير وباقي شمّر قبائل نجدية سعودية. ولم يحدث أي تغيير لهذا الاتفاق منذ ذلك التاريخ.

«واستمر الخلاف بين السعودية والاردن فترة أطول. فقد أمكن تخطيط الأجزاء الشمالية من الحدود في اتفاقية جدة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ إلا أن السعودية استمرت في ادعاء السيادة على الأجزاء الجنوبية من الاردن التي تضم معان وميناء الاردن الوحيد العقبة. وأخيراً تم الاتفاق بين البلدين في ١٧ آب /اغسطس ١٩٦٥ على تخطيط الأجزاء الجنوبية من الحدود، واعترفت السعودية بأن معان والعقبة جزء من المملكة الاردنية الهاشمية كما تنازلت للاردن عن جزء من ساحل العقبة مقابل حصول السعودية على مناطق أخرى في الشرق غنية بالآبار والمراعي والطرق التي تسهّل رعاية مصالح القبائل السعودية وضبط أمورها. وحلّت قضية ولاء قبائل الحويطات وفرع الشعلان من عنزة في وقت مبكر وأمكن وقف عمليات الغزو عبر الحدود».

وإذ يحاول الدكتور نديم أن يأخذ نفَساً ليشعل سيكارة، قال جلال:

ـ لطالما قلت لك، يا نديم، مع كل أزمة عربية فتش عن النفط، وليس عن أميركا أو اسرائيل. العراق يريد النفط والثغور. السعودية تريد النفط والمراعي. الاردن، الفقير الاردن، يريد النفط. الحرب بالنفط وعليه.

ـ عاش النفط.

ـ بل عاشت العروبة.

ـ أية عروبة؟

ـ العروبة التي تستثمر النفط لتقيم الوحدة العربية.

ـ سامحك الله. لا يلغي النفط إلا النفط.

ـ والخلافات؟

ـ ألم أقل لك إن سياسة السمكة الكبيرة تأكل السمكة الضعيفة هي السائدة في كل زمان ومكان؟

ـ والأخوّة؟

ـ الأخوّة بين الدوَل مثل النفط بين الجيران.

ـ يعني؟

ـ السيف له العزّة. السيف حق لا يموت.

ـ والعقيدة؟

ـ سيف ناطق.

ـ والذي لا سيف لديه؟

ـ يعلّق أسنانه على الحائط

ـ حائط المبكى؟

ـ بل الحائط الدولي.

ـ أراك تنطق شعراً؟

ـ أي شعر! بعد «قصائد للانتقام» ضاع مني الشعر والنثر معاً.

ـ أين يوجد الحائط الدولي إذن؟

ـ إن هذا اسمه، في علم السياسة، الخط الأحمر.

ـ آه! فهمت.

ـ فُهمت ماذا؟

ـ الخط الأحمر.

ـ ضع نقطة إذن.

ـ أين؟

ـ بين الخط الأحمر والخط الأخضر.

ـ قصيدة، والله، قصيدة.

ـ قلت لك بعد «قصائد للانتقام» . . .

ـ لكن الشعر عاد إليك.

ـ الحقيقة أنني وجدته.

ـ مبروك. مبروك.

(يائساً) ـ لقد وجدته تفوح منها رائحة النفط.

ـ رحمه الله.

ـ لا رحمه الله.

ـ لماذا؟

ـ إن الشعر الذي يتحول جثة تفوح منها رائحة النفط لا يستحق الرحمة.

ـ ولكن رحمة الله واسعة يا نديم.

ـ ليست أوسع من أرض السعودية أو اليمن أو العراق، ورغم ذلك، فالخلافات بينها مستمرة.

ـ بل المؤامرات مستمرة.

ـ إذا مات الشعر مات ما سواه.

ـ ما عدا النفط.

ـ النفط علّة.

ـ النفط هدف بعد الله.

ـ قبل الله أو بعده؟

ـ قبل الله وبعده.

ـ وإذا ما أرسل الله الصواعق المحرقة؟

ـ الصواعق موجودة في كل الأحوال.

ـ هل يحترق النفط؟

ـ لقد وجد ليحترق.

ـ وإذا احترق؟

ـ تنحسر الصواعق.

ـ بل تهدأ.

ـ ربما.

ـ والعرب؟

ـ السلام على العرب.

ـ السلام على النفط.

ـ على العرب والنفط وما إليهما.

ـ ماذا بعد؟ تابعْ، تابعْ يا نديم.

أطفأ الدكتور نديم لفافته وعدّل جلسته ثم قرأ:

«واختلفت السعودية واليمن حول السيادة على عسير ونجران. إلا أن انتصار السعودية العسكري على اليمن مكنها من ضم الاقليمين. وتم عام ١٩٣٤ تخطيط الحدود بين البلدين من البحر الأحمر حتى مشارف الربع الخالي. وهكذا تم تحديد الحدود مع اليمن في المناطق الخصبة وتوقف عند الصحراء وبقيت قضية حدود البلدين في مناطق الربع الخالي معلقة.

«ولم يتم حتى اليوم التوصل إلى حل خلافات الحدود مع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وسلطنة عمان واتحاد الإمارات العربية وقطر. وتدّعي السعودية السيادة على واحة البريمي ومساحتها ٧٤,٠٠٠ كلم^2 وعلى جزء من الساحل بين قطر وأبي ظبي وعلى أكثر الربع الخالي. واستطاعت قوة بريطانية في أكتوبر ١٩٥٥ أن تخرج الحاكم السعودي وقواته من البريمي بعد فشل المفاوضات الطويلة حول هذا الخلاف.

وقسمت بريطانيا الواحة بين سلطنة عمان وإمارة أبي ظبي. وقامت اليمن الجنوبية بمحاولة فاشلة (بمؤازرة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر) لحلّ خلافها مع السعودية بالقوة أواخر ١٩٦٩. وما زال الخلاف قائماً على الحدود بين هذه الدول إلا أن قضايا دولية أهم وأكبر أشغلها عن إيجاد الحل المناسب».

وطوى الدكتور نديم الكتاب، فيما الاستاذ جلال يفرك عينيه بشدة. وساد، لعشر دقائق أو أقل، صمت عميق، خرقه الاستاذ جلال قائلاً:

- إني أرى يا نديم صراعاً عربياً - عربياً قد يأتي على العرب وثرواتهم ومستقبلهم.
- إن الصراع الذي تتحدث عنه واقع لا محالة.
- انظرْ، يا نديم، إلى خريطة المواقف العربية كما فرضها الغزو العراقي للكويت.
- مواقف أم مصالح؟
- لا فرق. المواقف تمليها المصالح.
- والمصالح؟
- تعززها المواقف أو تدمّرها.
- والنهاية؟
- قبل السؤال عن النهاية ينبغي لنا أن نسأل: من مع من

ومن ضد من؟
- الاردن مع العراق. اليمن مع العراق. العراق ضد السعودية. مصر مع السعودية.
- بل قل ان الرئيس المصري حسني مبارك يصحّح سياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.
- لقد حالف الاردن العراق على أمل أن يغيّر الاتفاق بينه وبين السعودية. لن يحل الاردن مشكلته الاقتصادية حتى يضع يده على بعض الآبار النفطية. وكما الاردن كما اليمن.
- اتعتقد أن الرئيس العراقي صدّام حسين تعهد للملك حسين والرئيس اليمني بتصحيح الحدود السعودية - الاردنية والسعودية - اليمنية؟
- لم لا؟
- هل يستطيع صدّام أن يفي بالتزامات كهذه؟
- هذا السؤال يجب أن نوجهه إلى الرئيس الاميركي جورج بوش.
- لماذا؟
- أنسيت أن الرئيس بوش هو صاحب «درع الصحراء»؟
- درع الصحراء أم سكين الصحراء؟
- الذي لا يملك الدرع لا يملك السكين.
- والذي يملك السكين؟
- المهم أن يملك الدرع.

ـ لماذا مصر مع السعودية؟
ـ إن المال عنصر مقرّر.
ـ لماذا ياسر عرفات مع العراق؟
ـ الجواب عند اسرائيل.
ـ ألم يتعهد، في رأيك، صدّام بارضاء ياسر عرفات؟
ـ يقال إن صدّاماً تعهّد لعرفات بقصف تل أبيب حتى . . .
ـ حتى تحرير فلسطين؟
ـ حتى تحرير فلسطين.
ـ رغم تهويد القدس؟
ـ لقد أغرق صدّام نفسه في بحر لا قرار له.
ـ والنهاية؟
ـ قلت لك عند الرئيس بوش.
ـ لماذا سوريا مع السعودية؟
ـ لعلّك تعرف أن الرئيس السوري حافظ الأسد يقرأ التاريخ العربي جيداً.
ـ لذلك . . .
ـ لذلك اتخذ هذا الموقف العقلاني المعتدل.
ـ وماذا عن الكويت؟
ـ الكويت في ذمة صدّام حتى إشعار آخر.
ـ ودرع الصحراء؟

ـ ضرورة. ضرورة ماسّة.
ـ أرض العرب للعرب.
ـ أرض العرب فطائر لمن يأكل.
ـ بل شرائح على النار.
ـ لا نار بدون نفط.
ـ لا نفط بدون رائحة.
ـ ولكن الرئيس صدام يثير، من وقت إلى آخر، المسألة القومية.
ـ أية مسألة قومية! لقد اتفقنا على أن أرض العرب إما فطائر للأكل وإما شرائح للنار.
ـ على النار.
ـ على النار، تحت النار، مثل بعضها.
ـ والمصلحة القومية؟
ـ ادعاء في غير محله. فتشْ عن السكين.
ـ لماذا؟
ـ السكين للتقطيع والتوزيع.
ـ وإذا ما كثرت السكاكين؟
ـ فقل ان البقرة قد ذُبحت.
ـ وقل ضاع الحق.
ـ الحق لمن يملك أكبر عدد من السكاكين.
ـ كيف؟

ـ من أول أمبراطورية في التاريخ إلى الامبراطورية العربية إلى الامبراطورية التركية إلى الامبراطورية البريطانية إلى الامبراطورية الأميركية والأرض فطائر وشرائح.

ـ والثورة؟

ـ الثورة، الثورة مثل السباحة ضد التيار. فشة خلق.. تنفيسة.

ـ ألا يدرك البغدادي هذا؟

ـ يدرك. يدرك ولكن...

ـ الحكم للسكين؟

ـ بين السكين والقلب مسافة قد تطول أو تقصر.

ـ وإذا طالت؟

ـ تبقى السكين في الجارور.

ـ وإذا قصرت؟

ـ تخرج السكين إلى الشمس وهاتِ يا مَزارع.

ـ بل يا جغرافيا.

ـ الجغرافيا مَزارع.

ـ وزرّاعون؟

ـ مَزارع وزرّاعون وجزّارون وأَكَلَة وسماسرة.

ـ فقط؟

ـ وفعَلَة وخدَم ومتفرّجون ومتسوّلون ومصلّون.

ـ والقضايا القومية؟

ـ إن الفطائر والشرائح تتخذ أشكالاً متباينة.

ـ كيف؟

ـ لكل عصر سكاكينه.

ـ وفطائره وشرائحه؟

ـ وفطائره وشرائحه.

ـ والحق؟

ـ الحق للقوي فحسب.

ـ والأكَلة؟

ـ أشدُّ الناس.

ـ بل الجزّارون أشدّ الناس.

ـ الجزّارون يذبحون ويسلخون ويقطّعون، والأكَلة يأكلون.

ـ هكذا قال التاريخ.

ـ وهكذا سيقول. ليس للفطائر والشرائح أشكال ثابتة.

- ٦ -

لعنة الخليج*

(مُهداة الى الملك حسين بن طلال في عامه الخامس والخمسين)

- ١

هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟
الخليج هدف كوني لا بدّ من تحقيقه
سبق عصر الطاقة فيها ظل مكانه
لعنة الصحراء دخلت في المعاجم القديمة
يتناساها المؤرخون لئلا يحرقوا جفونهم
أو بعْض لحاهم
صدّقوا أن «بقعة الزيت» تغمر الأرض
نفضوا الغبار عن الطقوس النارية

(*) كتبت في ١٠/١٢/١٩٩٠ ونشرت في «النهار» ١٢/١/١٩٩١.

كرّسوا النار بداية الحياة ونهايتها

- ٢
لا يوجد مفصل بين السيف والمدفع
بين الوحي والضرورة
بين الدهر والقهر
بين الوعد والغزو
لأجل النار، تحوّلت الصحراء خليجاً
لأجل الخليج، يتضاءل العالم
الشرق خليج
الشمس خليج
القمر خليج
الحبُّ خليج
الفيض خليج
العقل خليج
النفس خليج
الروح خليج
الحق خليج
يوشك الكسل أن يقتل الغربَ والشمال والجنوب
حضارةُ النار تعود من التاريخ المنسيّ،
ليذهب السدنةُ في شهر العسل

٣ -

هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟
«شمشمون» بغداد يتسلى بتدمير أعصاب
الأمم
و «دليلة» نسيتْ قصّ الشَعر الطويل
والأظفار الحادّة
«شمشون» و «دليلة» لعبتان، محورهما
الخداع فحسب
لا «شمشون» أحب «دليلة»
ولا «دليلة» أحبت «شمشون»
تنازل «البطل» عن شَعره ليكتب الأدباء
والمؤرخون ما كتبوا
مقص «دليلة» ختم الرواية
بين المقدمة والخاتمة بحرّ،
يسكر حيناً ويعربد أحياناً
من رأى منكم سفينة نوح فليصعدْ إليها
إن الغضب آتٍ
والجوع آتٍ
والعطشَ آتٍ
والبردَ آتٍ
والرعبَ آتٍ

والإحباط آتٍ
والبؤسَ آتٍ
والجنون آتٍ
والشتات العربي آتٍ
والفناءُ العربيُّ آتٍ
كرّسوا النار بداية الحياة ونهايتها
المجدُ للنار
المجدُ للنار

٤ -

سأل خليجي صاحبه: ما الفرق بين دار المحسوسات ودار المعقولات؟

قال: الفرق بين الدارين في الاختبار والمشافهة والمشاهدة والتجربة.

قال: والذي لا يختبر ولا يشاهد ولا يجرّب؟
قال: سعيد سعيد جداً
قال: بل شقيٌّ شقيٌّ جداً
قال: الذي لا يعرف لا يشقى
قال: وما المعرفة؟
قال: بحثٌ في العمق...
قال: حتى

قال: الموت
قال: ما نفع المعرفة إذا الموت أقصى غاياتها؟
قال: لولا الموت لتشابهت الداران
قال: حتى في الخليج؟
قال: إذا استثنينا لعنة الصحراء
قال: بل لعنة الخليج
قال: الخليج ابن الصحراء
قال: والصحراء من تكون أمها؟
قال: الله أبوها
قال: وأمها؟
قال: الله أمها أيضاً
قال: وأبو الخليج من يكون؟
قال: الخليج
قال: ما دليلكَ؟
قال: دار المحسوسات ودار المعقولات
قال: إذا قلنا الله . . .
قال: قلنا الخليج والعكس صحيح
قال: لمن البقاء؟
قال: للاثنين معاً. إن الواحد لا يلغي الآخر
قال: لذلك . . .
قال: من كان مع الخليج كان مع الله

قال: والحرب هل هي واقعة؟
قال: الله أعلم

ـ ٥

رمادُ الخليج أثقلُ من أن تذريه الريح
مهما عنفت.
ثابت هو، والعالم في دوران مستمر
يُؤتى ولا يأتي
يعطي ولا يأخذ
يعلّم الحكمة والفروسيّة وحسْنَ التدبير
رغم أنف الخليج، يموت كل عام ثلاثون مليون طفل
في بلاد العالم الثالث
كلما ساد منطقُ التلويح بالقوة، وقف الخليج
إنما على ركبتيه!
مكانه، في الأزمات، بين اللطيف والبسيط
باليمنى يسدّ جوعاً ورمقاً
باليسرى يمسّد لحيةً ويطيّب خاطراً
لا يكره الخليج أمراً مثل التعنّت والتورّط
والتهوّر.
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

٦ -

«شمشون» و«دليلة» يقولان: نعم ولا
«شمشون» و«دليلة» يقامران في حبهما
المزعوم
وتنتهي الحكاية، لتبدأ أخرى
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

٧ -

لا يحتمل الخليج خطأً في الحساب
فكيف إذا كان حرباً!

«من أكبر مآسي عصرنا أن القوى الأجنبية تفكر في الحصول على الموارد بالتقاتل اكثر مما تفكر في فهم المجتمعات البشرية التي تملكها، أو في مساعدة الأخيرة على أن تكون اكثر عقلانية تجاه مواردها»(١)

بيد أن المأساة الأكبر أن دولة خليجية

---

(١) أحمد بهاء الدين: من «النفط والأمن في الخليج العربي»، مجموعة دراسات قدّمها باحثون شرق أوسطيون واوروبيون واميركيون لندوة حول «النفط والأمن في الخليج العربي» عقدها المعهد الملكي للشؤون الدولية ـ مشاتهام هاوس ـ لندن، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت مع مركز الدراسات العربية ـ طبعة أولى ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م ص ١٨١.

تسوق العالم إلى تدمير الخليج
أي سلام نُعطى إذا نحن قتلْنا والدينا
وحرقنا منازلنا ومدارسنا وجامعاتنا
وسائر منشآتنا؟
أي سلام نُعطى إذا بعضنا حرب على
بعض؟
أي سلامَ نُعطى إذا قوِّينا أكل رأسَ
ضعيفنا؟
أي سلام نُعطى إذا تذابحنا وتغاصبنا
وتناحرنا؟
لا يحتمل الخليجُ خطأً في الحساب
فكيف إذا كان حرباً؟
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

٨ -

ليتذكَّر «شمشون» ان الحد الأدنى هو على
الدوام أحسن من لا شيء
مطلوب من «شمشون» أن يتذكر جيداً
ومطلوب من «دليلة» أن تكف عن الغزل
والاغراء
والاستعراض

والاستدراج
ليس حباً ما يدّعيه هذان «الساميّان»
عشية الانتحار لا يمكننا البحث في العدالة
وتوزيع الثروات
عشية الانتحار لا يمكننا التفاوض
في سلام ثابت قاطع
عشية الانتحار تفرض العقيدة نفسها
لا شيء يُبطل الانتحار مثل الشِعر
الكلام المعقّد وجْه ثالث للحرب
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

- ٩ -

إنّ شعباً يضطهد غيره لا يستطيع أن يكون
حراً
إسمعي يا بغداد
إسمعي يا تل أبيب
إسمعي يا كل العواصم الكبيرة
بين الوحدة والتعدّد قيمٌ ضاعت هدراً
وقيمٌ تضيع أو تزول
بين الوحدة والتعدّد صرفْنا عمرنا رخيصاً
بين التجزئة والجمع الجبري تبدّد مالنا

وحقنا وكياننا
«لكل شيء شيء يستريح إليه
الطير يستريح إلى شكله
القلب الظمآن يستريح إلى الماء البارد
المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن»[٢]
والحُرّ يستريح إلى الحُرّ
والمظلوم يستريح إلى المظلوم
والمغلوب يستريح إلى المغلوب
إسمعي يا عواصم القرار
إن شعباً يضطهد غيره لا يستطيع أن يكون
حراً
أي مأساة تنتظرنا، إذا الظالم يستريح إلى الظالم
والقاتل يستريح إلى القاتل
والسارق يستريح إلى السارق!
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

- ١٠ -

إن «معظم دول الخليج الشاطئية الواقعة تحت أنواع من

(٢) الإمام الصادق: ميزان الحكمة، المجلد الأول، ص ٤٣ ـ ذكره الشيخ محمد المقداد في مجلة «المنطلق» ـ العدد ٦٦ ـ ٦٧، أيار، حزيران ١٩٩٠، ص ١٠٢.

الحكم الملكي تزخر بالحركات الداخلية الرافضة. ويكمن الخطر الرئيسي في حلقة النظم الماركسية وامكانية دعمها السري لهذه الحركات في محاولة من جانب الدول الأكثر راديكالية لاسقاط النظم القائمة»[3].

لكن النظم الماركسية آخذة في التلاشي
والراديكالية العربية لا ترى أبعد من أنفها

كم راهنت الحركات الخليجية الرافضة على نجاح الشيوعية في المنطقة!

الملوك والأمراء قلّما يلتفتون إلى أخطائهم
إذا اعترفوا بأخطائهم
إنّ أياً من الأفرقاء المتنازعين لا يمارس
النقد الذاتي
الثورة الخليجية اسمٌ على غير مسمّى
الأنظمة الخليجية أحزمة غير واقية
من يلغي من؟
لعنة الخليج تلاحق هؤلاء وهؤلاء
لم يدركوا، حتى الآن، أن الطاعون أخذ طريقه
إليهم

(٣) أدميرال روبرت هانكس: من «النفط والأمن في الخليج العربي» المذكور سابقاً، ص ١٠٩.

بين «القائم» و «الثائر» بركانٌ سينفجرُ
حتماً
والهيكل لا بد أن يسقط
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

- ١١
حيث يكون النفط يكون القلق
والحسد
والفزع
والحقد
والانتقام
كانت بغداد غنية فصارت فقيرة
ارغمتها الحرب على الخروج من «المدرسة»
قرأ البغدادي كتاب «المغازي» وعيناه
على الكويت
استرجع هذا البيان النبوي:
«والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[4]

(٤) هاشم معروف: سيرة المصطفى، ص ١٥٣، ذكره محمد عبد الجبار في مجلة «المنطلق» العدد ٦٤، شعبان ١٤٤٠ هـ/ آذار ١٩٩٠ م، ص ٦٦.

شعَر البغدادي بوطأة البيان
سأل الذين حوله
أي شمس؟
أي قمر؟
أي أمر؟
قالوا: «الكويت هي الشمس والقمر والأمر
لكل نبيٍّ مسلّح مغازٍ وسيرة»
تظاهر البغدادي بالتواضع
المستشارون هوّنوا عليه الأمر
«ولكنك نبيٌّ أشدُّ قوة وبأساً من جميع الذين جاؤوا
قبلك
لا يكون نبياً من لا يضع سيرته بنفسه
لا يكون نبياً من لا يغزو مرة ثم مرة ثم مرة.
وإلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً».
هل يخرج العالم غداً إلى الحرب؟

- ١٢
دعا البغداديُّ إلى الصلاة
أمّ المصلّين ثم خطب:
«قالت الشريعة:
لا يجوز للمعتدّة أن تتطيّب،

أو تلبس ثوباً مصبوغاً،
أو تخرج من بيتها دون إذن كفيلها،
أو تبيت في غير بيتها»
تلكم هي الكويت تتحدى الشريعة
وتتحدانا.
أغلى العطور لديها
ثيابها ليست مصبوغة فحسب
بل مزركشة مقصّبة شفافة فضّاحة
لا تمكث هذه المعتدة في البيت
تسافر حيث تشاء، بدون كفيل أو وصي أو
وكيل
تنامُ في أرقى الفنادق
والشقق المفروشة
تؤم الشواطىء الباردة والدافئة
ترود مواخير الكفار
وعلب الليل
ونوادي العراة
تغامر
تقامر
تشتري الذهب والرجال

تلكم هي الكويت تتحدى الشريعة
وتتحدانا
ماذا تقولون؟
أيها المصلّون،
ماذا تقولون؟»
صرخ المصلّون بصوت واحد:
«إنها الزانية
حقَّ عليها حكم الله
وحكم النبي
أيها النبي المسلّح،
الأمر لك ومنك
وعلينا التنفيذ
لن ندعَ هذه المعتدّة الفاجرة الساقطة
تفسدنا
إذا بقيت الكويت خارجة عن الشريعة،
فان نساءنا أيضاً قد يخرجن مثلها
عن الشريعة
وربما لن نستطيع انقاذهن
أيها النبي المسلّح،
امهاتنا وبناتنا واخواتُنا وزوجاتنا في
خطر.

توشك الكويت أن تدمّر اسرَنا وعـائلاتنا
وعشائرنا
الأمر لك ومنك
وعلينا التنفيذ»
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

- ١٣ -

تأمل النبيُّ البغدادي المسلّح في
المصلّين
تأمّل طويلاً، ثم قال:
«المجتمع العراقي في خطر
أجل، المجتمع العراقي في خطر
أيها المصلّون
ردّدوا معي:
الموت للكويت
الموت للزانية
أيها المصلّون،
لن يقبل الله لنا صلاة،
حتى نأخذ الكويت حسبما تسمح
الشريعة
إنّ القدرة على الشيء تُذهِب الغضب

اطمئنوا لن يستمر غضبنا طويلا
إلى الكويت
إلى الكويت
الكويت لنا»
وكان «الزحف المقدّس»
وكانت لعنة الخليج
الخليج هدفٌ كوني لا بد من تحقيقه
سبق عصر الطاقة فيها ظل مكانه
هل يخرج غداً العالم إلى الحرب؟

القسم الثالث

"القيصر" آتٍ

المأساة تجرّها خيول بلا حوافر*

(مهداة الى الشعراء العراقيين: محمد مهدي الجواهري وبدر شاكر السيّاب
وبلند الحيدري وعبد الوهاب البياتي ومظفّر النوّاب ولميعة عمارة)

١ -

أصحيحٌ أن آخر الآمال العربية مات بين واشنطن وبغداد؟
ليت العقل يبصر جيداً
ليت العاطفة لا تدخل في المضيق الأعمى
ليت «شمشون» يسترخي بعد طلوع الشمس
جاءنا السلام أسرع من الصوت
خرق جدار القلب وجدار اليقين
زرع ظنوناً كأنها الكوابيس
حصد زؤاناً وسقماً
يا رغيف الغد كيف الوصول إليك؟

(*) كتبت في ١٩/١/١٩٩١ ونشرت في «النهار» ٢٧/٢/١٩٩١.

يا رب العافية إلى أين ذاهبٌ هكذا،
والناس على مرض
و «الطواويس» على مرض
والحَمام الهديّ[1] على مرض
و «الحكماء» على مرض
والملوك على مرض
والسدنة على مرض؟
جاءنا السلام أسرع من الصوت
فرفضناه، ثم رفضناه!

- ٢

أصحيحٌ أن آخر الآمال العربية مات بين واشنطن وبغداد؟
المأساة العربية تجرّها خيول ليس لها حوافر
ولا أنياب
بل خفاف ضاحكة
كما الكتاب يُقرأ مَن عنوانه
كذلك مأساتُنا تُقرأ مِن نواصي تلك الخيول
ما أبعدنا عن السلام!
ما أقربنا إلى الحزن الثابت الدائم!

---

(١) الحمام الهدي: الحمام الذي يرسَل إلى الأماكن البعيدة بكتب الأخبار فيؤديها ويعود بالأجوبة عنها.

«الطاووس» يختال فوق الجثث
يضحك للانقاض
يعبث بشعر طفل مُعدٍّ للذبح
ما زلنا نحسب الهزيمة انتصاراً
والانتحار البطولة
ما زلنا نلهو ونلعب كالأطفال في قرية
نائية صغيرة
ما زلنا ندّعي أن الشعوب كافة خرجت
من أرحام أمهاتنا
وشربت من لبن أمهاتنا
وتعلّمت النطق من أمهاتنا
فلا بد أن نكون الأوصياء على الشعوب
وأولياء أمرها
ما زلنا ندّعي وندّعي وندّعي
جاءنا السلام أسرع من الصوت
فرفضناه ثم رفضناه
ما أبعدنا عن السلام!

- ٣

سأل حضْرميٌّ يمنياً خرج لتوه من مكة:
ماذا وراءك

قال: السيُول تهدّد البيت الحرام
قال: ما السيول؟
قال: ليست الماء الكثير طبعاً
قال: أفصحْ
قال: في فمي ماء أصفر، له طعم ورائحة.
قال: لعلَّ السيْل أخذك بلطفه
قال: لا أعرف
قال: والمكيّون... أليسوا على خوف؟
قال: بلى
قال: الا يقيمون صلاة الخائف؟
قال: بل دعاء الخائف
قال: الصلاة دعاء
قال: الدعاء بيان فحسب
قال: الصلاة دعاء
قال: الدعاء بيان انساني. الصلاة أمرٌ ربّاني
قال: ولكن الهدفُ واحد
قال: ليس دائماً
قال: والمكيّون إلى أين؟
قال: الله أعلم
قال: ومكة؟
قال: لها ربُّها

قال: والمدينة؟
قال: أيضاً المدينيون على خوف
قال: ويقيمون صلاة الخائف؟
قال: لا يمكنني أن اجزم
قال: إياك والجزم
قال: لماذا؟
قال: لئلا تركلك جزمة بغدادية أو أميركية أو اسرائيلية
قال: ان هذا لمن الماضي البعيد
قال: الماضي يتجدّد
قال: الماضي مات
قال: مات ليحيا
قال: الجزمة صارت دبابة
قال: الدبابة جزمة العصر
قال: من الذي يردها عنا؟
قال: ربُّ مكة والمدينة
قال: الدبابة ليست فيلاً
قال: الفيل أيضاً صار دبابة
قال: لقد أخطأت التقدير
قال: أبداً
قال: الفيل صار دبابة
قال: ليس بين الطائرة والدبابة فرق يُذكر

قال: بل يُذكر ويُمحّص ويُعلّم ويُعمّم

قال: صلاة الخائف تسقط الطائرات، تدمر الدبابات، تصون الأرض والعرض

قال: الذي أعرفه أن الصلاة يتبعها الدعاء

قال: الدعاء يشوّش على الطائرات ولا يسقطها، يرصد الدبابات، ولا يدمّرها.

قال: الحمد لله، الحمد لله. ولا يُحمد سواه

قال: جاءك الفهم؟

قال: بكل تأكيد

قال: ماذا فهمت؟

قال: الصلاة يتبعها الدعاء. التشويش يسبق التدمير.

قال: الا يُصلّي المكيّون والمدينيون ثم يدعون؟

قال: الله أعلم

قال: أحسبها فتنة

قال: أجل! انها لفتنة وأي فتنة

قال: بل بدايات تستقيم مع نهايات

قال: التاريخ بداية. والآتي نهاية

قال: الحاضر هو البداية

قال: وما النهاية؟

قال: الحاضر الهرب إلى الأمام. يقتل والديه وزوجه

وأولاده. يبيد العشيرة. يُذلّ الأمة.

٤ -

لبست «دليلة» الخوّذة

عيناها على الساعة ذات الرقاصين والدائرة الصغيرة التي بين الثانية والرابعة.

لن يذهب الوقت سدى

«كان رجل يشرب عند قوم فرأى فيهم رجلاً يلاحظ امرأته فقال:

«كل هنيئاً، وما شربتَ مريئاً ... ثم قم صاغراً فغير كريم

لا أحب النديم يومض بالعين ... إذا ما خلا بعرس النديم»[٢]

تعرف «دليلة» ندماءها

وتعرف ما ينبغي لها أن تشرب وما لا ينبغي لها أن تشرب

الجميع يومضون

«شمشون» يومض

«الطاووس» يومض

(٢) عن «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، تأليف: محمد بن خلف ابن المرزبان، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي - بيروت، طبعة أولى ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م، ص ١١٢.

النديم يومض
البرق يومض
النار تومض
المرأة تومض
الطائرة تومض
الدبابة تومض

و «دليلة» محصنة كالقلعة. «حزام العفة» يلف وسطها الغليظ بشدة. فيبدو صدرها كأنه جمهورية بلطيقية أو اقليم فارسي قديم

«دليلة» تغري وتزّين الوعد
لا ترد هدية
لا تضرب نديماً على يده
تصْدق «دليلة» الوعد حيناً
وتخلف أحياناً
بين الوعد والوعد تغيّر «دليلة» «حزام العفة»
لا تفرّق «دليلة» بين ليلها ونهارها
الندماء لا يغادرون المشرب
بطونهم دائماً خاوية
عيونهم دائماً جاحظة
وجوههم دائماً عابسة
قلوبهم دائماً واجفة

يحبّون ولا يحبّون
يسألون الوعد ولا يذهبون
يسرّهم أن يشْقوا كثيراً كثيراً
ويسرّهم أن يذهبوا إلى النوم سكارى
لبست «دليلة» الخوْذة
أقسمت «دليلة» بالندماء
تدّعي «دليلة» انها أم القتيل، وأنها القبيلة كلها
والأمة كلها
وتدّعي الدم.

- ٥

خرج «شمشون» و «الطاووس» إلى الصلاة، وعلى وجهيهما علامات تنذر بقدوم العاصفة

قال «شمشون»: «وإنّ إلى ربك المنتهى»

قال «الطاووس»: انك لا تصل إلى صريح الحرية الا وقد ذهب ريشُك أو معظمه.

قال «شمشون»: أنت هو صاحب الريش

قال «الطاووس»: بل أنت. يبدو أنك لم تقف مرة إلى المرآة.

قال «شمشون»: أنا الحديد والشعب

قال «الطاووس»: الحديد يفلّه الحديد. والشعب يسحقه الشعب.

قال «شمشون»: ما أنت الا ريشة، ريشة فقط

قال «الطاووس»: ان الأصل الضابط لحريتك على كل المستويات هو عدم تحدي حدودي. هل تعرف حدودي؟

قال «شمشون»: حدودك ريشك. أعرف أنك صاحب ريش ليس اكثر.

قال «الطاووس»: يتراءى لي أنك لا تملك اختياراً يُذكر.

قال «شمشون»: العلْمُ عند «دليلة».

قال «الطاووس»: لقد منحتني «دليلة» علْمَها كله

قال «شمشون»: العلْم يُحصّل ولا يُمنح

قال «الطاووس»: علْم «دليلة» وحْيٌ يُوحى إلى المستحقين فحسب.

قال «شمشون»: في يوم المنازلة يُعرف الوحي من العلْم

سمعتْ «دليلة» هـذا الحوار «المميّز». ضحكت. ثم ضحكت. ثم خلعت «حزام العفة» وقالت لـ«شمشون»:

ـ ان الطعن في الظهر، يا «شمشون»، حالة يرفضها الذي يدعو الى المنازلة.

قال «شمشون»: الطعنُ في الظهر خير من الطعن في الصدر

قالت «دليلة»: ولكن صدري ليس قاعدة عسكرية تختبىء في بطن وادٍ أو في هوّة.

قال «شمشون»: لعلّكِ تعرفين، يا «دليلة» العزِ والحب، انني اكره قصف القلاع والحصون.

قالت «دليلة»: القصف غير الطعن

قال «الطاووس»: أجل، القصف غير الطعن

قال «شمشون»: لذلك أطلب المنازلة

قالت «دليلة» (ضاحكة): تنازل من؟

قال «شمشون»: من له زندان وساعدان

قالت «دليلة»: المنازلة إما أن يحكمها العقل وإما. . .

قال «الطاووس»: الانتفاخ

قال «شمشون»؛ المنتفخ والمنفوخ لا خير فيهما، كلاهما جبان.

قالت «دليلة»: في ودي أن اعلن خوفي عليك يا «شمشون»

قال «شمشون» (ساخراً): ممن؟ افصحي، يا «دليلة»، افصحي

قال «الطاووس»: في ظني أنها خائفة منك عليك

قال «شمشون»: أنا الذي أزرع الرعب في الأرض. أنا الذي أدعو إلى الموت الجماعي. أنا الحديد والنبي والشعب.

أنا الخوف، كل الخوف. غداً سيدرك العالم معنى كلماتي.
غداً سيحفظ العالم آياتي. غداً. . .

قالت «دليلة» (مقاطعة): لننتظرْ. لننتظرْ.

قال «الطاووس»: لننتظرْ. لننتظرْ.

قال «شمشون» (ويداه إلى وجهه): عهدي لكما أن الانتظار لن يكون طويلاً جداً.

- ٦

من نكبة الأمة في طليطلة[3] إلى نكبة الأمة في الكويت، إلى نكبة الأمة في بغداد، مروراً ببيروت طبعاً، والتاريخ لا يبرّد عقلاً حاراً ولا يجبر عظماً كسيراً.

نسيتْ بيروت احزان طليطلة، فوقعت في الحظر الرطب فنشب فيها[4].

نسيت الكويت أن بغداد، ولو ثقل عليها المال والأكل

(٣) طليطلة: مدينة في أواسط اسبانيا قرب مدريد: فتحها طارق بن زياد. استردها الفونس ملك قشتالة ١٠٨٥ م. فيها آثار عربية فخمة وكاتدرائية.

(٤) يقال «وقع في الحظر الرطب» أي ما لا طاقة له وأصله أن العرب تجمع الشوك الرطب وتحتظر به فربما وقع فيه الرجل فنشب فيه.

والزيت، ستلتهمها متى سمحت الظروف والأحوال والامكانات.

كذلك نسيت بغداد أن التخم يقود إلى التحسّر، والجشع إلى الغطرسة، وهذه إلى المرض الملعون، فإلى المقبرة.

نكباتُنا نحن كتبناها على نفسنا. ونحن نقرأها بل نرتلها، اليوم وغداً ـ بالصوت العالي، العالي جداً.

ما أصعب البحث عن البطل المنقذ والفارس الشجاع!
الانقاذُ عقلٌ فحسب
والشجاعة وعي وحذر وفهم للمسائل دقيق
لو تلتفت بغداد مرة إلى الوراء

هل غادر العقلاء بغداد، أو السيف قضى بين الرؤوس والقلوب؟

- ٧

وفي الليلة السادسة عشرة هرع بغدادي مسكين إلى فراشه واعداً نفسه بالصلاة في بيت المقدس.
أخذ البغداديَّ بردٌ شديد مثلما لو على جبل.
في جوفه نار.
النار، في الداخل، تكاد تأكل الأحشاء
والأطراف ترتجف وترتجف

كيف يوفّق الجسدُ الواحد بين حرارتين
متناقضتين!

عشية الفاتح من آب الماضي، صدّق هذا البغدادي المسكين المحرور الصقيع، أن الكويت محتاجة إلى فتح جديد.

عشية الأول من النصف الثاني من كانون الثاني الجاري صدّق البغدادي أيضاً أن بيت المقدس محتاج إلى فتح جديد.

الحلم الأول تحقق
البغدادي أكل الكويت
أكل «النيفيا» لبنة، و «الشامبو» عسَلاً
الحلم الثاني يطرد الحلم الأول
بين الدفء والصقيع معركة لن ينتصر فيها سوى الصقيع.
المحرور يهرب من النار. يتعرى من ثيابه. يتقيأ. يعالج رأسه وبطنه وركبتيه.
الصقيع يجتاح النار. يعبد النار. يمشي على النار يلتهم النار.
الصقيع ساحر. . .
الصقيع هدّاف. يريد أن يسرق ناراً.
يريد أن يرى الدم يسري في عروقه
الصقيع يرفض الموت
المحرور يتهافت على الموت

٨ -

لماذا البغدادي يَسْتَهِلُ الحرب؟
الخليج ليس العراق فقط،
ولا الكويت فقط،
ولا المملكة فقط،
ولا الامارات فقط،
الخليج، يا سادة، هو العراق والكويت والمملكة والامارات المنظورة وغير المنظورة
الخليج، سبحان الذي قسّم وحدّد ونصّب الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين، قلبُ القضية الأممية ورأسها
لا يدرك سرّه سوى الحكماء
يأبى الخليج أن ينام والعواصف في محيط أو بحر أو نهر
الخليج سريعُ الاضطراب
بل مصدر الاضطراب
زيته شرقي - غربي
دخانه إذا تكثّف لعنة، سماء تحت السماء، غضبٌ يفرّخ غضباً.
لماذا البغدادي يستهل الحرب؟

٩ -

قال ابن كثير في تفسيره: «إن الله تعالى يخوّف الناس بما

يشَاء من الآيات لعلّهم يعتبرون ويذّكرون ويرجعون»
أيها البغدادي، ما آياتك؟
الخليج يحترق
الخليج يأكل لحمه
ويشرب دمه
الخليجُ يحفر قبره
الخليجُ يشكّل بالزهور نعشه
الخليج يصوغ نبأ مصرعه
الخليج يمشي في جنازة الخليج
لماذا البغدادي يستهلُ الحرب؟
ويصرّ على الحرب؟

- ١٠ -

السلام على بغداد في الليلة السادسة عشرة
السلام على الكويت في الليلة السادسة عشرة
السلام على الرياض والظهران في الليلة السادسة عشرة
من بيروت إلى الخليج سلام

إني بكيتكِ، يا بغداد ويا كويت ويا رياض ويا ظهـران، حين الخليجيون غارقون في الذهب.

منذ عقد ونصف العقد تعهّدتُ رثـاءكِ يا جميع مدن الـذهب الأسود

وها إني الآن أصدقكِ العهد والوعد
وها إني الآن أبكي مجداً عربياً يذهب تحت جنازير الدبابات
أبكي غنى عربياً لم يُهدر في المواخير والحانات
أبكي جامعات تدكها الراجمات
أبكي مطابع تدمّرها القاذفات
أبكي شوارع تتمزق
أبكي منازل تتهدم
وقصوراً تنهار
أبكي بيوت العلم تتحول ركاماً
أبكي أساتذة وشيوخاً وعلماء برسم الموت
أبكي كتّاباً وفنانين وشعراء برسم الموت
أبكي صحافة تذوب كالقصدير في النار
أبكي حدائق ومعاهد ومدارس ومستشفيات،
دخانها يملأ الفضاء
أبكي أقواماً هلكت مواشيهم
أبكي عمالاً طُردوا أو قُتلوا
أبكي تجاراً صُودرت مخازنهم أو حـرقت
أبكي أمهات فقدن أولادهن
أبكي آباء خسروا أحلامهم
أبكي جميع اليتامى والثكالى، من الكويت إلى عُمان

أبكي جميع اليتامى والثكالى والبائسين

- ١١

السلام على الخليج في الليلة السادسة عشرة
السلام على الخليج يحتضر في الليلة السادسة عشرة
هل شاور البغداديُّ أهل مدينته؟
هل سأل البغداديُّ ربّه؟
حربُ لبنان بدأت، حين «الثورة الفلسطينية» أعلنت أن
الطريق إلى فلسطين «تمرُّ من جونية»!
حربُ الخليج بدأت، حين البغدادي أعلن أن الطريق إلى
فلسطين «تمرّ من الكويت»!

لبنان، يا سادة، احترق
الكويت، يا سادة، احترقت
الخليج، يا سادة، احترق
هل شاور البغداديُّ علماء مدينته؟
هل شاور البغداديُّ عقلاء مدينته؟
هل نظر البغداديُّ إلى نساء مدينته
وأطفال مدينته
وشيوخ مدينته؟
هل سأل البغدادي ربّه؟

- ١٢

أعرف أن صوتي «انهزامي» بحسب «النضاليين»
وأعرف أن زمن العقل تراجع وربما ولّى
ليس العار أن نبكي مجداً يزول
العار أن نضيّع الأمجاد
في الليلة السادسة عشرة خسرنا كل شيء، خسرنا كل شيء،
حتى أعصابنا وعواطفنا وعقولنا.
أخذَنا النوم دون أن نطلبه
لا شيء بات يضجّ في حياتنا، سوى الرغبة
في الموت
سوى الرغبة في الموت
بغداد تحت سرير «شمشون» تئن
وتتلوى
لبست الكفنَ الفضفاض
قبّلت يد «شمشون» أو بعض صدره
ونامت
هل نامت بغداد فعلاً؟
الحرب، يا بغداد، «أمر فطري»
لا أحب الحديث، يا بغداد، عن الحرية
إذا طال الحديث عن الحرية تصبح حياتنا
مسخة، أضحوكة، عدماً.

إذا انتفى الحديث عن الحرية تصبح حياتنا
فساداً، عفناً، فوضى
هل شاور البغدادي كبّار مدينته؟
هل سأل البغدادي ربّه؟

- ١٣

منذ سنة أو يزيد وقرن، وتحديداً في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٩، قام الامبراطور غليوم الثاني، فور تربعه على العرش، برحلة مسرحية إلى الشرق، وإذ وصل إلى القسطنطينية استقبله السلطان عبد الحميد الثاني نفسه على رصيف القصر تحت قصف المدافع كَتحية لقدومه، وبأمر سلطاني سُكّت مدالية خاصة على شرف الضيف الألماني الكبير. بيد أن غليوم الثاني بعث إلى بسمارك ببرقية يقول فيها: «إن مكوثي في القسطنطينية حلم سماوي»[٥].

أي ضيف كبير يحلّ اليوم بالخليج؟
«حلم سماوي»؟
كل «الأحلام السماوية» عزيزة على «شمشون» و «الطاووس»

---

(٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث، للمستعرب السوفياتي فلاديمير يوريسوفيتش لوتسكي، ترجمة الدكتورة عفيفة البستاني، مراجعة يوري روشين، دار الفارابي، الطبعة الثامنة ١٩٨٥، ص ٣٨٧.

وسائر «المؤمنين»
كل حلم لا يتحقق لا يكون «سماوياً»
في الليلة السادسة عشرة تفقّد «شمشون» المواقع والمضارب والمنصّات.
فاته أن يراجع برقية غليوم الثاني إلى بسمارك
حلم «شمشون» أيضاً «سماوي»
لتتنازعْ الأحلام إذن!

وإذ أوى «شمشون» إلى سريره «النبوخذنصري» بدأت «البرقيات» البوشية تنهال على بغداد تقول: «إن مكوثي في الخليج حلم سماوي».

لا تخرج «البرقيات» البوشية، مهما تعدّدت، عن الموضوع:
«إن مكوثي في الخليج حلم سماوي».
نزل «شمشون» إلى الملجأ
نزل «الطاووس» إلى الملجأ
بغداد كلها نزلت إلى الملجأ

قال «شمشون»: الشيطان لا يحلم سماوياً. أحلام الشياطين غير أحلامنا.

في الليلة السادسة عشرة وقع «شمشون» بغداد في المصيدة. سقط الخليج في بحر من الدم.
السلام على بغداد في الليلة السادسة عشرة

السلام على الكويت في الليلة السادسة عشرة
السلام على الرياض والظهران في الليلة السادسة عشرة
السلام على الخليج، كل الخليج، في الليلة السادسة عشرة

- ٢ -

يا يوسّيفوس التاريخ والنكبَات*

- ١ -

لا أنكر أنني كنتُ ممن استبعدوا وقوع
هذه الحرب.
وممن راهنوا على العقل البغدادي
والوعي البغدادي
والحسّ البغدادي
والتواضع البغدادي
وعلى القراءة البغدادية للأحداث الكبرى
والأفكار الطيبة والخبيثة
لكن حسْنَ الظن والواقع لا يتفقان دائماً.
أحلامنا هي أحلامنا. والحق لا ينهض به
سوى الحكماء

(*) كتبت في ١٩٩١/١/٣١ ونشرت في «النهار» ١٩٩١/٢/١٩.

التهب العقل،
وسدلت الستارة
«المسرحية» كُتبت لتُلعَب بمن حضر
البابُ أُبقي مفتوحاً لمن يحضر
كلما أُقفل فصل فُتح فصل
ما أكثر الكتَبة
وما أندر النقّاد والمحللين
المهم أن تخرج بغداد من الصف الأمامي،
والمسرح يخلو من المشاغبين
والمشاكسين
والمتمردين
المهم أن يحترق الخليج
وتخرج بغداد من الصف الأمامي.

٢ -
قررت «دليلة» الوقوف على «رصيف الحياد». قالت:
«من شاء الانتحار فليذْهبْ وحده
لا بد «للمسرحية» من نهاية
كل «الأبطال» إلى السجن أو المنفى أو
المقبرة».
سرقت «دليلة» الأضواء، فيما الخليج

يتداعى ويتهادم
العالم كله يمجّد «دليلة»
العالم كله يسترضي «دليلة»
العالم كله يغازل «دليلة»
العالم كله يتزاحم على بوابة «دليلة»
رصيف «دليلة» بداية العالم
غضبُ «دليلة» نهاية العالم
٣ -
رجعت «دليلة» إلى تاريخ يوسيفوس،
تقلّبه صفحة صفحة، بل سطراً سطراً، بل
كلمة كلمة، وتقول:
يوسيفوس أيها اليهودي النبيل،
ماذا في جعبتك
علّمْنا الحكمة
علّمْنا الصبْر
علّمْنا ضبط النفس
علّمْنا الأدب والاحتشام
يوسيفوس أيها المعلم،
روّضْنا على التماسك والسلام
سئمنا الحروب
سئمنا العزلة

سئمنا مداهمة المنازل والمدارس والجامعات
والمقاهي
سئمنا الخرائب والحرائق ومطاردة أولاد
الناس
سئمنا القتلَ والترويع والترهيب
روّضْنا على السلام
روّضْنا على التعاون فيما بيننا
روّضْنا على الحب
روّضْنا على التواضع
روّضْنا على التسامح

٤ -

وقف يوسيفوس متأهباً، كأنه أمام ملكة
جمال أورشليم، وفي نفسه رغبة في الكلام والحوار.
قال:
- ولكنكِ، يا «دليلة» تطلبين ما لا طاقة
لكِ عليه

قالت «دليلة»: اتقِ الله. نحن اليوم على أبواب عصر جديد. لا نريد البقاء خارجه، بل نريد أن تكون لنا الصدارة وللآخرين...

قال يوسيفوس (مقاطعاً): الجلوس عند العتبة، أو في

المنطقة المتخلفة، أليس كذلك؟

قالت «دليلة»: أنت قلت. أنت قلت.

قال يوسيفوس: إذن، لا معنى لكل ما تطلبين. حطمي، يا «دليلة»، هذه الخرافة.

قالت «دليلة»: الحقيقة ليست خرافة.

قال يوسيفوس: الحقيقة جزءان فقط: واحد لك. وواحد لغيرك.

قالت «دليلة»: الحقيقة لا تتجزأ. وحدة تتمثل بالقوة. نحن القوة. إذن نحن الحقيقة.

قال يوسيفوس: الحقيقة ليست ادعاء. الحقيقة يقين في المطلق. هدف إليه تؤدي جميع السبل. لكن لا أحد يستطيع القبض عليه.

قالت «دليلة»: لا تدْخلْنا في المأساة.

قال يوسيفوس: يمكنك أن تنظري إلى الأحداث الغابرة.

قالت «دليلة»: الأحداث نحن صنعناها، ونحن نصنعها. الأحداث جزء من تاريخنا، وعلامات في حياتنا.

قال يوسيفوس: لذلك، يجب أن تعتبري. يجب أن تدركي حدودك وواجباتك.

قالت «دليلة»: يبدو أنك تفكر في تحجيمنا يا يوسيفوس!

قال يوسيفوس: إني لراغب أن أرى اليهود مستقرين، آمنين، مطمئنين، كسائر الأمم والشعوب.

قالت «دليلة» (ساخرة): كسائر الأمم! كسائر الأمم والشعوب! ما هذه الهرطقة يا يوسيفوس!

قال يوسيفوس: أجل، كسائر الأمم والشعوب. لا تكوني، يا «دليلة»، مثل ذلك الثعلب الذي وقف مرة على رأس جبل عال، فظن أنه يقف على رأس الدنيا، ولما ضربه الجوع الشديد حسب أن الصخرة التي في أسفل الجبل بقرة أو ما يشبه البقرة، فانقضّ عليها من فوق، ولكن الموت كان له بالمرصاد. لقد مات صاحبُكِ الثعلب، فيما ظلت الصخرة ثابتة في مكانها.

قالت «دليلة» (قالبة شفتها): اعتقد أن ثعلبك، يا يوسيفوس، لم ينشأ في أرضٍ مثعلبة، وإنما في خُمٍّ أو ما يشبه الخم.

قال يوسيفوس: ولكن الجنون نصف الطريق إلى الموت.

قالت «دليلة»: وما النصف الآخر؟

قال يوسيفوس: أن يُترك المجنون على غاربه.

قالت «دليلة»: نفهم من كلامك أن «شمشون» بغداد. . .

قال يوسيفوس (مقاطعاً): تماماً. انه لأقرب مثل على ما أقول.

قالت «دليلة»: هل تجاوز «شمشون» هذا النصف الأول من الطريق؟

قال يوسيفوس: بل يوشك أن. . .

قالت «دليلة» (وهي تتلمس «حزام العفة»): ولكنه مصمّم على إزالتنا يا يوسيفوس.

قال يوسيفوس: لا أحد يمكنه إن يزيل دولة الحق.

قالت «دليلة»: دولة. . ؟

قال يوسيفوس (مقاطعاً): دولة الحق. نعم دولة الحق.

قالت «دليلة»: نحن دولة الحق. نحن الحق وسيفه.

قال يوسيفوس: لا تبالغي يا «دليلة». دولة الحق ما كانت ولن تكون.

قالت «دليلة»: ما برهانك؟

ـ ٥

فرك يوسيفوس جبينه، فيما «دليلة» تنظر من النافذة وكأنها تقرأ في الأفق، أو تنتظر صاروخاً بغدادياً. وإذ ساد الجوَّ صمتٌ غير قصير قال يوسيفوس:

ـ ان براهيني، يا «دليلة»، لكثيرة، ولكنني سأكتفي الآن بواحد منها فقط، على أمل أن تسمعي جيداً وتفهمي جيداً.

قالت «دليلة» (والغضب على وجهها): هاتِ ما عندك لننظرْ ونتفكّرْ. هاتِ ما عندك يا يوسيفوس التاريخ والنكبات.

قال يوسيفوس: برهاني، الآن، خبرُ يوحانان الجليلي

الخارجي وهو الثاني من الخوارج الثلاثة الذين كانوا السبب في خراب المدينة المقدسة وهلاك الأمة بمقاومتهم للروم.

قالت «دليلة» (متعجبة): ما خبر يوحانان هذا؟ كفانا الله شره. كفانا الله شرّه.

قال يوسيفوس: «كان في جبل الجليل مدينةٌ اسمها كوشالة، وكان بها رجل يقال له يوحانان له عقل وافر ومعرفة بليغة، ذو حكمة وتجربة وعلم، إلا أنه كان رجلاً شرّيراً يرتكب العظائم ويستحل المحارم، وقد كان انضاف إليه جماعة من أهل الشر فقوي بهم على ما يريد، فكان يقتل الناس ويأخذ أموالهم ويستبيح نِعمهم فأيسر وكثر ماله وانبسطت يده. فلما فتح الروم مدينة كوشالة هرب يوحانان هذا مع أصحابه إلى أورشليم فأقاموا بها وكان أيضاً قد التجأ إليها من المدن التي فتحها الروم جماعة كثيرة من أشرار اليهود، وانضافوا إلى من كان فيها من أهل الردى وذوي الشغب وأصحاب الغِش، فلما جاء يوحانان إليها انضاف إليه الكل وصاروا جميعاً عصبة قوية، متسوّمة للهيج، متهيأة للفتن والرهج، فقوي بهم يوحانان وانبسطت يده على أهل المدينة، وقبض على كل من كان بها من الأغنياء وأرباب الأموال وأصحاب النِعم، فأخذ أموالهم وأعطى أصحابه، واعتزم أيضاً على الكهنة فغيّر مراتبهم وعزلهم وعزل الكاهن الأكبر وقدّم رجلاً من عوام الكهنة لا يعرف شيئاً مما يجب أن

يعرفه الكاهن. وكان ذلك عاراً على الأمة وعيباً لا مزيد عليه، وطالب الشيوخ والحكام أن يعينوه على ما يريده من الظلم، فلما امتنعوا عن ذلك كشيء مخالف للشرع قتل كثيراً منهم فعظمت اذيته وشرّه على الناس حتى تمنوا أن تأتي الروم ويغلبوا عليهم لعلّهم يستريحون منه ومن أصحابه، وراموا أن يجدد السبيل إلى مسالمة الروم فلم يقدروا على ذلك»[1].

قالت «دليلة»: وما الذي حدث بعد ذلك؟

قال يوسيفوس (متأسفاً): لقد عظمت الحروب والفتن بين اليهود، واشتد حَنَقُ بعضهم على بعض، ولم تبطل الحروب بين يوحانان وشمعون لا في صيف ولا في شتاء ولا في ليل ولا في نهار، حتى ان الناس على اختلاف طبقاتهم باتوا يكرهون الحياة ويتمنّون الموت.

قالت «دليلة»: والنهاية كيف كانت؟

قال يوسيفوس: غير سعيدة طبعاً، مأساوية، انتحاراً. ذلك أن تيطس نزل مدينة أورشليم، بغية أن يفرغ من أمر اليهودية بسرعة.

قالت «دليلة»: ولما خرج اليهود لمحاربة الروم على عادتهم ولم يكن لهم طاقة غلبهم الروم وانهزموا وعادوا الى الحصن

(١) تاريخ يوسيفوس اليهودي، المكتبة العمومية لصاحبها: سليم ابراهيم صادر، بيروت ـ بدون تاريخ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وأغلقوا الأبواب.

قال يوسيفوس: لقد حصل هذا فعلاً. ثم حصل ما هو أسوأ وأخطر وأشدّ فتكاً: الشتات اليهودي، نعم الشتات اليهودي، الذي أفسد العالم من أقصاه إلى أقصاه.

قالت «دليلة»: لذلك...

قال يوسيفوس (مقاطعاً): لذلك، يجب ألاّ تخرجوا لمحاربة الروم.

قالت «دليلة» (ضاحكة): ولكن الروم ذهبوا مع يهود ذلك الزمان.

قال يوسيفوس: أعرف. أعرف.

قالت «دليلة»: لقد ذهب الروم، فلماذا تريد منا أن نبعثهم من جديد؟

قال يوسيفوس: ولكن الروم بُعثوا هناك، في تلك القارة التي كانت مجهولة.

قالت «دليلة»: هؤلاء حُلفاؤنا أيها المعلم.

قال يوسيفوس: المهم أن يحافظ اليهود على هؤلاء الحلفاء.

قالت «دليلة»: بكل تأكيد. بكل تأكيد.

قال يوسيفوس: المجد لأورشليم. المجدُ لأورشليم.

قالت «دليلة»: حمى الله أورشليم واليهود والحلفاء.

- ٦

بغداد تحت النار
العراق تحت النار
الخليج تحت النار
العربُ جميعهم تحت النار

بقعة الزيت وبقعة الحرب تتمددان. هذه في اتجاه، وهذه في اتجاه.

«القيصر» يريد رأس «نبوخذ نصر» على طبق من ذهب أو من فضة أو من حديد أو من نحاس أو من خشب لا فرق.

«نبوخذ نصر» يريد ضفيرة من «دليلة» ليُغْضب «القيصر» و«القيصريين».

مطلب «القيصر» معقول
مطلب «نبوخذ نصر» محال

حربُ المصالح تصنع التاريخ وتعيد توزيع الأراضي والشعوب. من الطبيعة استوحت هذه المرة عنوانها: «عاصفة الصحراء».

تحالفات المصالح هل تستمر أو تتزعزع؟

قبل «العاصفة» انتزع «نبوخذ نصر» من «شمشون» قلبه، وزرعه في الجهة اليمنى من صدره، قبالة قلبه المخلوق.

صار «نبوخذ نصر» ذا قلب ونصف قلب.

مرة يدعو نفسه ملكاً

ومرة يدعو نفسه نبياً
هل ينتحر الملك؟
هل ينتصر النبي؟

إذا كانت الحرب العراقية ـ الإيرانية شلّت نصف الدولة «النبوخذ نصرية»، فان «عاصفة الصحراء» ستشلّ بل شلّت نصفها الآخر.

- ٧ -

كان العلاّمة الماروني ـ العربي ـ الإسلامي أبو الفضل الوليد (الياس عبد الله طعمة)، الراقد حزيناً مظلوماً في القرنة الحمراء ـ المتن الشمالي، يقول:

«طريق المتغلبين كثيرة الانشغاب فليس لهم رحيل عن الشعوب عضلوا عليها واستأجروها معاومة فأصبح استئجارهم مداهرة. وكلما غلق الرهن وانقضى الأجل تنكروا لها وقالوا لم تنته المهمة. نحن على ثبار أمر مفيد ومنا على كل أمة رقباء وان بيننا وبينها معاملات ومصالح وقد جئنا لتعليمها وتمويلها»(٢).

لذلك، جميع المبادرات، العربية وغير العربية، مرفوضة مكروهة.

(٢) أبو الفضل الوليد: كتاب القضيتين (في السياستين الشرقية والغربية) ألّف سنة ١٩٣٠ وطبع سنة ١٩٣٤. الطبعة الثانية ١٩٣٤، ص ١١٢/١١٣.

المتغلّبون لا يريدون وصية من أحد
المتغلبون هم الاوصياء على الأمم كافة
السلام لمن يرفع الراية البيضاء فحسب

مازال «القيصر» يطلق بدعته: نحن نريد تحطيم السيوف لا السيّافين.

وما زال «نبوخذ نصر»، بل «شمشون» بغداد، بل «الطاووس»، يهدّد: لن أدع «دليلة» تسرّح شعرها بعد اليوم.

«تنوّعت القوى والسيادة واحدة فلا بد من سائد ومسود، هذه سنة الطبيعة الأزلية الأبدية والطبائع أقوى من الشرائع»(٣).

نعم، كانت الكويت على شريعة فمحاها «نبوخذ نصر» في يوم ماحق.

وكانت بغداد على شريعة فغزاها «القيصر» في يوم واعد صاعق.

ورأينا «الدنيا (أو معظمها) مع الصاعد على القاعد ومع القائم على النائم»(٤).

ورأينا الناس، أو أكثرهم، أعواناً «للسالب والغالب على المسلوب والمغلوب»(٥).

(٣) المصدر نفسه: ص ١٣٠.
(٤) المصدر نفسه: ص ١٣١.
(٥) المصدر نفسه.

فالذي أطمع البغدادي في الكويت أطمع الاميركي في العراق.

لست أدري من الذي ستطمعه الأيام الآتية في اميركا بولاياتها وجزرها.

- ٨

في عتمة «عاصفة الصحراء» اجتاحت موسكو الاستقلاليين والليبراليين في ليتوانيا وغيرها من دول البلطيق.

وفي عتمة «عاصفة الصحراء» هرب الرئيس الصومالي، محمد سياد بري، تاركاً وراءه بقايا عاصمة تُدعى مقديشو.

وفي عتمة «عاصفة الصحراء» أيضاً، يعم الإرهاب أكثر العواصم والمدن الغربية والشرقية.

وحدهم النازحون من العراق والمناطق الملتهبة يعرفون ما الذي يحدث في تلك الأرض.

ولأنهم يعرفون لن يلقوا إصغاء ولا قبولاً.

«القيصر» و«نبوخذ نصر» عقلان.

لسانهما واحد: الحق لا يؤخذ من صاحبه دائماً، الحق يؤخذ من غير صاحبه دائماً.

من يغلب من؟

النازحون العراقيون يقولون: الخاسر فريق واحد فقط: الشعب العراقي وكل العرب.

ذَنْبُ أولئك النازحين أنهم عراقيون فحسب. خليجيون فحسب.

- ٩

هل طهران وأنقرة مع العراق أو عليه؟

الزهرة الكوردستانية تحاول الوقوف حيث لا تستطيع أشجار البلح.

إذا البصرة والنجف هدفٌ فارسي، فإن الموصل وكركوك لا شك هدف تركي - عثماني.

طهران تنتظر أنقرة. وانقرة تنتظر الأكراد

من سيطلق الرصاصة الأولى؟

الجنوب عراق

الشرق عراق

الشمال عراق

الغرب عراق

عرب وأكراد وأتراك وساسانيون: تعددت الطرق، والهدف واحد: العراق. العراق. العراق.

كلما ذُكر العراق، في طهران أو أصفهان أو تبريز أو مشهد أو قم أو شيراز، ذُكر أردشير بن بابك.

وكلما ذُكرت ثورة القبائل العربية في بلاد اياد وناحية بلاد عبد القَيْس والبحرين وهجر والكاظمة، ذُكر سابور الذي

أوصى جنده بابادة من سيلاقيهم من العرب «ونهاهم عن الابقاء على من لقوا من العرب» بعدما أوغر صدره حقداً عليهم وتنفيذاً لرغبته المتعطشة لسفك المزيد من الدماء[٦].

الساسانيون، جميعاً، يتذكرون، باعتزاز شديد، أردشير وسابور، فيما العرب لا يتذكرون أياً من شيوخ اياد أو تميم أو بكر، حتى ولا أياً من أولئك العرب الذين خلع سابور أكتافهم، وبلغ عددهم خمسين ألفاً على ما روى المؤرخون[٧].

جاء في «غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم» لأبي منصور عبد الملك النيسابوري الثعالبي:

«بدأ سابور زحفه على القبائل العربية المحاذية لحدود العراق، ويبدو أن قبيلة اياد كانت المحطة الأولى التي جرّب فيها سابور سيفه، أوقع أولاً بمن في أطراف السواد من اياد، ليجعل من دمائهم مادة تزيل صدأ سيفه وسيوف فرسانه، فغزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وتركهم كالرميم ولم ينج منهم إلا

(٦) بنو شيبان (دورهم في التاريخ العربي والإسلامي حتى مطلع العصر الراشدي)، تأليف: محمد عبد الله ابراهيم العبيدي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق طبعة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٤ م. ص ١١٩.

(٧) المصدر نفسه.

من لحق بالروم وصاروا مثلاً في البوار»[٨]

الروم أنقذوا حلفاءهم من اليهود
وأنقذوا حلفاءهم من العرب
مصادفة؟
الحكم للتاريخ وحده
ما أبعدنا عن التاريخ
ما أقربنا من التفتت والانهيار والشتات
بل ما أقربنا من الفقر والبؤس والشقاء!

- ١٠ -

طهران وأنقرة تمارسان، بعنف واضح، لعبة شدّ الحبال
طهران وأنقرة تتراقبان
هل بات العراق لقمة سائغة؟
هل وُضع العراق على المشرحة؟
دمشق تحذّر من تقطيع العراق
و «نبوخذ نصر» يتنكر في شوارع بغداد الشهيدة
يتنقل من منزل إلى منزل
يحرّض على المنازلة
يتغزّل بـ «أم المعارك»
يحذر «دليلة» و «القيصر» من الضربة الأخيرة

(٨) المصدر نفسه.

لسانه:
من قتل «دليلة» قتل «القيصر»
ومن قتل «دليلة» و «القيصر» فكأنه قتل زعماء العالم جميعاً
ماذا في جراب البغدادي؟
وحدها «دليلة» تعرف
هل تفضح «دليلة» الأمر
أو تترك «نبوخذ نصر» يجرّب حظه؟

١١ -
ذاكرةُ بغداد، اليوم، تستدعي العناية والصيانة الفائقتين
ذاكرة بغداد مريضة جداً جداً
وكئيبة جداً جداً
قد يأخذها الموت عند الغروب
أو بعده
ولربما أبقى عليها حتى منتصف الليل
لكنه لن يدعها تستقبل الفجر
ولن يدعها تصلّي أو تقرأ دعاء المكروب أو المظلوم أو الشهيد أو الثلاثة معاً
ذاكرةُ بغداد مصادَرة
محاصَرة
مقهورة

معزولة
أما العقول
أما النفوس
فألف رحمة على العقول
وألف ألف رحمة على النفوس
في اللحظات الأخيرة تختفي الرحمة
وتنهار العاطفة
يأبى «شمشون» أن ينام قبل أن يلحد علماء المدينة الذاكرة
وكل المدينة
ويأبى «نبوخذ نصر» أن يجلس إلى المائدة قبل أن يغسل يديه
من دم المدينة
يا علماء بغداد،
عجّلوا
عجّلوا
«شمشون» يريد أنْ ينام
و «نبوخذ نصر» يريد الطعام والغرام
يا علماء بغداد،
عجّلوا
عجّلوا
الوقتُ يمضي مسرعاً
والموت يقضي، ولا يتراجع

عجّلوا
عجّلوا
الوقت والموت حليفا «شمشون»
الوقت والموت حليفا «نبوخذ نصر»
هذا يريد أن ينام
وهذا يريد الطعام والغرام

١٢ -

سكن الظلامُ عاصمةَ الرشيد
أطبق الصمتُ على دجلة والفرات

لكن أخباراً من الجنوب المعمّم أخذت تردنا كأنها الصدى، أو كأنها من التاريخ:

«العتباتُ المقدّسة تحت النار

عظام الأئمة دمرتها قذائف «الشيطان الأكبر» و «الملك الشرير» وحلفائهما»

فات «المذيعَ» أن الحروب الصليبية ذهبت إلى الأبد
وفاته كذلك أن حرب النفط لا نهاية لها

كم أخطأ ذاك الذي قال مرة: «بترول العرب للعرب»!
بترول العرب، يا بغداد، بعضه للعرب وبعضه للعالم

«لقد تنامى اهتمام أميركا بالشرق الأوسط على ظهور النفط في ايران والعراق وبروز احتمالات العثور عليه في أماكن أخرى

في المنطقة، وفي اتفاقية الخط الأحمر الشهيرة في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٢٨، ومن خلال عمل حكومي، أعلنت الولايات المتحدة وجودها بالنسبة لنفط الشرق الأوسط. لقد حصلت شركاتها على حصة ضخمة من الشركات البترولية العاملة في العراق (٢٣,٧٥٪) ثم فيما بعد حصلت على نصف شركة نفط الكويت. أما جائزتها الكبرى فكانت العربية السعودية وكان نجاح الأمريكان في السعودية راجعاً في جزء منه إلى تردد الملك عبد العزيز آل سعود في السماح للبريطانيين الذين ساعدوا أعداءه أثناء الحرب العالمية بالدخول إلى مملكته»[٩]

ما أبعدنا عن التاريخ
ما أقربنا من التفتت والانهيار والشتات
ما أقربنا من الفقر والبؤس والشقاء!

١٣ -

سكن الظلام عاصمة الرشيد
أطبق الصمت على دجلة والفرات
هل وُضع العراق على المشرحة؟
يقول «النضاليون»: إنها مشيئة «دليلة» فحسب.

(٩) جيمس كينز: من «النفط والأمن في الخليج العربي»، الآفاق الجديدة مع مركز الدراسات العربية ١٩٠٢ هـ/١٩٨٤ م. ص ١٦٧.

ويقول «الانهزاميون»: العقل العربي مثل كساء لا ينضم طرفاه على لابسه من صغره

جاءت الولايات المتحدة لتلغي الخط الأحمر
لتفتتح عصراً نفطياً جديداً
لتصوّب الآراء والأحكام
لتنظّم اتفاقاً «عادلاً»
اذن، الحرب مستمرة حتى يصبح الخليج محرقة
الحرب مستمرة حتى يتمزق طرفا العقل العربي
الحربُ مستمرة حتى آخر لسان عربي
وآخر قلم عربي
وآخر سيف عربي
وآخر حصان عربي
وآخر فتى عربي
وآخر صبية عربية

لكي تستمر الحرب، صار «نبوخذ نصر» ذا قلب ونصف قلب.

و«دليلة» تمسّكت بـ«حزام العفة»
لأجل «القيصر» تنام «دليلة» إلى ما بعد طلوع الشمس
لأجل «القيصر» قرّرت «دليلة» الوقوف على «رصيف الحياد»
لأجل «القيصر» تكشف «دليلة» عن صدرها لـ«نبوخذ نصر»
جاءت الولايات المتحدة لتلغي الخط الأحمر

لتُدخل العرب في المصحات
لتنهي تاريخاً، وتبدأ تاريخاً
جاءت الولايات المتحدة لتلغي الخط الأحمر
و«نبوخذ نصر» ما زال ينفخ في الأكوار!

- ٣ -

من اورشليم إلى بَغْداد :*
"القَيْصر" يَقرَع أبواب المشرق

- ١

... وفي الليلة السابعة من الشهر الثاني (شباط ـ فبراير)، وبينما العراق منهمك في إحصاء الغارات الجوية الكثيفة، المتعاونة أو المتحالفة، سأل «شمشون» بغداد واحداً من بطانته: «يبدو أن صاحبنا «جالوت» أو «جبّار فلسطين» كما يحلو له أن يُدعى، خَدَعَنا وأطلق ساقيه للريح. هل كانت «مجزرة تونس» لعبة مدبّرة مكنته من الرحيل عن البلاد»؟

أحسّ المساعد بحرارة السؤال الغاضب، فجعل نفسه في حرز من سيّده البطّاش، فلم يشأ الرد، ولكنه هزّ رأسه على أمل أن ينصرف صاحب العراق إلى مسألة أخرى أقل

(*) كتبت في ١٤/٢/١٩٩١ ونشرت في «النهار» ٧/٣/١٩٩١.

تعقيداً. ولعله (المساعد) قال لنفسه: يظهر ان سيادته نسي حكاية الفأر والهر، حين أن «جالوت» مثّل هنا، في بغداد، الدورين معاً، فكان الفأر والهرّ في آن.

بيد أن «شمشون» عاد وكرّر السؤال بصيغة جديدة تفرض، هذه المرة، الردّ دونما تريّث.

- ٢

قال «شمشون»: قلت لك، أيها المساعد، ان صاحبنا «جالوت» ألقانا في الورطة وأدار ظهره...

قال المساعد: يبدو هذا.

قال «شمشون»: أؤكد أن «مجزرة تونس» أذهلتني. لقد جعلها الفلسطيني جسر عبور إلى حريته.

قال المساعد: حين أن جسورنا تُدمَّر.

قال «شمشون»: لا تقلْ «تدمَّر» بل تُقصف.

قال المساعد: القصف غايته التدمير.

قال «شمشون»: والتقتيل والتغيير.

قال المساعد: قصْفُ القوات المتحالفة غايته مركّبة.

قال «شمشون»: مثل الفائدة المركبة؟

قال المساعد: مثل الفائدة المركبة.

قال «شمشون»: مثل القصيدة المركّبة؟

قال المساعد: مثل القصيدة المركّبة.

قال «شمشون»: ماذا في تونس؟

قال المساعد: الشعب ينزل كل يوم إلى الشارع. كذلك في الجزائر والمغرب وموريتانيا وليبيا والسودان والباكستان، وطبعاً في الأردن.

قال «شمشون»: إنيَ أسألك عن «جالوت» وليس عن التوانسة أو سواهم. المسلمون، أيها المساعد، إذا لم يخرجوا اليوم إلى الشارع فلن يخرجوا غداً. الاستعمار الجديد آتٍ لا محالة.

قال المساعد: إن «جالوت»، يا سيدي، مثله مثل المكّوك.

قال «شمشون»: معك حق. كم أكره المكمكة!

قال المساعد: ما المكمكة؟

قال «شمشون»: التدحرج في المشي.

قال المساعد: إني رأيت «جالوت» ذات مساء، يتدحرج في مشيه بين القصر ووزارة الدفاع.

قال «شمشون» (مندهشاً): متى؟

قال المساعد: قبل الهجمة الامبريالية بليلتين أو ثلاث.

قال «شمشون»: سألتني عن المكمكة. إن هذه تفيد أيضاً امتصاص المخ من العظم.

قال المساعد: ولكنني رأيت «جالوت» بين..

قال «شمشون» (مقاطعاً): لعلّه كان على موعد مع

إحداهن. اعلمْ جيداً، أيها المساعد، أن «جالوت» يحبّ البغداديات أكثر من سواهن.

قال المساعد: الله أعلم.

قال «شمشون»: صحيح أن «جالوت» كثير المصّ، ولكنّ عظْمنا ما زال يحتفظ بجزء غير قليل من مخه.

قال المساعد: إذا انكسر العظم سال المخ.

قال «شمشون»: إذا انكسر ولم يجبر.

قال المساعد: أجل، إذا انكسر ولم يجبر.

- ٣ -

إذ ذاك استأذن كبير المستشارين العسكريين في الكلام فقال:

- وردتْ، يا سيدي الرئيس، أخبارٌ من لبنان لا هي واضحة ولا غامضة.

قال «شمشون»: ماذا في أخبار لبنان؟

قال المستشار: الفلسطينيون يحاولون تشغيل الجبهة هناك.

قال «شمشون»: حسناً، حسناً، هل نجحوا؟

قال المستشار: أعرف أن «جالوت» عنيد جداً، فإذا لم ينجح اليوم لا بد أن ينجح غداً.

قال «شمشون»: هل ردّت «دليلة»؟

قال المستشار: بكل تأكيد.

قال «شمشون»: كيف؟

قال المستشار: لقد خرجتُ عليهم بالطائرات.

قال «شمشون»: بالطائرات فقط؟

قال المستشار: وبالمدافع أيضاً.

قال «شمشون»: ماذا قالت الحكومة اللبنانية؟

قال المستشار: الحكومة هناك ضد فتح جبهة مع «دليلة».

قال «شمشون»: إذن لقد هرب «جالوت»

قال المستشار: لقد قصفت «دليلة» معظم قواعد الفلسطينيين في الجنوب اللبناني.

قال «شمشون»: لطالما أكد لي «جالوت» أن القصف العبري على اللبنانيين، ربح قومي عظيم له. بيد أن القصف شيء والاحتلال شيء آخر.

قال المستشار: ولكن «دليلة»، بحسب المعلومات الواردة، لم تقصف اللبنانيين بل قصفت الفلسطينيين، والأصح القواعد الفلسطينية.

قال «شمشون»: المهم أن القصف حصل، والباقي على «جالوت».

قال المستشار: أنت، يا سيدي، أعلم.

قال «شمشون»: طبعاً. طبعاً.

قال المساعد: تفيد المعلومات من لبنان أن الجيش اللبناني قرّر الانتشار أو هو انتشر في المنطقة التي يوجد فيها

الفلسطينيون وحلفاؤهم.

قال «شمشون»: هل الجيش اللبناني مع الحق الفلسطيني أو عليه؟

قال المساعد: الجيش اللبناني صرّح أنه يريد فرض الأمن اللبناني.

قال «شمشون»: في الجنوب؟ في إقليم التفاح كما يسمى؟ رحم الله تفاح الجنوب.

قال المساعد: نعم، يا سيدي، في الجنوب، في اقليم التفاح.

قال «شمشون»: إن هذه بدعة فحسب. هكذا كان يقول لي «جالوت».

قال المساعد: الجيش اللبناني...

قال «شمشون» (مقاطعاً): يُفهم من كلامك، أيها المساعد، أن الجيش اللبناني سيضرب الفلسطينيين وحلفاءهم.

قال المساعد: بل سيمنعهم من مهاجمة «دليلة».

قال «شمشون»: إذن، هرب «جالوت».

قال المستشار: لا بد من الفتك بـ «جالوت».

قال «شمشون»: من لهذه المهمة المستحيلة؟

قال المستشار: لن يفتك بـ «جالوت» مثل داود.

قال «شمشون» (هازاً رأسه): ولكن داود تخلى عن مقلاعه.

قال المستشار: إلى حين، يا سيدي، إلى حين.

قال «شمشون» (مقطّباً حاجبيه): إلى متى؟ حتى يبلغ «جالوت» التسعين؟

قال المساعد: لن يستطيع أحد، على ما أعلم، أن يكدّر عيش هذا الجبار.

قال «شمشون»: الدهر بيني وبينه. إما أنا وإما هو.

قال المستشار: حماك الله يا منقذ الأمة من الضلال. أخاف عليك من داود الذي تخلى عن مقلاعه كما تفضلتم.

قال المساعد: حماك الله يا سيدي ويا رجاء أمتي. إذا داود رآكما معاً...

قال «شمشون» (مقاطعاً): سيقتلني داود، أليس كذلك؟

قال المساعد: تباً لداود هذا. تبّت يدا ذاك الذي..

قال «شمشون» (ضاحكاً): ما عليك. ما عليك. لن يكون داود غبياً إلى هذا الحد.

- ٤ -

الخليج يتنفس سَعيراً
يتوهج عطشاً
ينظر يميناً ويساراً

هل أذهبَ الله باليسار؟

موسكو تعالج رأس كارل ماركس وصدر فريدريك انغلز ولسان لينين وأنف ستالين.

فتحت موسكو مصحّاً عقائدياً بدون نوافذ.

ليس شرطاً أن يكون الأطباء ماركسيين لينينيين.

وليس شرطاً أيضاً أن يكون الجراحون ماديين ديالكتيكيين.

بكين تقيم كل أحد قداساً لراحة نفس ماوتسي تونغ.

بكين لا تقرع الأجراس

بكين تدعو إلى القداس عبر الاذاعة العسكرية

بكين تنتظر نهاية حرب الخليج

حصّتُها مكرّسة، فلماذا تلوّث يديها أو تُتعب ساقيها؟

لقد استطاع «القيصر» أن يشتري من موسكو وبكين الصمت الايديولوجي الغالي الثمن.

عرضت موسكو أسعارها، فقال «القيصر»: نعم. اشتريت.

وعرضت بكين شروطها، فقال «القيصر»: نعم. قبلت.

«القيصر» اشترى وقبل والخليجيون دفعوا الأثمان.

كان صمتُ اليسار باهظ الثمن، فصار أرخص من الصمت العربي.

«القيصر» يريد الحق الخالص
«شمشون» يريد الحق الخالص

«الطاووس» يريد الحق الخالص

«دليلة» تريد الحق الخالص

موسكو تريد الحق الخالص

بكين تريد الحق الخالص

أوروبا تريد الحق الخالص

الطريق إلى الحق الخالص: الطريق إلى الخليج.

كان صمت اليسار غالياً، فصار رخيصاً

هل تنشىء موسكو، في العواصم الغربية والشرقية، فروعاً لمصحها العقائدي؟

هل تبثُّ بكين، في الأرض، أحبارها ليعلّموا الحمْر والبيض والسمْر والسود الطقس الصيني؟

- ٥ -

سمع عاملي، في العقد التاسع، نجفياً - كان يستعد عشية الهجمة للعودة إلى مسقطه فاضطر ان يجدّد الاقامة - يقول ويردد:

- لو يُبعث الإمام الحسين وأخوه العباس عليهما السلام.

قال العاملي: لكي يبعث الله الإمام الحسين وأخاه العباس عليهما السلام، ينبغي له أن يبعث أيضاً يزيد بن معاوية وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد والشمر.

قال النجفي: هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان.

قال العاملي: عصر الحسين عصر يزيد

قال النجفي: سلّط الله عليك صاروخ الحسين أو صاروخ العباس.

قال العاملي: سلّط الله عليك الصاروخين معاً

قال النجفي (ضاحكاً): ان العصمة في يدي

قال العاملي: أي عصمة؟

قال النجفي: نجفيتي عصمتي

قال العاملي: ما أسوأ حظك!

قال النجفي: بل ما أسعد حظي

قال العاملي: صاروخ الحسين! صاروخ العباس! متى صار الشهيدان الكبيران، الحسين والعباس، صاروخين!

قال النجفي: البطل التاريخي يستطيع أن يكون صاروخاً بل قاذفة.

قال العاملي: وبارجة؟

قال النجفي: وبارجة. لم لا؟

قال العاملي: الم تصيّروا ابن أبي سفيان صاروخاً؟

قال النجفي: لا والله. الأمويون وزبانيتهم لا يمكنهم أن يكونوا صواريخ ولا قاذفات ولا بوارج.

قال العاملي: بل...

قال النجفي (مقاطعاً): جواسيس وخونة وعملاء للأجنبي.

قال العاملي: إتّقِ الله.

قال النجفي: لا تقوى مثل لعن بني أمية.

قال العاملي: من كره أباك لن يحبك.

قال النجفي: الأمويون ليسوا من الإسلام في شيء.

قال العاملي: ولكن روزبة بن خشنودان أصبح سلمان الفارسي.. الصحابي سلمان.

قال النجفي: أجل، لقد أصبح روزبة سلماناً مُذْ أصبح في ريب من النار المتصاعد في الفضاء دخانها، وفي ريب من حكمة الناس، ومن قومه العاكفين على النار، ومن كل ما حوله[1].

قال العاملي: أبَعْثيٌ أنت أم صدّامي؟

قال النجفي: بل عبّاسي فحسب.

قال العاملي: أخشى أن يكون مصير صاروخ الحسين وصاروخ العباس، مثل مصير الإمامين الأخوين.

قال النجفي: يجب أن تعلم أن الذي انتصر في كربلاء ليس الأموي اللعين.. بل الإمام الشريف الحسين وأنصاره عليهم السلام جميعاً.

قال العاملي: الله أعلم.

قال النجفي: أإمامي أنت أم سفياني؟

---

(١) عبد الله السبيتي: سلمان الفارسي، دار الأنوار للمطبوعات ـ دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثالثة ١٩٧٧، ص ٢٧.

قال العاملي: بل عاملي يعيش بين «جالوت» و«دليلة».

قال النجفي: عليك بمناقب الطالبيين

قال العاملي: لا أسأل إلاّ عن خبز وأمن.

قال النجفي: ان النفس لأمّارة بالسوء.

قال العاملي: الحلم أفضل من كظم الغيظ.

قال النجفي: ومن كفّ غضبه عن الناس اقاله الله نفسه يوم القيامة.

قال العاملي: لماذا يوم القيامة وليس اليوم أو غداً؟

قال النجفي: ما أقلّ إيمانك!

قال العاملي: وما أبعدك عن الواقعية!

ـ ٦

بعد انقضاء خمسة عشر يوماً على اجتياح العراق للكويت، تنادى، في بغداد، عدد من الباحثين العرب في الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع إلى لقاء عاجل، يناقشون فيه بعضاً من افكار العلاّمة التونسي ابن خلدون، فاقترح أحدهم، وهو من القطر المغربي، أن يكون موضوع اللقاء واحداً فقط: «اعمار الدولة الطبيعية»، كما حدّدها ابن خلدون نفسه، لاعتقاده أن إسقاط الدولة الكويتية إنما ينذر باسقاط دول عربية أخرى وربما غير عربية أيضاً، فوافق الجميع على هذا الاقتراح، وكان اللقاء في منزل أحد الاساتذة البغداديين،

حيث حضر إلى صاحب المنزل ثلاثة عراقيين ومصريان ومغربي واحد وجزائريان وتونسيان ودمشقيان.

رأى المجتمعون أن يبدأوا اللقاء بقراءة النصّ الخلدوني، ثم يصار إلى التعليق عليه، وكُلِّف المغربي الافتتاح فقرأ:

«...وأما أعمار الدول (...) وان كانت تختلف بحسب القرانات، إلا ان الدولة في الغالب لا تعْدو أعمار ثلاثة أجيال. والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته».

أضاف:

«وانما قلنا ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال (...) وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة... ولا تعْدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أوبعده، إلا إنّ عرَض لها عارض آخر من فقدان المطالب، فيكون الهرم حاصلاً مستولياً والطالب لم يحضرها، ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً. «فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»[٢].

ومضى الأساتذة المجتمعون في التفسير والتعليق، ثم أجمعوا

(٢) مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ٣٠١/٣٠٣.

على أن الدولة الظالمة، عربية كانت أم غير عربية، لا يمكنها أن تستمر عمرها الطبيعي كله، أما التأسف والاستهجان والبكاء فمن شأن أولئك الذين يجاملون الحكام ويمتدحونهم ويتقربون إليهم تحقيقاً لمصالحهم فحسب.

٧ -

لقد استعرض المجتمعون، مداورة، أوضاعاً وأحوالاً للدول المشرقية لا سيما الخليجية، فأكدوا ضرورة تغيير انظمة تلك الممالك والدول، في شكل أو آخر، واعتبروا أن الحركة الصدّامية ليست ضد التاريخ تماماً، بل هي مستقبلية يجب على المثقفين العرب، اينما وُجدوا، أن يباركوها ويعاضدوها ويجنّدوا أنفسهم للتعاون معها حتى تتمكن من مسيرتها القومية دونما تأخير. ولما انتقلوا إلى استعراض أحوال الدول في الشطر المغربي من العالم العربي، تباينت الآراء وتناقضت المواقف والتحليلات، حتى كادوا أن يفقدوا متعة التوافق الذي انجزوه في الجولة الأولى، ذلك أن أحد المصريينْ بدا كأنه خارج من صلب رعمسيس أو تحوتمس، فيما تمسّك التونسيان والجزائريان بتاريخية حضارة قرطاجة الريادية التي قاومت روما بعناد قلّ نظيره. أما المغربي أما الدمشقيان فقد مالوا إلى الاعتدال وحاولوا التقريب بين وجهات النظر معتمدين، مرة، على القومية العربية، ومرة، على القومية الاسلامية. بيد

أن عناصر النزاع والخصومة غلبت عناصر التوحيد والتوفيق وأفسدت الجو أيما إفساد.

حينذاك، وقف المصري الثاني الذي ظل، طوال الاجتماع، صامتاً، وأخرج من جيبه ورقة في حجم علبة السكائر أو أصغر بقليل، وطلب من الحاضرين الاصغاء والانتباه، وقال:

- يؤسفني، أيها الزملاء، أن أتلو عليكم، بعدما سمعتُ منكم ما سمعت ورأيت ما رأيت، نصاً ليس عربياً ولا غربياً، قد يزعج علاّمتنا وفيلسوفنا العظيم ابن خلدون، الذي أجمعتم على صحة قوله وبيانه، ولم تجمعوا على حقيقتكم القومية ووحدة مصيركم ومستقبلكم.

أيها الزملاء،

بين يدي الآن، بل أنا الآن بين يديّ نصّ من المؤرخ اليهودي يوسيفوس بن كاربون، اقرأه فاتحيّر، فاراني تارة مضطرباً قلقاً، وتارة مكتئباً مغتماً، على رغبتي في الاستقرار النفسي والروحي وثقتي بعلمائنا وشيوخنا الأوائل، ولطالما سألت وتساءلت: ألم يقرأ علاّمتنا الجليل ابن خلدون تاريخ يوسيفوس بن كاربون؟ أما الرد فكان يأتيني، كل مرة، من حواضر النفس التي تنشد الثقة والأمان.

أيها الزملاء،

قال يوسيفوس مخاطباً معشر بني اسرائيل:

«ان الله عزّ وجل قد جعل لكل امة دولة وزماناً وسلّطها فيها وبسط يدها، فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وكفّ سلطانها وبطلت سطوتها، حينئذ تذل لغيرها وتخضع لمن كان يخضع لها».

أضاف يوسيفوس:

«فانتم (معشر بني اسرائيل) أيضاً قد كان الله سبحانه جعل لكم دولة وسلّطكم على من سواكم وملّككم أعناق غيركم مدة من الزمان ثم نقل المملكة والرياسة عنكم إلى من أراد وسلطهم عليكم، فمتى خالفتم مراد الله عز وجل وأبيتم ما حكم به عليكم هلكتم ولا نشك ولا نرتاب في أن الله عز وجل رفع الروم وجعل لهم سلطاناً في هذا الزمان، لأنه تعالى قد أذن لهم الممالك وظفرهم بالأمم حتى أطاعهم سائر جهات الدنيا ممن هو أشدّ منكم بأساً واقوى سلطاناً وأكثر عدداً»(٣).

وإذْ سمع الأساتذة الزملاء ما أتاهم به صاحبهم، دكَنت وجوههم، وأخذتهم الدهشة، فآثروا جميعاً الانسحاب، وتفرقوا كما بعضهم لا يعرف بعضاً. وفي اليوم التالي كان

(٣) تاريخ يوسيفوس اليهودي: ص ٢٦٣.

الأساتذة الغرباء في المطار، كل ينتظر الطائرة إلى بلاده. لقد صدر في حق هؤلاء قرار يقضي بابعادهم فوراً، فيما تمّ حَبْسُ زملائهم العراقيين باستثناء صاحب المنزل.

٨ -

لعْنةُ الخليج تسفّه الاساتذة،
لعْنةُ الخليج تنبش قبر ابن خلدون،
لعنة الخليج تكشف عوراتنا الثقافية والفكرية والأدبية والسياسية والعلمية والعقلية والنفسية والفقهية.
لعنة الخليج تطرد الفلسفة غرباً،
تسلّم الاقتصاد إلى «التنّين الأكبر»،
تفكك القصيدة،
تزوّر الحكاية،
تزيّن الكذب،
تتلبّس بثوب التقوى،
تلفظ خطبة الجمعة،
تمدّ يدها للدراويش لكي يقبّلوها،
تنفخ صدرها للأكابر لكي يلثموه.
لعنة الخليج: الغضب يسبق الرحمة،
والضرر يصيب الابرياء.
لعنة الخليج تعتبر الحكماء عاصين،

والعقلاء عاصين،
والعلماء لصوصاً،
والشعراء دجاجله،
والأدباء متسوّلين.
لعنة الخليج تبحث عن الشهر الثالث عشر،
عن النصر في الشهر الثالث عشر.

٩ -

يـدّعي «الطاووس»، فيما يدّعي، أن أصل الرجاء معرفة لطفه.

أرسل الإبل والغنم ليلاً ترعى وتركها للوحوش.
يساهر «شمشون» ليزيده غروراً
يكفّر الخصوم مهما أكثروا العطايا والفواضل
يزكّي المريدين ولو أكلوا أموال جميع اليتامى والمساكين.
«الطاووس» و «شمشون»: عقلان في رأس واحد
قلبان في جسد واحد
«الطاووس» و «شمشون»: الرواية ونفْيُها في صفحة واحدة.
إذا قال «الطاووس» لـ «شمشون»: ما أفْضَح عملك!
جاوبه «شمشون»: ما أفْضَح حالك!
«نبي» بغداد يغنّي: «إني مطّلع على السرّ وخطرات القلب وإنْ دقت وخفيت».

فاسمعي أيتها المرأة الرابضة على فريستها
لن تحميك الحيطان المسلّحة
ولا الأبواب المصفّحة
ضيفك، أيتها المرأة، إما النوم وإما الأرق
افتحي له الباب الكبير
قدّمي له الميراث والحلي والأولاد
قلّما ينظر «نبي» بغداد وراءه
إذا وردَ النهرَ شربه كله.

ـ ١٠ ـ

رجع «جالوت» إلى بغداد
ما زال فمه أوسع من ضحكته
وأوسع من بوابة عكا
ينتزع التقارير السرية اجتذاباً
يركب الأمر الشاقّ
يقطّر ماء البحر
سأله «شمشون» عن رحلته
سأله عن الجماعة
عبس المكوك («جالوت») ثم ضحك ثم عبس ثم قال:
ـ الملك يقرئك السلام. يشدّ على يديك. يتمنى لو. . .
الجزائر قلبها معك ووجها نحو الغرب.

تونس تصلي لك ظهراً، ثم تذهب إلى النوم
موريتانيا تضرب بسيفك في بحر من اللبن
ليبيا: شيخ وأمير وبرّاج: من ليس معك ليس عليك.
السودان تقيم على اسمك حلقات الذكر.
اليمن السعيد يمضغ القات عنه وعنـك. يبني لك بـروجاً من عظام النسور.

كل شيء على ما يرام.
الأمور، حتى في المغرب، تسير في طريقها الصحيح
أما الجماعة فبين اليأس والأمل:
شتاء قبل أوانه
وصيْف بدون نجوم
قال «شمشون»: والنهاية؟
قال «جالوت»: سعيدة حتماً
قال «شمشون»: ألا ترى يا «جالوت»، أن النصر حليفنا؟
قال «جالوت»: بلا ريب. نحن النصر، والنصر نحن.
قال «شمشون»: لذلك. . .
قال «جالوت»: الثورة مستمرة. في كل مكان مستمرة.
قال «شمشون»: المعراج مطيتي ومقامك محمود.
قال «جالوت»: افتحْ صدرك، أيها «النبي» للرزايا الجليلة.
قال «شمشون»: ما الرزايا الجليلة؟

قال «جالوت»: المصائب الـدنيويـة التي تستهدف الأنبيـاء والأولياء.

قال «شمشون»: هل جربتَها؟

قال «جالوت»: منذ كنتُ يافعاً.

قال «شمشون»: أجرّبها

قال «جالوت»: لا يسعك إلا أن تجربها

قال «شمشون»: لأنني «نبي»

قال «جالوت»: بل لأنك أعظم الأنبياء

قال «شمشون»: أنا النبي وأنت الصحابي الأكبر

قـال «جالـوت» (بتـواضـع): الله أعلم. الله أعلم. عـلى كل، قرارك لا يُراجع ولا يُرد.

قال «شمشون»: لا نبي بدون الصحابة.

قال «جالوت»: ولا صحابة بدون النبي.

قال «شمشون»: طبعاً. طبعاً.

- ١١

نزلت جميع الخيول إلى الحرب،
«دليلة» تراهن على الجواد الرابح،
و «شمشون» يراهن على الجواد الخاسر،
كيف تعرف «دليلة» الجياد؟
يكفي «دليلة» أنها مكّنت الفلسطينيين من «شمشـون» وأنها

امرأة اسرائيلية.

لم تذكر «دليلة» أنها بكت مرة
فمها دائماً منفرج كالبدر في أتمّه
تضحك فيما الناس يبكون
ترقص فيما الناس يُذبحون
تتبرّج فيما الناس يتألمون
قلب «دليلة» دليلها
وقلوب الناس أضاعها الله انتقاماً لحبيبته الرسولة.
نزلت جميع الخيول إلى الحرب
«دليلة» تراهن على الجواد الرابح
و «شمشون» يراهن على الجواد الخاسر
العرب، جميع العرب، يراهنون على الجواد الخاسر.

- ١٢

ما زالت «دليلة» تقرأ في تاريخ يوسيفوس
ضاقت المسافة بين اليهود الخوارج والروم
يكره تيطس أن يحرق المدينة ويهدم الهيكل
ويكره حنانيا وشمعون واليعازر التسليم لتيطس
ما ذنْبُ أطفال أورشليم!
ما ذنْبُ نساء أورشليم!
ما ذنْبُ عجائز أورشليم!

من أورشليم إلى بغداد إلى البصرة إلى الكويت
إلى الرياض إلى مكة إلى بيروت إلى صور
والطفولة هي الطفولة
والأمومة هي الأمومة
والشيخوخة هي الشيخوخة
لقد ظلم الخوارج الثلاثة شعبهم ومدينتهم
كم حاول تيطس أن يجنّب اليهود الشتات وأورشليم الخراب!
لكن الخوارج أبوا إلّا أن يقاوموا
وأبوا إلّا أن يُغْرقوا المدينة والهيكل في الدم.
ما زالت «دليلة» تقرأ في تاريخ يوسيفوس
اليوم، جميع اليهود مدعوون إلى قراءة تاريخ يوسيفوس
«القيصر» يقرع أبواب المشرق
ويوسيفوس يحذّر من الطيش والتعنّت والحماقة والتصلّب:

«إسمعوا مني يا معشر بني إسرائيل ما أخاطبكم به، فإني إنما أخاطبكم بما ينفعكم ويعود إلى صلاحكم أن تبلغوه. اعلموا أن محاربة الأعداء ومقاومتهم كانتا تحسنان بكم حين كانت بلادكم عامرة وعساكركم متوافرة وأحوالكم مستقيمة، وأما بعد أن بلغتم هذه الحال من خراب البلدان وقتل الرجال وذهاب النعم واختلال الأحوال. فكيف تطمعون في مقاومة هذه الأمة العظيمة القوية التي قهرت الممالك والأمم، وعلى

أي شيء تعتمدون وبماذا تنتفعون؟ فان قلتم إنا نعتمد على الله عز وجل وترجونه أن ينصرنا كما جرت عادته مع آبائنا فيجب أن تعلموا أن الله هو الذي سلّط هذه الأمة عليكم لسوء أعمالكم ورداءة أفعالكم وكثرة ذنوبكم لأنكم ارتكبتم المحارم واستجزتم المآثم والجرائم واستسهلتم الكبائر والعظائم وسفكتم الدماء وأغضبتم إله الأرض والسماء وغشمتم الناس وأهلكتم النفوس ونجّستم هيكل الله القدوس وقتلتم كهنته وصلحاء أمته ظلماً وعدواناً، فكيف ترجون الله عزّ وجل للنصرة والمعونة مع هذه الأفعال القبيحة والله سبحانه لا ينصر من عصيه وخالف شرائعه وتعدّى حقوقه وأحكامه وإنما يعضد من أطاعه واتقاه ورهب تعدية شرائعه»[٤].

قال هذا يوسيفوس، الكاهن يوسيفوس، وقال مثله تيطس ابن وسبنيانوس. بيد أن يوحانان وشمعون واليعازر أصمّوا الآذان وتسلّطوا على بني قومهم وتحكموا في رقابهم وأموالهم وأرزاقهم حتى نهشهم الجوع والقلق والرعب والارهاب. ولما دخل تيطس وجنده المدينة ثم الهيكل لم يلقوا سوى الخرائب والجثث والأشلاء، وتحوّل الهيكل بِرْكة دم ما لبثت تشهد على حماقة أولئك الخوارج الثلاثة: يوحانان وشمعون واليعازر، وغطرستهم ووحشيتهم وجشعهم وسوء إدارتهم وعدم أمانتهم

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٦١/٢٦٢.

وشدّة وقاحتهم وصفاقتهم.

١٣ -

ما زالت «دليلة» تقرأ في تاريخ يوسيفوس
ليس عجباً أن تقرأ «دليلة» في تاريخ يوسيفوس
اليوم، جميع اليهود مدعوون إلى قراءة تاريخ يوسيفوس
أيها «الشمشونيون»،
في بغداد كنتم أم في البصرة أم في الكويت أم في أي مكان
لو تقرأون أنتم أيضاً تاريخ يوسيفوس،
لو تعلمون مأساة أورشليم
وحكاية أورشليم مع أولئك الأشرار الذين نصّبوا أنفسهم
رؤساء وولاة وأمراء حرب.
أيها «الشمشونيون»،
«القيصر» يقرع أبواب المشرق
ويوسيفوس يحذّر ويحذّر
وكما أورشليم في الأمس كذلك بغداد الآن
أيها «الشمشونيون»،
«القيصر» يقرع أبواب المشرق
و «دليلة» تعكف على قراءة تاريخ يوسيفوس

- ٤ -

بداية التاريخ ونهايته*

(الى العلاّمة السعودي الكبير حمد الجاسر، اول من دعا الى جمع معجم جغرافي عام عن المملكة العربية السعودية)

١ -

مرة أخرى، يُؤخذ العرب إلى الميتم
وإلى مدرسة الأحداث
كلّ عقدٍ يَخلَعُ عربيٌّ عذاره
ويجر القبيلة إلى الذُلّ والانقياد
كلّ عقد تنضج العروبة وتُؤكل حبّة حبّة
أيّ فرق بين القبيلة والعروبة!
هذه تُنحَر في البادية
وهذه تُنحَر في المدينة

(*) كتبت في ٢٢/٢/١٩٩١ ونشرت في «النهار» ٢٨/٣/١٩٩١.

نزلت عامرية بغداد(1) إلى الملاعب الرومانية
لوّنت المدارج والأحصنة والسروج
لوّنت الحيطان والأعمدة والجماهير
رقَصتْ والسهمُ في نحرها
أقسمَتْ على الثأر والانتقام
جاءت الفالوجا(2) تلطم وتندب
تحمل الفالوجا الراية السوداء
لبست الفالوجا الكفن
قرأت العامريةُ الفاتحة
غادرت العامريةُ الملاعب
والفالوجا بقيت، رغم ضجة القوم، تعرض أشلاءها وثيابها وتقرأ الفاتحة.

- ٢

كلّ عقْدٍ يَخْلعُ عربيٌّ عذارَه
يتجاوز الصفوف الكثيفة

(1) فيها الملجأ الذي قصفته طائرات القوات المتحالفة وأوقعت حوالي ألف قتيل وجريح، جلّهم من النساء والأطفال.

(2) مدينة عراقية تقع على ٦٥ كيلومتراً غرب بغداد، قصفت طائرة انكليزية، من طراز «تورنادو»، المدخل الرئيسي لسوقها ومبنى سكنياً قريباً، فقتل ١٣٠ مدنياً وجُرح نحو ٨٧ آخرون.

يقْطع رأسَ الإمام
يلبس حلّةَ النبي وبزّتَه
يحتلّ المحراب
يصادر المنبر
يدعو لنفسه
يدّعي العظمة
ينكأ جميع الجراح الدفينة
يعزل من لا يروق له
يُنصّب أتْباعَه وأزلامَه ومريديه
يُزيّنُ المغازي والحروب
شعاره: أعطِ ما يحلو من الوعود، فالأمور لا تثبت على حالها
يكابر إذا ما هُوجم
لا تنَالُ من غطرسته الخسائر الجسيمة
يتفرّج على النار تأكلُ مملكتَه
وعلى الموت يحصد شعبَه
يَسقطُ وهو ينْبىء عن ذاته
عن صفاته الخاصة.

- ٣

عند أحد أعمدة مسجد الكوفة الكبير صلّى الشيخ جعفر،

وهو في العقد السادس، والجامعيّان: الدكتور عبد الأمير والدكتور عباس، كلاهما يقارب الخامسة والأربعين، ثم جلسوا يستطلع بعضهم البعض الرأي في أحوال البلاد ومستقبلها. الجميع كانوا مرهقين. عمامة الشيخ وجبّته تنبئان قلقه العميق جداً. كذلك معطفا الجامعيينْ وسروالاهما، لأنهم كانوا عائدين معاً من دفن بعض ضحايا القصف على المنطقة، والغبار غطى ثيابهم ولحاهم ورؤوسهم.

قال الشيخ: العراق، أيها الأخَوانِ الكريمان، على مفترق طرق. الواضح، حتى الآن، أن «الشيطان الأكبر» لن يرفع يده عن الزناد حتى يُدمّر العراق على أهله.

قال الدكتور عبد الأمير: مأساتنا، يا شيخ جعفر، ليس لها مثيل في العصر الحديث. انها امتداد لمأساة الطالبيين، عليهم السلام جميعاً، هنا في الكوفة وكربلاء.

قال الشيخ: إن كربلاء، يا دكتور، لأوسع من الجنوب وكل العراق. كربلاء أوسع من الدنيا بجهاتها الأربع.

قال الدكتور عباس: يقول الله تعالى: «لقد جئناكم بالحق ولكنّ أكثركم للحق كارهون».

قال الدكتور عبد الأمير: صدق الله العظيم. الحقُّ وكربلاء صنوان لا ينفصلان.

قال الشيخ: بلى. الحق، كل الحق في كربلاء. لولا كربلاء لما كان الاسلام والمسلمون.

قال الدكتور عباس: لقد ظل الامام الحسين، عليه السلام، يقول ويردّد: «شاء الله أن يراني قتيلاً» حتى تَمَّ مصرعه، عليه السلام، على يد الفاسق الفاجر...

قال الشيخ (مقاطعاً): إن دماء الامام الحسين، عليه السلام، هي التي شرّفت كربلاء وقدّستْها. أيمْكنكَ، يا دكتور، أن تتصوّر عراقاً بدون الامام الحسين؟

قال الدكتور عباس: ما الفرْقُ، يا شيخنا، بين مقولة سيّد الشهداء هذه ومقولة «شمشون»: «عليّ وعلى أعدائي يا رب»؟

قال الشيخ (متعجباً): أين «شمشون» المجنون من الامام الشهيد، سيد شباب الجنة!

قال الدكتور عبد الأمير: هذا عنده قضية، وهذا عنده قضية.

قال الشيخ: استغفر الله. استغفر الله. ليست جميع القضايا عادلة يا دكتور.

قال الدكتور عبد الأمير: العدْلُ حكاية معقّدة ضاربة في التاريخ البعيد، البعيد.

قال الشيخ: كان «شمشون» يضرب بسيْف «شمشون»

فحسب، أما الامام الحسين، عليه السلام، فكان يضرب بسيف الله عزّ وجلّ.

قال الدكتور عباس: ما زال «شمشوننا» يصرّ على الجهاد حتى الاستشهاد.

قال الشيخ: ولكن معلوماتي أن قواتنا ستنسحب من الكويت.

قال الدكتور عباس: كما كرّس الامام الحسين، عليه السلام، كربلاء أرض الشهادة والحق، كرّس رئيسنا العراق كله أرض الشهادة والحق.

قال الشيخ: وإذا ما وافق الرئيس على الانسحاب؟

قال الدكتور عباس: لن يوافق. لن يوافق قط. رئيسنا، يا شيخ، لاعب ماهر وذكيّ. لقد أعلن رئيسنا، غير مرة، أنه سيواصل الجهاد حتى الشهادة.

قال الشيخ: لا أستطيع أن أصدّق هذه المقولة.

قال الدكتور عبد الأمير: بل يجب أن تصدّق يا شيخنا.

قال الشيخ: أصدّقُ ماذا؟ صاحبُكم يحبّ الحياة، يحبّ الجاه والنفوذ والسلطان. اريستقراطي النزعة. فوقي. متأنق. متكلّف. حين أن الامام الحسين، عليه السلام، كان زاهداً في الدنيا وراغباً عنها.

قال الدكتور عباس: ولكن الشهادة طريق إلى البعث.

قال الشيخ (هازئاً): أية شهادة وأي بعث؟

قال الدكتور عباس: الشهادة من أجل العراق الحر. الطريق إلى البعث العربي، بعث العدالة والمساواة والكرامة والسيادة.

قال الشيخ: لذلك أنت بعثي؟

قال الدكتور عباس: أجل، أنا بعثيٌّ لأنني قومي عربي.

قال الشيخ: ولكنك إماميٌّ ابن إمامي، حسيْني ابن حسيني.

قال الدكتور عباس: وبعثي أيضاً.

قال الشيخ: الإمامي لا يكون إلّا إمامياً فقط.

قال الدكتور عبد الأمير: الحزبُ، يا شيخ، سفينة والهدف عظيم.

قال الشيخ: الحزبُ سفينة ولكنه ليس سفينة النجاة.

قال الدكتور عبد الأمير: السفينة في البحر.

قال الشيخ: السفينةُ ترابط عند الشاطىء.

قال الدكتور عباس: السفينةُ حاجةٌ ماسّة والبحر ميدان للمغامرين.

قال الشيخ: في البحر جزر وتيارات وأعاصير وما إلى ذلك.

قال الدكتور عباس: لذلك أنا بعثي عفلقي صدّامي.

قال الدكتور عبد الأمير: لكي تنزل إلى البحر ينبغي لك أن تكون بعثياً.

قال الشيخ: لماذا؟

قال الدكتور عباس: إن أعظم جزيرة في البحر الذي نتحدّث عنه إنما هي إسرائيل.

قال الشيخ: اسرائيل؟

قال الدكتور عباس: نعم، نعم، اسرائيل.

قال الشيخ: والحزب؟

قال الدكتور عباس: سفينة.

قال الشيخ: وإذا ما ارتطمت هذه السفينة بتلك الجزيرة؟

قال الدكتور عباس: السرُّ الأعظم أن لا ترتطم السفينة بالجزيرة.

قال الشيخ: بل...

قال الدكتور عباس (مقاطعاً): بل تدور حولها...

قال الدكتور عبد الأمير: طلباً للسلامة. غاية النزول إلى البحر السلامة وليس الانتحار. المهم أن نأكل من ثمار البحر.

قال الشيخ: لذلك اجتحتم الكويت؟

قال الدكتور عباس: لقد اجتحنا الكويت لنعْبرَ البحر، لندور حول الجزيرة.

- ٤ -

التّعَبُ على وجوههم. أغمض الشيخ عينيه وفرك جبينه. الشيخ يبحث عن لفافة. الدكتور عباس يهيىء غليونه. الدكتور عبد الأمير يعدّل جلسته، فهو يعاني التهاباً في بعض خرزات الظهر. وجد الشيخ علبة اللفائف. أشعل الدكتور عباس غليونه، فيما ناول الشيخ الدكتور عبد الأمير لفافة، وواصلوا النقاش.

سأل الدكتور عبد الأمير الشيخ: كيف تتصوّر، يا شيخنا، مستقبل العراق؟

قال الشيخ: إن قراءة مستقبل العراق، في هذه الآونة، تحتاج إلى مزيد من التروّي والتعقّل.

قال الدكتور عبد الأمير: لعلّك تعرف أن النصر سيكون حليفنا.

قال الشيخ: كيف سننتصر إذْ خسرنا حوالي ثلثي قدراتنا القتالية؟

قال الدكتور عبد الأمير: الإعلام الغربي يرمي، في ما يرمي، إلى تحطيم معنوياتنا. لم نخسر، يا شيخنا، أكثر من العشْر، العشر فقط.

قال الشيخ: توشك السفينة أن تغرق.

قال الدكتور عبد الأمير: لن تغرق السفينة، لأنها لن ترتطم بالجزيرة.

قال الشيخ: الجزيرة قرّرت الصمت.

قال الدكتور عباس: ولكن نحاول استفزازها حتى...

قال الشيخ (مقاطعاً): صحيح أن الجزيرة يهمّها أن تُستَفزّ لتوسّع رقعتها، ولكن «عاصفة الصحراء» ستغنيها عن المشاركة في الحرب... والبحث عن عنصر الاستفزاز.

قال الدكتور عباس: لقد وعدَنا «شمشوننا» بأن يجرّ «دليلة» من ناصيتها.

قال الشيخ: معنى كلامك أن السفينة سترتطم بالجزيرة.

قال الدكتور عباس: أبداً. أبداً.

قال الشيخ: إذن كيف سيجرّ «شمشونكم» «دليلة» من ناصيتها؟

قال الدكتور عبد الأمير: سيدعوها إلى سهرة.

قال الشيخ (ضاحكاً): أين؟

قال الدكتور عبد الأمير: على ظهر السفينة.

قال الشيخ: وإذا ما دعته هي إلى الجزيرة؟

قال الدكتور عبد الأمير: سيلبي الدعوة. سيلبي الدعوة. وإذا دُعيتم...

قال الشيخ (مقاطعاً): ان «دليلة»، يا دكتور، مثلها مثل

النار، يمكنك أن تدور حولها، ما شاء لك أن تدور، ولا يمكنك أبداً أن ترتمي فيها أو عليها، أو فيها وعليها في آن.

قال الدكتور عباس: وإذا ما تمكّنا من إخماد هذه النار؟

قال الشيخ: ما أوسع خيالك يا عباس، عفواً يا دكتور عباس!

قال الدكتور عبد الأمير: إننا لواثقون من النصر.

قال الشيخ: لقد ورد في الأحاديث «من ترك الشهوات كان حراً».

قال الدكتور عباس. لقد ترك «شمشوننا» الشهوات على أنواعها ليطفىء نار «دليلة» الوقّادة.

قال الدكتور عبد الأمير: وسيدخل «شمشوننا» إن شاء الله، الجزيرة فاتحاً عربياً إسلامياً بعثياً إشتراكياً.

قال الشيخ: أخشى أن يفتح «شمشونكم» قلبه لـ «دليلة».

قال الدكتور عبد الأمير: الفتح له معنى واحد، وخاصة إذا كان ديموقراطياً، على سنة الله ورسوله.

قال الشيخ: ومن أسف أن زمن الفتح الالهي انتهى، وربما إلى الأبد.

قال الدكتور عباس: سنجدّده إن شاء الله. سنجدّده. المهم أن يبقى البعث.

قال الشيخ: أين؟

قال الدكتور عباس: حيث يكون «شمشوننا» يكون البعث.

قال الدكتور عبد الأمير: إقرأ، يا شيخ، الفاتحة. إقرأ ولا تتردد.

قال الشيخ: تُقرأ الفاتحة في كل وقت.

قال الدكتور عبد الأمير: إقرأ فاتحة الفتح. أوشكْنا أن ندخل الجزيرة.

قال الشيخ: رحمكم الله.

قال الدكتور عبد الأمير: رحم الله «دليلة». راحت «دليلة».

قال الشيخ: ما بالك! أراك نسيت أن الرحمة لا تجوز على غير المسلم!

قال الدكتور عبد الأمير: عفواً. عفواً. لقد فاتني هذا فعلاً.

قال الدكتور عباس: إذن...

قال الشيخ (مقاطعاً): الدوران حول الجزيرة خيرٌ لكم من دخولها.

قال الدكتور عباس والدكتور عبد الأمير (معاً): سندور. سندور حول الجزيرة لا حول الكوفة. سندور. سندور. الحبُّ

أوّلُه الدوران حول المحبوب، وآخره الْتحامُ حتى الاحتراق.

قال الشيخ: ان الاسلام لا يلتزم هذه المقولة.

قال الدكتور عباس: البعث يقوم مقام الاسلام إذا...

قال الشيخ (غاضباً): لا يقوم مقام الاسلام إلا الاسلام.

قال الدكتور عبد الأمير: ولا يقوم مقام البعث إلا البعث.

قال الدكتور عباس: خصوصاً إذا قرّر الدوران، ديموقراطياً، حول الجزيرة.

قال الدكتور عبد الأمير: سنعمّم الديموقراطية. سننشرها في كل عاصمة عربية وكل مدينة وكل دسكرة وكل قرية وكل زاوية وكل بيت.

قال الشيخ: هكذا قال العثماني تورغوت أوزال.

قال الدكتور عباس: بل هكذا قال «القيصر».

قال الشيخ: أعطِ ما لقيصر لقيصر...

قال الدكتور عباس: وما لدليلة لدليلة.

قال الدكتور عبد الأمير: هذه هي الديموقراطية التي نحن في صدد الحديث عنها.

قال الدكتور عباس: عاشت الديموقراطية البعثية القيصرية الدليلية.

قال الشيخ: بل عاشت الإماميةُ الطالبيةُ الإثنتا عشرية.

- ٥

كلّ عقْدٍ يَخْلعُ عربيٌّ عذارَه،
يستعرض صوَرَ الجبابرة القدماء
يُدقِّقُ في سِيَرِهم
يفصّل لنفسه بطولةً على قياسه
يأتي بالأسلحة من كل مصدرٍ موثوق به وغير موثوق به.
يراقبُ الناسَ حتى يموتَ همّاً
لا يفرّق بين المقتَلَة والوليمة
يُحدّثُ بطانته بما لا يليق، ويحدّث، ثم يحدّث حتى يقفزَ الدمُ
من عروق رقبته أو يكاد.
والبطانة تدمعُ عيونها طرباً وانفعالاً،
يفتعل حدثاً كبيراً
يذهبُ إلى الحرب إما قبل أوانها وإما متأخراً،
لا يجرؤ أحدٌ على المعارضة،
لا يغفرُ ذنْباً مهما يكن صغيراً،
لا يقيم حساباً لخصمٍ أو حليف،
لا يتعظ ولا يعتبر،
في ظلّه يغلبُ السفهاءُ الأكابر،
ويأكل القويُّ الضعيفَ،
وينتهي بالأمّة الأمرُ إلى الاضمحلال والفناء.

كلّ عقْدٍ يخلعُ عربيٌّ عذاره
ويجرُّ الأمة إلى الذلّ والانقياد.

- ٦

«عندما وفَد إلى مصر في أعقاب حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وفْدٌ عسكري سوفياتي لإعادة بناء القوات المسلّحة المصرية، وزار أعضاءُ هذا الوفد الوحدات لمعرفة احتياجاتها والتحري عن حقيقة ما حدث، خاطب (رئيس الوفد) الماريشال زاخاروف (الرئيس الراحل) جمال عبد الناصر قائلاً: «لو أن كل دبابة من الدبابات السوفياتية التي تركها المصريون في سيناء أطلقت عشر طلقات فقط لكسبَ العربُ الحربَ»، ولكن معظم الدبابات لم تطلق طلقة واحدة»[٣].

ماذا يقول قائد أركان الجيش السوفياتي، الجنرال ميخائيل مويسييف، لو جاء غداً، إلى بغداد ليعيد بناء القوات المسلّحة العراقية؟

آآلهة أمْ ذئابٌ وثَبتْ على العرش واحداً بعد الآخر؟

منذ أربعٍ وعشرين سنة، ضاعت ـ بين الرئيس جمال عبد

(٣) الدكتور عبد العظيم رمضان: تحطيم الآلهة (قصة حرب يونيو ١٩٦٧)، منشورات مكتبة مدبولي ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨، الجزء الأول، ص ١١٢.

الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ـ هيبةُ مصر وعزتَها، بل هيبة كل العرب وعزتهم.

واليوم، يضيع ـ بين الدفاع والهجوم ـ العراق وكل العرب.

«ولقد كان (الرئيس الراحل) جمال عبد الناصر بطلاً قومياً ما في ذلك شك. بل لعله كان أنقى وأطهر ما في تلك الثورة التي قامت في ٢٣ يوليو (تموز) (١٩٥٢)، ولكنه كان مكبَّلاً في وجه قيادة جيش لا تريد أن تتنحّى مهما ارتكبت من أخطاء أو منيت بالفشل. ومهما كان صحيحاً من أن حسنَ النية كان يقود هذه القيادة، إلا أن حسْنَ النية لا يكفي لقيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات»[٤].

كل عقْدٍ يَخْلَعُ عربيٌّ عذارَه
ويجر الأمة إلى الذل والانقياد.

ـ ٧

فتحتْ بغدادُ جُرحاً فارسياً قديماً،
فاهتز الخليجُ ولم يسقط
ضحكَ الغربُ كله لبغداد، فهاجت «الصدّامية» وعربدت
نسي البغداديُّ السيف،
وتمسّك بالقِراب

(٤) المصدر نفسه: ص ١٩٤.

لقد ذهب هارون الرشيد إلى النوم،
كانت أعصابُه مضطربة
وكان على موعد جديد مع شارلمان.
رحل الرشيد
ماذا تَعلَّمَ البغداديُّ من الرشيد؟
ذبحتْ بغدادُ الكويت، أو هي طعنتها في القلب
صرَخَ الخليج، فظنَّ البغدادي أن الرياح تجري بأمر منه
غسل البغدادي بدموعه جرح الإمام الراحل
كشف عن خطيئته
ركع له
وعَد بان يصلح ما أفسدته المدافع «النبوخذ نصرية»
علّق البغدادي في رقبته صورة الإمام
وآية الكرسي
وكفّ العباس
غرزَ خنجره في جرح الكويت
ليوسّعه
ملأه ملْحاً وكبريتاً
لماذا؟
ليستغفر الإمام
ليُحْيي المدن السومرية

لينفّـذ حكمَ ٱلإمام في «الشيـطان الأكبر» وجميـع «المـرتـدين» و «العملاء».

حسبَ البغداديُّ أن القبضَ على الكويت أشبه بصحوة الموت.

احترق الخليج.

احترق الخليج

ارتفعت درجة «دليلة»

هل يغفرُ له الإمام؟

هل يسامحه؟

هل يَردُّ عنه العباسُ السيفَ والنبال؟

هل تضمنُ له آيةُ الكرسي راحة الضمير؟

كلّ عقْدٍ يَخلعُ عربيٌّ عذاره

ويجرُّ الأمةَ إلى الذل والانقياد.

٨ -

عشيّة الاجتياح العراقي للكويت، أشارت إحدى سيدات بغداد المخْمليّاتِ على «شمشون» أن يقرأ قصة خليج العقبة وأثرها المأساوي على مصر وكل العرب.

قالت: سيدي الرئيس، يذكّرني قرارُك احتلال الكويت، هذا المساء، بقرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، في يوم

٢٢ مايو (أيار) ١٩٦٧، اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية.

قال: أين، يا مليحتي، وجْهُ الشبهِ بين القرارين؟

قالت: القرارُ الناصريُّ أوجبَ حربَ ١٩٦٧ المشؤومة. وقرارُ سيادتك لابد أن يوجب حرب الخليج التي لا يعلم نتائجها سوى الله.

قال (مُتَبَسّماً): لولا مكانَتُكِ عندي لاطعمتُكِ للوحوش.

قالت (غنجاً): عفواً يا سيدي، لم أقصدْ إزعاجك...

قال: ذاك مصري، وأنا عراقي.

قالت: صحيح جداً.

ذاك مصري وسيادتكَ عراقي.

قال: المصري يشرب من النيل. العراقي يشرب من دجلة أو الفرات، أو الاثنين معاً.

قالت: أجل.

قال: المصري طبعُه تَرِع، أي شرُّه سريع. العراقي عميق الغوْر.

قالت: مثل سيادتك. مثل سيادتك تماماً.

قال: مثل سيادتي.

قالت: لقد ذهبَ عبد الناصر، رحمه الله، إلى خليج العقبة ليخنقَ اسرائيل...

قال (مقاطعاً): بل ذهَب ليوسّع حدود اسرائيـل.

قالت: كانت الهزيمة ساحقـة.

قال: المرحوم لم يُعدّ لينتصر.

قالت (ضاحكة): و«شمشوني»؟

قـال (نافخاً صدره): «شمشـونكِ»، يـا مليحة، مـوعود بالنصر الالهي.

قالت: الله اكبر، الله اكبر.

قال: ولله رجال...

قالت (مقاطعة): لا يُقهَرون ولا يتراجعون.

قال: إني ذاهبٌ إلى الكويت لأعلّم اليهود، جميع اليهـود، كيف ينسون الفوهرر (هتلر) والنازية.

قالت (متعجبة): من الكويت؟

قال (متجهماً): أجل، من الكويت.

قـالت: لماذا من الكـويت وليس من عـمان أو من الجليل الأعلى؟ لماذا لا تذهبُ إلى لبنان ومن هناك...؟

قال: لكي تقتلي الأفعى يجب أن تقطعي رأسها.

قالت: الأفعى الاسرائيلية أم الأفعى العربية؟

قال: الأفعى الاسرائيليـة.

قالت: هذه جحرها في تل أبيب وليس في الكويت.

قال (ساخراً): بل ذنَبُها في تل أبيب. على كلٍ الجحْرُ مقر

الضب أو السبع.

قالت: إذا كان ذنَبُها في تل أبيب، فأين يكون رأسها؟

قال (هازاً رأسه): في الكويت. في الكـويت. لولا الأفعى العربية لما كانت الأفعى الاسرائيلية.

قالت: لذلك...

قال (مقاطعاً): أنا ذاهبٌ إلى الكويت

قالت: الله معك

قال: الله وأنتِ معي

قالت: دائماً.

- ٩

بين مضيق تيران والكويت تكبرُ الحكاية وتكبر.

إرحلي يا «دليلة»

الموت لك يا «دليلة»

«دليلة» تراجع سجـل تيران وعينـاها عـلى «الامبراطـورية» - الحلم الكبير.

- في أول يـوليـو (تمـوز) سنة ١٩٥١ حـاولت السفينـة البريطانية «امبايـر روش» المحمّلة بشحنة من الاسلحـة المرور في المضيق فمنعتها السلطات المصرية.

- في ٣ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٥٢ حاولت السفينة الأميركية «إلييون» المحمّلة بشحنة من القمـح المرور في الميناء

فمنعتها السلطات المصرية أول الأمر، ولكنها عادت فسمحت لها حين تبيّن أنها غير متجهة إلى ايلات بل إلى العقبة لتقديم القمح هدية إلى المحتاجين له في تلك الميناء.

ـ في أول يناير (كانون الثاني) ١٩٥٤ منعتْ القواتُ المصرية الباخرة الايطالية «أرجوبيك» المرور في المضيق، غير عابئة بتعليمات السلطات المصرية التي اضطرت إلى مقاومتها بالقوّة فأصابتها في مقدّمها.

ـ في ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٥ منعت السلطات المصرية الباخرة البريطانية «آنشن» من المرور في المضيق(٥)

الرئيس جمال عبد الناصر يريد القبض على آخر اسرائيلي.

إسرائيل ترى في تلك الحوادث، التي وقعت في مضيق تيران، «إخلالاً بقواعد القانون الدولي»(٦)

ذهبَ الرئيس جمال عبد الناصر إلى العقبة ليحاصر اسرائيل،

ليسدّ عليها الطرق والمنافذ كافة،

ليحشرها في عنقِ الزجاجة

ليسوقها إما إلى البحر وإما إلى جهنم

---

(٥) المشكلات العالمية المعاصرة: بقلم حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٨، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٦) نفسه.

ـ ١٠

كانت الرحلةُ الناصرية إلى إيلات قصيرة، قصيرة جداً.

الرئيس رجع فاقداً العزيمة والأمل.

قدّم استقالته ثم عاد عنها.

المشيرُ عبد الحكيم عامر قرّر الانسحاب، ليموت بعد ثلاثة أشهر وبضعة أيام منتحراً بتناول سم الأكونيتين(٧).

لقد ربحتْ إسرائيلُ الكثير الكثير

وخسر عبد الناصر والعرب الكثير الكثير.

روى المشير المصري أحمد اسماعيل، وكان في ذلك الحين رئيساً لأركان القوات البرية:

«كان الانسحاب قاسياً. فالقوات كثيرة العدد والعتاد، وخاصة أعداد الدبابات، وكان عليها أن تنسحب إلى غرب القناة على ثلاثة محاور رئيسية في منطقة المضايق، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو. لقد كانت مخاطرة ومجازفة غير محسوبة. ولا شك أن عدم وضع التخطيط المناسب للانسحاب أثر من ناحية حجم الخسائر وجسامتها»(٨).

---

(٧) قرّر المشير عبد الحكيم عامر سحب قواته من سيناء إلى غرب قناة السويس، في ١٩٦٧/٦/٦، وفي ١٩٦٧/٩/١٣ تناول المشير نفسه مادة سامة قصد الانتحار وقضى في اليوم الثاني.

(٨) تحطيم الآلهة، ص ١١٢.

وروى موشي دايان في مذكراته:

«عند نهاية اليوم الثاني للحرب، أخذت القوات المصرية في المواقع المتقدمة، التي لم تكن تمركزت بعد للحصار، في الارتداد. فقد صدرت إليها الأوامر من القاهرة بالانسحاب. وعندها عرفنا بأن القوات المصرية في شرم الشيخ بدأت ترك مواقعها، سارعنا إلى تقديم ميعاد احتلالها، وأرسلنا وحدة مظلات إليها دون انتظار استيلاء القوات البرية على الطريق البري. ووصلت هذه الوحدة إلى شرم الشيخ في الساعة الواحدة مساء ٧ يونيو (حزيران ١٩٦٧) بطائرات الهليكوبتر، لتشاهد من الجو زورقي طوربيد اسرائيليين في الميناء إذ وصلت إليها من قبل في الساعة الحادية عشرة والنصف قوة بحرية في قيادة الكولونيل بوتزر لتجدها خالية من أية قوة تحميها، فتركت فصيلتين على الشاطىء، وبعد ثلاثة أرباع الساعة، كان العَلَم الاسرائيلي يرتفع مرفرفاً فوق مستشفى قوة الطوارىء الدولية التي انسحبت منها بناء على أوامر عبد الناصر. وسقط أول أسرى مصريين في المنطقة في يد البحرية الاسرائيلية. تمَّ أسرُ ثلاثة وثلاثين من الكوماندوس المصريين الذين كانوا يحتلون جزيرة تيران ومعهم أسلحتهم، عندما حاولوا الهرب إلى مصر في زورقي صيد»[٩].

---

(٩) نفسه: ص ١١٣.

ذهبَ الرئيس جمال عبد الناصر إلى العقبة ليخنق اسرائيل، فتنفّست اسرائيل الصعداء وتوسّعتْ في كل اتجاه.

كلّ عقدٍ يَخلعُ عربيٌّ عذارَه
ويجرُّ الأمّة إلى الذل والانقياد.

- ١١ -

ما لبث «شمشون» بغداد يسأل عن
«جالوت»:
- أين «جالوت»؟
أين الذي يجعل السواد بياضاً،
والباطلَ حقيقة،
والقزمَ عملاقاً؟
وهبتُه «المعراج» ليحطَّ في بيت
المقدس
ليصلّي في المسجد الأقصى
ليدعو لي
هل وصل «جالوت» إلى المسجد الأقصى؟
هل تنازل عن «المعراج» لـ «دليلة»؟
أين «جالوت»؟
أين الذي ولد وسبابتاه مرفوعتان دون
أصابعه الثماني؟

يسأل «شمشون» عن «جالوت». يسأل، ويتأوه.

يتذكّر همسات صاحبه المحمومة

كلمات الرجل آيات. . .

كوفيتُه أوسعُ من بساط الريح

عِقالُه غوّاصةٌ لا تدركها الأبصار

بيد أن الآية «تنزل في الرجل ثم تكون عامة» على قول محمد بن كعب[10].

- ١٢ -

يلتفتُ «شمشون» إلى مرشده الروحي قائلاً:

ـ مولانا أيّ كعْبٍ أحبُّ إليك؟

قال المرشد: كعْب بن مامة الايادي

قال «شمشون»: ثمّ؟

قال المرشد: كعْب بن مالك

قال «شمشون»: ثم؟

قال المرشد: كعْب بن زهير

قال «شمشون»: ثم؟

---

(١٠) ذكره الدكتور نصر حامد أبو زيد، في كتابه «مفهوم النصّ» (دراسة في علوم القرآن)، المركز الثقافي العربي، طبعة أولى حزيران ١٩٩٠، ص ١٩٦.

قال المرشد: كعْب بن الأشرف

قال «شمشون»: ثم؟

قال المرشد: إنْ كنتَ تقصد كعب الأحبار، فلا والله. إن هذا يهودي يمني، اعتنق الاسلام وقدِم المدينة في أيام الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم خرج إلى الشام فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه.

قال «شمشون»: إن الله عزّ وجلّ يضيّق على قوم ويوسّع على قوم.

أين توفي هذا الكعب؟

قال المرشد: في حمص.

قال «شمشون»: ليته توفي في أرض العراق.

قال المرشد: إنها مشيئة الله فحسب.

قال «شمشون»: بل مشيئة ابن أبي سفيان.

قال المرشد: إن هذا الكعب جزء لا يتجزأ من ابن أبي سفيان.

قال «شمشون»: وكعْب الأيادي؟

قال المرشد: وجْه عربي كريم. ضُرِب المَثل بجوده وسخائه، لأنه سقى في ساحة العطش صاحبَه نصيبَه من الماء ومات عطشاً.

قال «شمشون»: هل أدرك هذا الكعْبُ الاسلام؟

قال المرشد: كلا. كلا.
قال «شمشون»: لا خير فيه، ولا في كرمه وسخائه.
قال المرشد: الله أعلم.
قال «شمشون»: بل أنا الأعلم.
قال المرشد: حماك الله.
قال «شمشون»: لنتابعْ، لنتابعْ.
قال المرشد: أما كعبُ بن الأشرف، فشاعر جاهلي من قبيلة طيء وأمُّه من يهود بني النضير.
قال «شمشون»: يهودي؟
قال المرشد: أجل.
قال «شمشون»: تابعْ، تابعْ يا مولانا.
قال المرشد: وكان كعبُنا هذا يحرّض قريشاً على المسلمين بعد بدر ثم عاد من مكة إلى المدينة، فشبب بالمسلمات فتواعد نفر من الأنصار على قتله.
قال «شمشون»: ما اسمُ قاتله؟
قال المرشد: محمد بن مسلمة.
قال «شمشون»: رحم الله كعباً وغفر لمحمد بن مسلمة.
قال المرشد: هل نتابع؟
قال «شمشون»: لا. لا.
قال المرشد: لماذا؟

قال «شمشون»: اليهود بداية التاريخ ونهايته.
قال المرشد: إذا أردت أن تعرف كعب الأحبار...
قال «شمشون» (مقاطعاً): فانظرْ إلى «جالوت».
قال المرشد: وإذا أردتَ أن تعرف كعب بن الأشرف.
قال «شمشون» (مقاطعاً أيضاً): فانظرْ إلى «جالوت».
قال المرشد: ليس كذلك تماماً.
قال «شمشون»: بل كذلك تماماً.
قال المرشد: رحم الله المتنبي إذ قال:

«إذا لم تكن لليث إلا فريسة
غَذاهُ ولم ينفعْك أنك فيلُ»

قال «شمشون»: أيُّ ليث، وأيّ فيل؟
قال المرشد: كأني بك تقول ان اليهود عائدون إلى الحجاز والعراق.
قال «شمشون»: إذا شاء «القيصر» بل إذا شاءت «دليلة».
قال المرشد: والأصلُ تتبعه الفروع. لا بد لكل غريب أن يعود إلى أرضه.
قال «شمشون» (متذكراً ومتعجباً): لطالما ردّد «جالوت» على مسمعي هذا البيت!.
قال المرشد: ربما ليذكّرك بخطر الروم عليك.

قال «شمشون»: تقصد خطر اليهود؟

قال المرشد: سامحك الله.

قال «شمشون»: ماذا تقول؟

قال المرشد: بل حماك الله.

قال «شمشون»: ممّن؟

قال المرشد: من أصحابِ الفيل.

قال «شمشون»: لستُ خائفاً لا من الفيل ولا من أصحابه.

قال المرشد: فليبعدْ الله عنك الليثَ وأصحابَه.

قال «شمشون»: أيضاً الليثُ لا يخيفني.

قال المرشد: و«دليلة» هل تخيفك؟

قال «شمشون»: نعم ولا.

قال المرشد: وإذا ما أعلنتْ عليكَ الحرب؟

قال «شمشون»: أعلنُ عليها الحب.

قال المرشد: لا يطفىء الحربَ مثل الحب.

قال «شمشون»: إرادتنا من إرادة الله.

قال المرشد: وقال المتنبي أيضاً:

«أُعادَى على ما يوجب الحبُّ للفتى
وأهدأ والأفكارُ فيّ تجولُ»

قال «شمشون»: بل «دليلة» هي التي فيّ تجول وتجول

وتجول... وتجول.

قال المرشد: إذن لا خوف عليك.

قال «شمشون»: لن يعرف قلبي الخوف.

- ١٣ -

قال «جالوت»، مرة، لـ«شمشون»، وكانا في طريقهما إلى المسجد:

- إذا خرجتْ عليك «دليلة» بالحديد والنار فقابلْها بالمنّ والسلوى.

قال «شمشون»: لماذا؟

قال «جالوت»: لأن «دليلة» تحبّ المنّ والسلوى.

قال «شمشون»: وإذا خرج علينا «القيصر»؟

قال «جالوت»: إذا كان الوقتُ ليلاً فاعلمْ أن «دليلة» وراءه.

قال «شمشون»: وإنْ نهاراً؟

قال «جالوت»: النهارُ نهار. والليلُ ليل.

قال «شمشون»: من وراء النهار؟

قال «جالوت»: النهارُ لا يمشي وراءه أحد.

قال «شمشون»: وأمامه؟

قال «جالوت»: العالم كله.

قال «شمشون»: بيساره ويمينه؟

قال «جالوت»: بيساره ويمينه وغيرهما.

قال «شمشون»: وإنْ رأيتَ «القيصر» يسرع الخطى؟

قال «جالوت»: فاعلم أن «دليلة» قد صنعت له الطعام.

قال «شمشون»: ولكنّ الذي يأكل لا يستطيع الركض

قال «جالوت»: طعام «دليلة» ينشّط الذهن والعضلات.

قال «شمشون»: وشرابها؟

قال «جالوت»: منشّط أيضاً. يجعلُ الشيخَ فتىً.

قال «شمشون»: إن الله تعالى يعلم السرَّ وأخفى.

قال «جالوت»: لذلك نقول ان الطريق الأساسي لتحرير فلسطين هو طريق حرب الشعب الثورية. نحن، كمقاومة فلسطينية شريفة، نعتبرُ كل الأراضي العربية المحيطة باسرائيل ميداناً مشروعاً للنضال الفلسطيني، وأية محاولة لاغلاق أي قطر عربي على المقاومة الفلسطينية بمثابة الخيانة لأهداف شعب فلسطين والأمة العربية.

قال «شمشون»: معك حق. معك حق.

قال «جالوت»: ولكن. . .

قال «شمشون» (مقاطعاً): ما أكثر الخونة.

قال «جالوت»: لن يبقى خائنٌ عربيٌّ يمشي على قدميه.

قال «شمشون»: ألا يُغضِبُ تصريحُك هذا «دليلة»، الحبيبة «دليلة»؟

قال «جالوت» (ويداه إلى عقاله): لولا مثلُ هذا التصريح لبقيتْ «دليلة» سجينة همومها.

قال «شمشون»: عاشت الثورة.

قال «جالوت»: الثورةُ تُحْيِيها «دليلة».

قال «شمشون»: وتميتُها؟

قال «جالوت»: تستطيع «دليلة» أن تفعل ما تشاء.

قال «شمشون»: وتستطيع «دليلة» أن تعود إلى الحجاز ساعة تشاء. رحم الله أيام يهود يثرب.

قال «جالوت»: وإلى نجد؟

قال «شمشون»: وإلى نجد.

قال «جالوت»: صدورُ الأحرار قبورُ الأسرار.

قال «شمشون»: إنّ هذا مثَلٌ في غير محله.

قال «جالوت»: بل في محله. ذلك أننا نحن: «دليلة» وأنت وأنا، الأحرار.

قال «شمشون»: الأحرار فحسب.

قال «جالوت»: فحسب، وألف فحسب. نحن الأحرار والآخرون عبيد.

قال «شمشون»: والرأي الذي يجيء بعد أن يفوت الأمر؟

قال «جالوت»: أوّلُه شرّ وآخره شرّ.

قال «شمشون»: وشرُّ أيام الدّيك؟

قال «جالوت»: يوم تُغسَلُ رجلاه.
قال «شمشون»: لنغسلْ، إذن، رجْليّ «دليلة».
قال «جالوت» (مقاطعاً): ولكن «دليلة» ليست ديكاً.
قال «شمشون»: و «القيصر»؟
قال «جالوت»: ديكٌ بيّـاض.
قال «شمشون»: لو نغسلُ رجْليـه.
قال «جالوت»: يجب أن نُقْنِعَ «دليلة» أولاً.
قال «شمشون»: الحبُّ أوله «دليلة».
قال «جالوت» (مقاطعاً): وآخره «دلـيلة».
قال «شمشون»: لذلك، فإن اليهود بداية التاريخ ونهايته. البداية بداية. النهاية نهاية. كما في التاريخ كذلك في الحب.

قال «جالوت»: إذا قلنا «دليلة»...
قال «شمشون» (مقاطعاً): قلنا اليهود.
قال «جالوت»: والمعادلة؟
قال «شمشون»: اليهـود هم التاريخ كُتب أم لم يُكتب.. و «دليلة» هي الحب حدثَ أم لم يحدث.
قال «جالوت»: هكذا تؤكل الكتف.
قال «شمشون»: الذي لا يعرف من أين تُؤكـل الكتف لا يعرف كيف يستمر حاكماً سعيداً.
قال «جالوت»: ولا قائداً عتيداً.

قال «شمشون»: أنا باقٍ هنا على صدر بغداد. وأنت..؟
قال «جالوت» (ضاحكاً): باق على صدر المنظمة..
قال «شمشون»: فاطمئني، إذن، يا «دليلة».
قال «جالوت»: مطمئنة. مطمئنة. مطمئنة.
كلّ عقدٍ يخلَعُ عربيٌّ عذاره
ويجرُّ الأمّة إلى الذل والانقياد

ـ ٥ ـ

«أمُّ المعارك»*

(الى الجيل العربي القادم)

ـ ١

كانت ليلة «نبوخذ نصرية» طويلة، طويلة جداً. بدأت والشمس ما زالت فوق بوادي العراق والشام، وانتهت حين قام مؤذّن الرئيس داعياً إلى صلاة الفجر.

لقد جاء مرشد الرئيس وبعض أعضاء مكتبه قبل الموعد ببضع دقائق، ولعلهم اتفقوا أن يدخلوا القاعة معاً. الكل يرى أن المسألة أصبحت في دائرة الخطر المؤكّد، لكن لا واحد منهم يستطيع البوح بما يفكر فيه، ذلك أن «نبوخذ نصر» لبس الدرع وحلف برأس الامام الخميني الاّ يخلعها قبل أن

(*) كتبت في ٩/٣/١٩٩١ ونشرت في «النهار» ٢٩، ٣٠/٤/١٩٩١.

يسقط «القيصر» وتتخلى «دليلة» عن «حزام العفة».

قال المرشد: ان الظروف ما زالت محتمَلة

قال المستشار: لا أحد يملك التفاصيل

قال المساعد: تستمر عواصم الغربِ في التطاحن من أجل الزعامة العالمية.

قال المرشد: نحن الزعامة..

قال المستشار: الروحيّة والزمنية

قال الناطق الرسمي: الآن وإلى دهر الداهرين

قال المرشد: بغداد أمُّ الدنيا

قال الناطق: وأبوها

قال المستشار: وفارسها

قال المساعد: ومعلّمها

ودخل «نبوخذ نصر» يتمايل مثلما قضيب الريحان، فقام الجميع وكأنهم في سبات، ثم تقدموا نحوه، الواحد تلو الآخر، يقبّلون ما بين أعلى صدره وكتفه، وقبل أن يأخذ كل مكانه تسارع المساعد إلى إلقاء هذا الخطاب المقتضب:

«سيدي المهيب،

لقد أجمعت وسائل الاعلام الغربي والشرقي على أنكم ملك الملوك، المولود بطلاً، وصاحب البأس منذ مولدكم،

والأسد الثاقب البصر، وابنُ المارد، وراعي الأباطرة والقياصرة والأكاسرة، وربُّ البلاد كلها.

وأجمعت كذلك على أنكم تحبّون الخير وتُقصون الشرّ وتَمقتون ألفاظ العداوة.

سيدي المهيب،

لقد أدرك العالم كله، فيما أدرك، أن لا مثيل لكم، وأن بأس السماء والأرض ما توفّر لسواكم. رعاك ربُّ السماء. رعاك ربُّ السماء».

إذ ذاك جلس الجميع، وعلى وجه «نبوخذ نصر» علامات تنبىء بالغضب السومري الرهيب.

ـ ٢

قال «نبوخذ نصر»: إنْ ينصرْكم الله فلا غالب لكم. إنْ ينصرْكم الله فلا غَالب لكم. صدق الله العظيم. يذكّرني هذا «القيصر»، القادم الينا من بلاد الدولار، بالعيلانيين والأموريين. بيد أن بغداد ليست مثل أور ذلك الزمان.

أضاف: قولوا لهذا الكافر الأرعن الخبيث أن يسحب عساكره من الخليج قبل أن تحل عليه وعليهم لعنة سومر التي لا تُبقي ولا تَذَر.

ثم التفت إلى المرشد وقال: الا ترى معي، يا مولانا، كيف ان الايمان كله قد خرج إلى الكفر كله! يحْسبُ «القيصر» أننا خاضعون له. تباً لهذا «القيصر» الصغير. كيف يسمح هذا الطاغية لنفسه بأن ينازلنا على أرضنا! أنا الفرات إذا ما طغى. هل يعرف ما الفرات؟ أنا «شمشون». أنا الزلزال. أنا غضب الله. أنا الجبل الثابت، والآخرون فئران الحقل.

قال المرشد: لقد رأيت، يا ملك الملوك، رؤيا لم أر مثلها من قبْل.

قال «نبوخذ نصر»: لعلّك رأيت الكفار يرتدّون على أعقابهم خاسرين.

قال المرشد: تماماً. تماماً.

قال «نبوخذ نصر»: هات، هاتِ بشّر بنصر الله القريب.

قال المرشد: إني رأيت الفرات يتحوّل مسلخاً عظيماً، فيه جزارون من كل شكل ولون، يتكلّمون بلغات لا نفهمها. في احدى زوايا المسلخ يجلس كاهن يناهز التسعين، لا هو أسقف ولا قس، يصطلي ناراً، وينظر في كتاب غير عربي.

قال المساعد (مقاطعاً): هذا حاخام يا مرشد.

قال «نبوخذ نصر»: الحق مع المساعد. حاخام. نعم

حاخام. اكملْ يا مرشد. اكملْ.

قال المرشد: كان المسلخ يمتلىء دماً ثم يفرغ ثم يمتلىء ثم يفرغ. بينما الكاهن ينظر مرة في الكتاب ومرة في الجزارين.

قال «نبوخذ نصر»: ماذا بعد؟

قال المرشد: لا أعرف. رأسي يلتهب أيها المهيب.

قال «نبوخذ نصر» (مضطرباً): كيف لا تعرف؟

قال المرشد: لقد أيقظتني زوجتي قبل أن أصل إلى نهاية الرؤيا.

قال «نبوخذ نصر»: النهاية عندي. نعم، النهاية عندي.

قال المساعد: النهاية عند ملك الملوك، ربّ الأرض.

قال المستشار: لقد قرّرنا، عفواً لقد قرّر سيد الشرق والغرب، أن نضع النهاية في أسرع وقت.

قال المرشد: حقاً العدالة باقية في أرضنا.

قال «نبوخذ نصر»: وستبقى يا مرشد، ستبقى ما دمنا نؤمن بأن السياسة هي فن المستحيل.

قال المساعد: ولكن الأكثرية تذبح الأقلية. ما الفن؟ ما المستحيل؟ ما الممكن؟

قال المستشار: المهيب هو الفن والمستحيل والممكن. نحن الأكثرية وهم الأقلية. هكذا قال المهيب.

قال «نبوخذ نصر»: سأعلّم الكفّار كيف تُصنع الانقلابات العسكرية.

قال المساعد: وكيف تُغيّر الرؤوس.

قال المرشد: المهم أن يؤمنوا.

قال «نبوخذ نصر»: أنا مكلّف بفرض الايمان على الكفّار.

قال الناطق: وبملاحقة الكفار حتى يؤمنوا ويتوبوا إلى الله.

- ٣

سمع «نبوخذ نصر» الباب يقرع، فأمر المستشار العسكري أن يفتح ليرى ما الأمر. على الباب ضابط كبير يحمل برقية من الجبهة تقول: «ادركنا يا مهيب. ادركنا يا سيف الله. يكاد الكفّار أن يستنزلونا. هل نحارب؟ هل نسلّم؟ هل ننسحب؟».

قرأ «نبوخذ نصر» البرقية، ثم ناولها للمساعد قائلاً:

ـ أجب يا مساعد على هذه البرقية.

قال المساعد: ماذا أقول يا سيدي المهيب؟

قال «نبوخذ نصر» (غاضباً): الا تعرف ماذا تقول يا مساعد؟

قال المساعد: وهل يعرف ما في صدر المهيب سوى الله؟

قال المستشار: الله والمهيب مصدرا المعرفة.

قال المرشد: الله غاية والمهيب وسيلة.

قال «نبوخذ نصر»: الا تصير الوسيلة غاية؟

قال المرشد: بلى. يحصل...

قال «نبوخذ نصر» (مقاطعاً وهازاً رأسه): إذا صار الملك الهاً.

قال المرشد: والاله ملكاً.

قال «نبوخذ نصر»: أبداً. أبداً. إن الاله في كل الأحوال اله.

قال المرشد: والملك؟

قال «نبوخذ نصر»: التطور يقع في دائرة الملوكية، ولا يقع في دائرة الألوهية. ويمكن للملك أن يصبح صعلوكاً.

قال المساعد: كل الملوك يصيرون صعاليك.

قال الناطق (مقاطعاً): إلا مليكنا. إن هذا صار إلهاً.

قال المساعد: بكل تأكيد. كنت سأقول اكثر من هذا.

قال «نبوخذ نصر»: الملك يكون أو لا يكون.

قال المساعد: البرقية يا سيدي المهيب. البرقية.

قال «نبوخذ نصر»: لماذا التسرّع؟

قال المستشار: لماذا التسرّع؟

قال المرشد: الوقت ليس كالسيف دائماً. إذا لم تدرك

الصلاة في وقتها فاقضِ، فان الله غفور رحيم.

قال الناطق: والمهيب أيضاً غفور رحيم.

قال «نبوخذ نصر»: نحن نغفر لمن يغفر الله له. ونعاقب من يعاقبه الله. نحن والله على خط واحد حتى...

قال الناطق (مقاطعاً): يقضي المهيب أمراً كان مفعولاً.

- ٤ -

ما لبث الضابط واقفاً على الباب، ينتظر رداً على البرقية. ينظر إلى المهيب بطرف خفي. يتمنى لو يسمح له بالدخول. لقد سئم هذا الضابط قراءة البرقيات والرد عليها. يريد أن يهرب من هذا الواقع الذي يعذبه: المدينة تقصف. الجنوب بات مثل كوكب سيّار. ولطالما حدّثته نفسه بما لا يجرؤ على الجهر به، الجنوب مشروع ثورة. الوعي النجفي يهدّد الدولة. البصرة لن تصبر طويلاً على الظلم.

قال «نبوخذ نصر» (للمستشار): قل للضابط أن يدخل.

قال المساعد (ثانية): البرقية يا سيدي المهيب، البرقية.

قال المرشد: ما بالك تلحّ هكذا؟ المساعد لا يكون لجوجاً ولا عنيداً.

قال المساعد (مرتعداً): استغفر الله. استغفر الله. متى كنتُ إلّا ثقيل اللسان؟

قال المرشد: دعْك من البرقية. المهيب أعلم منا جميعاً.

قال المساعد: المهيب علْمه من علم الله الواسع. علْمه يماثل علْم الله، بل يكمّله.

قال المستشار (للضابط): سيدي المهيب يأمرك بالدخول.

قال الضابط (مرتبكاً): المهيب أمَر؟! المهيب أمر؟!

قال المستشار: أجل. المهيب أمَر.

أدّى الضابط التحية، ثم دخل وقبّل صدر المهيب. عيناه تبحثان عن الكرسي الذي قد يجلس عليه. لم يسمح له المهيب بالجلوس، فظل واقفاً يتفصّد عرقاً. لا أحد يتكلم. هل يخرق الضابط هذا الصمت؟ من أين يبدأ؟ وإذا ما بدأ كيف سينتهي؟

يعرف الضابط أن المهيب يحب التاريخ والرواية، ولكن عن أي حدث يجب أن يخبره، وأي رواية يمكنه أن يرويها له. وإذا ما خانت الذاكرة فماذا سيقول؟ الذاكرة مثلها مثل الرغبة الجنسية، ترفض التحدي خصوصاً في مثل هذه اللحظات. الضابط جنوبي. من العمارة. مُلِمّ بتاريخ النجف وكل الجنوب. ومهما يكن، فلا بد من أن يُظهر معرفته. سحب من جيبه منديله الأزرق ومسح العرق عن جبينه ثم عن يديه، واتخذ أقصى الاستعداد للكلام.

«نبوخذ نصر» يلاحظ المرشد. المرشد يلاحظ الضابط. المساعد يدقق في البرقية. المستشار أخذته الغفوة. الناطق

يلاحظ «نبوخذ نصر».

قال المرشد (للضابط): يبدو لي، يا عميد كاظم، أن عندك أفكاراً تريد أن تفصح عنها.

قال «نبوخذ نصر»: صحيح يا عميد كاظم؟ ماذا وراءك؟

قال العميد كاظم (مرتجفاً): الحديث، في حضرة المهيب، مهمة صعبة ولكن...

قال «نبوخذ نصر»: ولكن ماذا؟

قال العميد كاظم: ولكن تحضير الأذهان والأفهام واجب في كل حال.

قال «نبوخذ نصر» (ضاحكاً): أنا لستُ مستعجلاً. تستطيع أن تتكلم ساعة تريد. اجلسْ يا عميد كاظم. اجلسْ. إني أرى ان المسافة بيننا وبين الجنة أقرب من أي يوم مضى.

قال المرشد: نعم يا سيادة المهيب. لعلّ الله شاء هذا.

قال «نبوخذ نصر»: المهم أن تسعى...

قال المرشد: أنا ساعٍ.

قال المستشار: العَجلة لا تؤدي، دائماً، إلى الهدف المنشود.

قال المساعد: ولكن الأمر قد صدر.

قال المستشار: إذا كان الأمر قد صدر فعلاً فلا حول ولا...

قال «نبوخذ نصر» (بنبرة حادة): لقد صدر الأمر. ودُعيت المعركة المنتَظَرة «ام المعارك».

قال المستشار: لقد صدر الأمر. عاشت «ام المعارك».

قال العميد كاظم: سنخوضها حرباً ضد هوى النفس وحب الدنيا.

قال «نبوخذ نصر»: سنخوضها إن شاء الله. سنخوضها. .

قال المساعد: حتى تصبح بغداد اكبر من أوروبا وأميركا.

٥ -

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

طلب «نبوخذ نصر» من المرشد أن يقرأ القرآن، فاختار المرشد سورة «الدخان»، فبدا «نبوخذ نصر» متزعجاً، وكأني به يقول: دخانٌ في القرآن ودخان في الخليج! ولما تنبه المرشد مال إلى سورة «الحج» وعيناه على المهيب الذي ازداد انزعاجه، حتى انه سُمِع يقول بصوت منخفض جداً: «لمن الحجُّ والكفّار يقبضون على الحجاز ونجد؟ لا حجّ قبل أن نحرّر أرضنا المقدّسة من أعداء الله وأعداء الاسلام». ثم مال المرشد إلى سورة «الاحزاب» فنهره المهيب قائلاً: «الأحزاب»؟ لعن الله الأحزاب لعنة لا تحول ولا تزول. أنا لم

استطع الاصغاء إلى سورتي «الدخان» و«الحج»، فما بالك بسورة «الأحزاب»؟ أليس في القرآن الكريم سوى هذه السوَر؟

ولما لم يجب المرشد، وقف المهيب، بكل قامته، وأنشأ يقول:

«من المهيب ملك بغداد وكل الدنيا إلى جلجميش ملك أوروك.

من البطل العنيد المصمّم على القتال حتى النصر أو الشهادة إلى البطل الذي تخلى عن شجاعته وجرأته وسلّم بالأمر الواقع حين تبيّن عجزه أمام عدوّه: أجا ملك كيش.

اسمعْ يا جلجميش،

لقد تكاثر عليّ الاعداء بغية اخضاعي وكسر شوكتي.

ما أتعس حظ هؤلاء وحظ الذين سيأتون من بعدهم!

لقد جاؤوا إلى هنا ليجرّبوا اسلحتهم الشيطانية وليبيعوا أسلحتهم الشيطانية.

فرضوا علينا الحرب

«القيصر» الصغير يريدها عملية خاطفة، وأنا أريدها حرب المئة عام.

«القيصر» وحلفاؤه الأشرار يريدونها قرْصَنة، وأنا أريدها «ام المعارك».

سأملأ بلادهم مقابر وملاجىء، وبلادي حدائق وبروجاً.

من ملك الملوك، نسمة السماء ونسمة الأرض، إلى جلجميش وصديقه إنكيدو، وعبرهما إلى «القيصر» المفتري وجميع الكفار والخونة والفاسقين والفاسدين والعملاء.
فليَسْمعوا جيداً:
اليوم يركع على قدميّ شعراء الأساطير والملاحم
اليوم يحرق المؤرخون أسفارهم ووثائقهم
اليوم تستعيد الانسانية مكانتها وكرامتها
اليوم يمتشق جميع المظلومين وجميع المقهورين سلاح الحرب
اليوم يُرفع النير عن الشرق، كل الشرق.
اليوم يعود الكفار إلى بؤسهم وشقائهم
اليوم يُكشف الستار عن «ام المعارك» لتغيّر وجه التاريخ، وتصحّح ما أفسدته الأزمنة والأحداث.

اليوم يصير «نبوخذ نصر» المهيب «شمشون» الذي لا يهادن ولا يساوم.
اليوم تلبسُ «دليلة» الأسود
اليوم تحطّم «دليلة» ادوات زينتها
اليوم تكتب اليّ «دليلة» رسالة الاعتذار
اليوم تعترف «دليلة» بأنها لا تستطيع معي صبرا
اليوم تخلع «دليلة» «حزام العفة» وحمالة النهود وتشدّ

الرحيل إلى بغداد.
لأن الجرح عميق جداً لن يتحوّل الدم ماء
ولن تقدّم بغداد المنّ والسلوى
لكنني أخشى أن تضل «دليلة» الطريق.. وتنساني.
اليوم يُكشف الستار عن «ام المعارك».
فمن رغب عن سنّتي ليس مني، كما يقول الرسول العربي صلى الله عليه وسلم».
قال هذا «شمشون» ـ «نبوخذ نصر» ـ وجلس يتأمل في العميد كاظم مستقرئاً افكاره ومستنبطاً وقع خطابه عليه.

ـ ٦ ـ

ماذا في خاطر ابن العمارة، العميد كاظم؟
المرشد كمن يجلس على كرسي مكهرب
ينظر في العميد وعيناه تقدحان شرراً
لقد طال صمتُ هذا الجنوبي!
«شمشون» أطلق بيانه الحربي واستراح
المستشار وقّع قبل أن يُطلب منه
المساعد يعالج اذنيه من التهاب مزمن
هل يتكلم العميد كاظم؟
وإذْ طال الصمتُ سأل «شمشون» المرشد:
ـ هل سمع العالم خطابي يا مرشد الامة؟

قال المرشد: على الفور

قال «شمشون»: «القيصر» الصغير ظمآن إلى الدم

قال المرشد: وسيموت في ظمأه

قال «شمشون»: وأنا ظمآن إلى النوم

قال المرشد: العراق كله، يا رعاك الله، ظمآن إلى النوم

قال «شمشون»: ولكن العراق يستطيع أن ينام كيفما كان، أما أنا فلا.

قال المرشد: العظماء قلّما ينامون

قال «شمشون»: يبدو أن ملك النوم قد هجَرَنا

قال المرشد: وأخذ معه التمائم

قال «شمشون»: لا يبدو لي أنه حسن النية

قال المرشد: ملك النوم متآمر علينا

قال «شمشون»: لعلّ بينه وبين «القيصر» صداقة

قال المرشد: «القيصر» آتٍ إلى هنا لينشر في أرضنا المرض والجنون.

قال «شمشون»: لذلك أخذ ملك النوم التمائم

قال المرشد: فعلاً. فعلاً. ما أخبث هذا الملك!

قال «شمشون»: وما أقلّ حياء «القيصر»!

قال المرشد: ولدارُ الآخرة خيرٌ...

قال «شمشون»: لا يُقرأ القرآن في وسط الفوضى

قال المرشد: لا أرى فوضى بل استقراراً ونعيماً

قال «شمشون»: كيف عرفت؟

قال المرشد: الكفّار ينسبون الأفعال إلى الدهر، والمؤمنون ينسبون الأفعال إلى الله و«شمشون».

قال «شمشون»: و«القيصر»؟

قال المرشد: لا يصون العرض ولا يُدرّ على مرعاه اللبن

قال «شمشون»: اننا، إذن، لمنتصرون

قال المرشد: إن شاء الله.

قال «شمشون»: نحن الفحول وهم الخصيان

قال المرشد: ماؤهم دائم البرد مشتى ومصيفاً

قال «شمشون»: سنطعمهم الزقّوم

قال المرشد: أخبث الناس الخصيان

قال «شمشون»: ستحصدهم «أم المعارك» حصْداً. سيأتيهم الروعُ من أيْمانهم وشمائلهم. ولكن ليس قبل أن يغتصبهم النشامى الذين «لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا» على قول شاعرنا أبي تمّام.

قال المرشد: ولنقلْ، يا رعاك الله، ان النشامى هؤلاء يلقون الموت مبتسمين.

قال «شمشون» (متعجباً): مبتسمين!

قال المرشد: أجل، وكأن لكلٍ منهم في قتله مأرباً.

قال «شمشون»: من صاحب هذا القول؟

قال المرشد: المتنبي، يا رعاك الله، المتنبي.

قال «شمشون»: دائماً المتنبي! دائماً المتنبي!

قال المرشد (مسترضياً): ستحصدهم «أم المعارك» حصداً.

قال «شمشون» (نافخاً): وسيأتيهم الروْعُ من أيْمانهم وشمائلهم. سنملأ الغرب مقابر وملاجىء. سيبحث الكفار عن النعوش عبثاً. سيعلّبون قتلاهم مثلما يُعلّب السردين. سيذكر التاريخ غداً أن «أم المعارك» قد جعلت النعوش أغلى من القتلى، ولربما أثرى تجار النعوش وكثر مالهم وصاروا هم الأشراف فحسب.

- ٧

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

رحم الله أمّه إذ كانت تقول له: إياك يا كاظم أن تضع بيضك كله في سلة واحدة.

«سلة» شمشون مثل دسْت الحجاج بن يوسف
وعظام المخالفين مثل عظام الدجاج أو الخراف أو الأبقار.
سمّنْ عجْلَك قبل أن تذبحه
كبّرْ جملَك قبل أنْ تذبحه
«دليلة» تسمّن «شمشون»

«دليلة» تنفخ في «شمشون»
«دليلة» تعظّم «شمشون»
مرة أخرى الباب يقرع.
لا أحد يريد أن يفتح الباب.
الجميع تظاهروا بالتفكير والتأمل
العميد كاظم عاد يتفصّد عرقاً

قال لنفسه: لا بدّ أن برقية أخرى وردت من الجبهة

قام ليفتح الباب فسبقه المساعد

سمع «شمشون» صرير الباب فسأل: إلى أين يا مساعد؟

قال المساعد: أنا هنا، يا شمس الشموس. سمعتُ الباب يقرع

قال «شمشون»: لماذا فتحت؟

قال المساعد: لأن العميد كاظم كان سيفتحه

قال «شمشون»: أحسنت. أحسنت. باب الملك المتأله لا يفتحه إلا المساعد. المساعد فقط. هل أعلن «القيصر» الصغير بدء الحرب البرية؟

قال المساعد: لا أعرف. لا أعرف يا مهيب

قال «شمشون»: ألم تفتح الباب لتعرف؟

قال المساعد: معي ضابط من مكتب العميد كاظم يحمل برقية

قال «شمشون»: ممن؟

قال المساعد: مثل سابقتها. الله أعلم.

قال «شمشون»: اقرأ هذه البرقية

قال المساعد: لا أحب، يا رعاك الله، قراءة البرقيات. حبذا لو يقرأها المستشار.

قال «شمشون» (للمستشار): اقرأها أنت. اقرأها يا مستشار.

قال المستشار (للمساعد): أعسكرية هذه البرقية أم سياسية؟

قال المساعد: عسكرية ـ سياسية ـ انسانية.

قال المستشار: ليقرأها إذن العميد كاظم

قال «شمشون» (للعميد): اقرأها يا عميد كاظم

قال العميد كاظم (وعيناه على المرشد): إذا حضر الماء..

قال «شمشون» (مقاطعاً): من الماء يا عميد كاظم؟

قال المرشد (مستبقاً العميد): أنتم، يا رعاك الله، الماء، ماء السماء، ماء الحياة. أنتم الماء ونحن التراب.

عندئذ تناول «شمشون» البرقية من المساعد، فنظر فيها، فعبس وهمهم، ثم دسها في جيبه.

ـ ٨ ـ

قال المرشد: خيرٌ إن شاء الله

قال «شمشون»: كل الخير. إنْ ينصرْكم الله فلا غالب لكم

قال المرشد: هل أعلن «الشيطان الأكبر» سحب قواته؟

قال «شمشون»: يُفهم من البرقية أن الكفار في وضع لا يُحسدون عليه

قال المستشار: متى «أم المعارك» يا ملك الملوك؟

قال «شمشون»: والله ننتظرها بفارغ من الصبر

قال المرشد: ستحصدهم حصداً..

قال «شمشون»: سأملأ الغرب مقابر وملاجىء، وبلادي حدائق ومروجاً.

قال العميد كاظم: متى؟

قال «شمشون»: عندما تبدأ «أم المعارك»

قال المرشد: وإذا ما أعلن «الشيطان الأكبر» سحب قواته؟

قال «شمشون»: «أم المعارك» واقعة، بقي الكفار أو ذهبوا.

قال المرشد: إذا الكفار خرجوا بطل السبب

قال «شمشون»: بل يبقى العملاء والخونة

قال المرشد: هؤلاء مثل العصافير. نستطيع خنقهم في غضون ساعة أو أقل.

قال «شمشون»: إن هذا صحيح، ولكن «أم المعارك» حق مقدّس.

قال المرشد: وإذا هم طلبوا العفو؟

قال «شمشون»: إن «أم المعارك» ترفض الخداع وما يشبهه

قال المستشار: «أم المعارك» لا تتراجع.

قال «شمشون»: إن «أم المعارك» أم التاريخ والجغرافيا. سأملأ الغرب مقابر وملاجىء. سأجعل النعوش أغلى من القتلى. (ثم سأل العميد كاظم): ما اسم الضابط الذي على الباب يا عميد كاظم؟

قال العميد: إنه الرائد عبد الجبار

قال «شمشون»: من أي عراق هو؟

قال العميد: من البصرة

قال «شمشون» (هازاً رأسه): دعْه يدخل يا مساعد الملك المتأله.

فدخل الرائد عبد الجبار وألقى التحية، ثم راح يخاطب «شمشون» ورأسه إلى الأرض:

«أيها الأمير التقي
يا مذلّل الصّعاب
ويا فاتح البلاد
أنت الملك الحكيم
بل الملك الكامل
أنت حورابي جميع العصور التي مرّت
وحورابي اليوم
وحورابي المستقبل

بل حورابي المنظور وغير المنظور
أنت المشرّع...
والشريعة
أنت الحق...
وسيفه
أيها المحارب الذي لا مثيل له
لقد خرج علينا «الشيطان الأكبر» بكل ما لديه من أسلحة وعتاد.
وها هو يزرع جنوبنا وغربنا حديداً وناراً وموتاً
فإما أن نرده إلى بلاده
وإما خسرنا...»

فغضب «شمشون» غضباً شديداً وقال: ضعْ نقطة على السطر، أيها الرائد، واترك المنبر.

قال الرائد (وقد اصفرّ لونه): عفواً يا سيدي المشرّع والشريعة.

قال «شمشون»: سيكون حساب هذا الشيطان الذي أرعبك عسيراً، عسيراً جداً. كذلك حسابك أنت إنْ لم تتشدّد. حورابي، يا أيها الرائد الجبان، لا يحب الضعفاء. حورابي العصر ملك بلا حدود. حكيم بلا حدود. مشرّع بلا حدود. محارب بلا حدود. تقيٌّ بلا حدود. عبقري بلا

حدود. نبي بلا حدود.

قال الرائد (والدموع تنهال من عينيه): وموت بلا حدود، وفناء بلا حدود، ونكبة بلا حدود، وعشق بلا حدود، وأدب بلا حدود، وتهذيب بلا حدود، وريح بلا حدود.

قال «شمشون»: يبدو أنك تشدّدت. اجلسْ أيها الرائد. اجلسْ إلى جانب العميد كاظم.

فجلس الرائد عبد الجبار وهو يتطلع يميناً وشمالاً، وقد أخذه الزهو والعجب.

- ٩ -

ماذا في خاطر العميد كاظم؟
الحرب باتت قريبة، وربما لا غنى عنها
إذا أردت أن تذبح العجْل سمّنْه
تذكّرَ قولاً للقاضي أبي الحسن بن هندي الحمصي:

«عاداني الدهرُ واشتدت مذاهبه
فكان أهونه عندي الذي صعبا
ما فوق روحيَ شيء، وهي ذاهبة
فكيف آسى على شيء إذا ذهبا»[1]

(١) ذكره الدكتور أسعد ذبيان في «تمثال الأمثال» لأبي المحاسن الشيبي - دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٧ م. الجزء الثاني، ص ٥٧٦.

العميد كاظم يغمض عينيه ويجول بفكره:
الجنوب في خطر
الدم هناك يلقى الدم
العمارة تُذبح قبل الأكل وبعده
وقبل النوم وبعده
أهلي هناك، وما أبعدني عنهم

لو يعرف هذا القائد الغاشم أن رياح الجنوب إنْ هبّت فكلُّ الرياح ستهب معها.

التفت المرشد نحو العميد فقال: رُوي أن عوف بن الأحوص أتى الأحوص وعنده بنو جعفر، فقال: يا معشر بني جعفر، أطيعوني اليوم واعصوني أبداً، وإنْ كنتُ فيكم والله معْصِياً. إنهم والله لو قد لقوا بني ذبيان لقد ولّوكم أطراف الأسنة إذا نكهوا في أفواههم بكلام! فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم «مثل البرغوث دماغه دمه» فأبوا عليه[2].

قال المساعد: رحم الله زمان عوف وبني جعفر وذبيان.
قال المستشار: الرحمة تجوز على الحي كما على الميت
قال المرشد: فلنقل، إذن، رحم الله أهل العراق قاطبة
قال المستشار: يا خيل «نبوخذ نصر» اركبي

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٥٨.

قال المرشد: يقال «يا خيل الله اركبي»

قال المساعد: وهل لله خيل؟

قال المرشد: الله عنده خيل ورجال

قال المساعد: و«نبوخذ نصر» أيضاً عنده خيل ورجال

قال الرائد: و«شمشون» أليس عنده خيل ورجال وغلمان وماجدات؟

قال المساعد: «شمشون» وحيد.. لا ناقة له ولا جمل.

قال الرائد: الناقة ليست من الخيل، والجمل ليس من الرجال أو الغلمان

قال المساعد: من ليس له ناقة ولا جمل ليس له ظهر

قال الرائد: ربما لأن «شمشون» هو الخيل والرجال والغلمان والماجدات.

قال المساعد: والناقة والجمل أيضاً

قال «شمشون»: الواضح أن الرائد عبد الجبار صاحب علم

قال الرائد: وبلاغة أيضاً

قال المساعد: ما أعلمه أن الرائد عبد الجبار هو ابن بيت علم وبلاغة

قال الرائد: وفقه وتقوى أيضاً وأيضاً.

قال «شمشون»: البصرة كلها بيت علم وبلاغة

قال المرشد: والكوفة كذلك.

قال المساعد: بين البصرة والكوفة حربٌ أين منها حرب الغرب على الشرق.

قال «شمشون»: ينبغي لك أيها المساعد أن تدرك أن الحرب الآتية إنما هي حرب الشرق على الغرب. لقد عاد والله صلاح الدين. هكذا قالت «أم المعارك» قدّس الله سرّها.

قال المساعد: لقد أدركت أيها المهيب.

قال الرائد: ماذا أدركت يا مساعد الله؟

قال المساعد: من لا يفهم الآيات «الشمشونية» يكون مثل النعامة. هكذا قالت «أم المعارك» حفظ الله فرجها.

قال المرشد: لقد أحسن المساعد التمثيل

قال المستشار: لماذا مثل النعامة؟

قال المرشد: يظهر أن المستشار لا يعرف النعام

قال المستشار: أنعم الله علينا وعليك

قال المساعد: لن ينعم الله عليكما حتى ينعم «شمشون»

قال المستشار: لا أراك أتيتَ بجديد

قال المساعد: الجديد أن تسبّح بحمْد «شمشون»

وعاد الباب ليقرع مرة أخرى، فقام الرائد ليفتح، إلا أن المساعد سبقه مثلما سبق العميد كاظم من قبل.

- ١٠ -

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

الباب يقرع، معناه أن برقية جديدة من الجبهة قد وردت على المكتب.

الجيش هناك يستغيث. يتمنى لو ينسحب. الخليج زيت ونار. النعامة لا طير ولا جمل. وليس شيء من البهائم إلاّ وهو ان انكسرتْ إحدى رجليه، انتفع بالأخرى، إلاّ النعامة.

النعامة لا مخّ لها.

«شمشون» لا يحب البرقيات العسكرية

«شمشون» لا يقرأ.

يقال ان لا وقت لديه للقراءة

قال المستشار: من الطارق أيها المساعد؟

قال المساعد: مُلازم من مكتب العميد كاظم

قال المستشار: أيضاً من مكتب العميد كاظم. ماذا يريد الملازم؟

قال «شمشون»: هاتِ البرقية أيها المساعد. لا أريدك أن تقرأها.

أخذ «شمشون» البرقية من المساعد. قرأها. نظر في الساعة وقد تجاوزت الحادية عشرة ليلاً.

قال المرشد: ما أخبار الجبهة يا ملك الملوك؟

قال «شمشون»: متقدمة. متقدمة جداً، الحمد لله. إنْ ينصرْكم الله فلا غالب لكم. صدق الله العظيم.

قال المرشد: والكفّار أين صاروا؟

قال «شمشون»: إلى جهنم وبئس المصير

قال الناطق: هكذا قالت «أم المعارك»

قال المرشد: لقد أجرى الله على الكفار العذاب

قال «شمشون»: وعلى الحلفاء والعملاء والخونة ومن سار في ركْبهم.

قال الناطق: ما زال الملازم على الباب..

قال «شمشون» (للملازم): ما اسمك أيها الضابط؟

قال الملازم: جعفر إذا صدقت الوالدة أيها الثائر العادل.

قال «شمشون»: من أي عراق أنت؟

قال الملازم جعفر: من سامراء.. لا أراك الله يا سيدي مكروهاً

قال «شمشون»: ادخلْ يا جعفر. ادخلْ بسلام

ودخل الملازم جعفر، فألقى التحية، فأخذ مكانه إلى جانب الرائد عبد الجبار.

قال المرشد: كان بعضُ الشعراء يمدح سيف الدولة بذكر أسلافه من أهل الجاهلية، فعابه أبو الطيب المتنبي على ذلك،

وقال ما معناه: إن فيما يشاهدون من أفعاله وفضائله ما يغني عن ذكر قدمائه من جدوده وآبائه.

قال «شمشون»: لقد أخطأ المتنبي

قال المساعد: لَقد أخطأ المتنبي

قال الناطق: لقد أخطأ المتنبي

قال المستشار: كنتُ أتمنى لو يشهد المتنبي «أم المعارك»

قال المرشد: لماذا؟

قال المستشار: ليقارن، شعراً، بينها وبين المعارك التي سبقتها.

قال «شمشون»: لن يستطيع لا المتنبي ولا سواه من الشعراء العرب. ذلك أن «أم المعارك» محتاجة إلى شعراء ملحميين كهوميروس مثلاً.

قال المرشد: ولكن المتنبي . . .

قال «شمشون» (مقاطعاً): أي متنبي! لقد مات هذا الشاعر المتسوّل وهو يبحث عن أبيه وحقيقة نسبه، فيما أبوه معروف ونسبه كذلك.

قال العميد كاظم (والدم يغلي في عروقه): ولكنّهُ وجد أباه.

قال «شمشون»: ان هذا ادعاء فحسب.

قال العميد: من كان والده الامام الثاني عشر لا يدّعي ولن يدّعي.

قال «شمشون» (باشمئزاز): نحن في صدد «ام المعارك» حفظها الله وصانها. نريد شاعراً اسطورياً يرافق النشامي والماجدات في المحافظة التاسعة عشرة (الكويت)، ليشهد مراحل الانتصار العظيم، ولا نريد شاعراً قُتل مثلما يُقتل اللصوص.

قال المستشار (مكبّراً): الله اكبر. الله اكبر. الله اكبر. الحمد لله. الحمد لله حمداً كثيراً. إني أرى السماء تفتح أبوابها لهذا القول المأثور.

قال «شمشون»: المأثور فقط!

قال المستشار: عفواً أيها المهيب، أردت أن أقول: الملوكي ـ السماوي ـ الالهي.

قال «شمشون»: ستغيّر «ام المعارك» العالم من أقصاه إلى أقصاه. ستخرج أميركا، كبيرها وصغيرها، رجالها ونساءها، إلى الشوارع راجمة ما يُسمّى البيت الأبيض. لن يمضي على «ام المعارك» يوم أو نصف يوم حتى يصبح رأس «الشيطان الأكبر» مثل كرة بين اقدام صبيان أميركا.

قال الناطق: الله اكبر. الله اكبر. لقد رأيتُ مثل هذا في الجفر.

قال المساعد (للناطق): مهْلاً. مهْلاً. تذكّرْ، أيها الناطق، أنك هنا في حضرة سيد العالم القديم والجديد. تذكّرْ جيداً

ان اسم الله عزّ وجلّ ما ارتفع في مكان الا وارتفع معه اسم صاحب الجلالة: «نبوخذ نصر» الذي صار من تلقاء نفسه «شمشون» العظيم. فلماذا الحديث عن الجفْر الذي لا يجزم عاقلٌ بصحته!

وإذْ اكمل المساعد كلمته، قرع الباب مرة رابعة، فهبّ من مكانه قبل أن يتحرك أي من العسكريين.

- ١١ -

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

الجيش في الكويت بات محاصَراً

سيموت العسكر خنقاً مثل الدجاج في الخم إذا ما اقتحمه ابن آوى.

«شمشون» لا يسمع

«شمشون» واضعٌ يديه ورجليه في ثلاّجة الملجأ الأميركية

«أم المعارك» ما «أم المعارك»!

خرافة وأي خرافة!

قال المستشار (للمساعد): من الطارق هذه المرة وفي هذه الساعة؟

قال المساعد: رقيبٌ من مكتب العميد كاظم

قال المستشار (متحيراً): أيضاً وأيضاً مكتب العميد كاظم! الم يقفل مكتب العميد بعد؟!

قال «شمشون» لا بد أن هناك برقية جديدة. هاتها أيها المساعد.

إنتزع المساعد البرقية من الرقيب وقدّمها للمهيب «شمشون»، الذي قرأها سريعاً ثم طواها ووضعها في جيبه، فيما الحاضرون ينظرون إليه كما لو أمام ساحر أو عرّاف قديم.

قال المرشد: إذا كانت الموصل من العراق بمثابة الرأس من الجسد فماذا تكون الكويت؟

قال «شمشون» (مستهجناً): الا تعرف أيها المرشد؟!

قال المرشد: بلى. أعرف يا طويل العمر ولكن...

قال «شمشون»: ولكن ماذا يا مولانا؟

قال المرشد: سُحبُ الفساد تلبّدت بسمائها

قال «شمشون»: بل سُحبُ النفط. النفط لعنة العرب.

قال المرشد: متى تتبدّد هذه السحب.

قال «شمشون»: ان «أم المعارك» هي التي تبدّد هذه السحب وغيرها.

قال المرشد: ما أخبار الجبهة؟

قال «شمشون»: النشامى والماجدات يسطّرون أروع آيات النصر.

قال المرشد: معناه، أنهم يكتبون قرآناً جديداً عفواً سفْراً جديداً.

قال «شمشون»: قلْها. قلْها ولا تخف. نعم انهم يسطرون قرآناً جديداً.

قال المساعد: سنحصد الكفّار حصْداً.

قال المستشار: سنملأ الغرب مصحات وبيوتاً للمعاقين.

قال الناطق: سنملأ الغرب شحّاذين ومستضعَفين.

قال الرقيب: وأرامل ويتامى.

قال «شمشون» (للرقيب): ما اسمك يا أيها الرقيب؟

قال الرقيب: خادمك الأمين: سعد.

قال «شمشون»: من أي عراق أنت يا سعد؟

قال الرقيب سعد: من الموصل يا رعاك الله.

قال «شمشون» (للمساعد): دعه يدخل يا مساعد الرحمن الرحيم.

إني أحب نينوى وأنقاضها.

قال الرقيب (بعدما أدى التحية): ونينوى تحبّكم يا أيها الاله مردوك المتغلّب علىٰ الفوضى منذ بدء العالم.

قال المرشد: ان الموصل من العراق بمثابة الرأس من الجسد.

قال «شمشون»: كان هذا في الماضي. أما اليوم فقد أخذت الكويت دور الموصل. كم أحب الكويت! كم أحب هذه الثروة الهائلة!

قال المرشد: لقد سرقتْ الكويتُ من الموصل مجدها وعزتها.

قال «شمشون»: بل سرقت الكويتُ قلوبَنا.

قال المرشد: وعقولنا أيضاً.

قال «شمشون»: فعلاً. فعلاً. لقد صارت هي أحاسيسي ومشاعري.

قال الناطق: هكذا قالت «أم المعارك» سقانا الله من لبنها.

قال المستشار: قاتلك الله أيها الناطق البليد. ليس لـ «أم المعارك» ثدْيان.

قال «شمشون» (ضاغطاً بكلتا يديه على صدره برفق وكبرياء): مايجب أن تعرفوه أيها الحاضرون هو ان «أم المعارك» ذاتُ رحم لا يُقاس ولا يأتيه الرُّحام(٣).

قال المستشار: وذاتُ ثديين؟

قال «شمشون»: بل هي ثدياء، أي عظيمة الثدي

قال المرشد: ولبنُها أشهى من العسل المصفّى

قال «شمشون»: الحقيقة أن ثدي «أم المعارك» خزان حليب لا يجف، من شرب منه صار بطلاً لا يطوى ساعده

---

(٣) الرحام: داء في الرحم.

وإنْ لوت الليالي كفّه على العصا.

وتوقف الجميع عن الكلام حين قاطعتهم طرْقاتٌ على الباب أشد من سابقاتها بكثير، ولم يسمعوا مثلها حتى خلال سنوات الحرب مع ايران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

- ١٢ -

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

الجبهة في خطر

الجيش يعاني نقصاً في الطعام والشراب والوقود والعتاد.

جنون. جنون.

انتحار. انتحار مروّع

الفرات ينضح بالدم

«شمشون» يكتب الهزيمة وهو يشرب القهوة بالعسل.

بغداد، ماذا بقي من بغداد؟

من بغداد إلى الجنوب، ومطاحن الموت تدور وتدور وتدور

متى تهدأ مطاحن الموت هذه؟

قال المرشد: لو نفتح باب تركيا.. أقصد الجبهة التركية

قال «شمشون»: سنفتح

قال المرشد: وباب سوريا

قال «شمشون»: سنفتح

قال المرشد: وبابَ فلسطين

قال «شمشون»: سنفتح باب اسرائيل

قال الناطق: إنا فتحنا لكم فتحاً مبيناً

قال المرشد: ان اليهود أفعى في معاقلنا، على قول المرحوم عبد الله التل[4].

قال «شمشون»: سنقطع لها الذنَب

قال المرشد: لا تموت الأفعى الا إذا قطع رأسها

قال «شمشون»: لا يجوز قتْل الأفاعي بضربة واحدة

قال المرشد: أنت أعلم.

قال «شمشون»: ان الأفاعي، لانت ملامسها أو خشنت، ضرورة طبيعية.

قال المستشار: لولا الأفاعي، خصوصاً اليهودية، لما كان النضال القومي العربي.

قال الناطق: ولا الإسلامي. يجب أن يكون في كل معقل من معاقلنا ولو أفعى واحدة.

قال المساعد: إذا قُطع رأس الأفعى، كثرت الفئران والجرذان والحشرات وما إليها.

قال الرقيب سعد: لذلك تعهدت «أم المعارك» لقضاء على كل من يحيا على حساب الأفعى.

قال «شمشون»: يظهر ان الرقيب سعد صاحب منطق

(٤) المصدر السابق.

قال الرقيب سعد (متهيباً): أنا، يا أيها الاله، من قوم يعبدون مردوك.

قال «شمشون»: تقصد «شمشون»؟

قال الرقيب سعد (بحياء): بكل تأكيد. لقد صار مردوك «نبوخذ نصر» وهذا صار «شمشون». انها سنة التطور أيها الاله الأكبر.

قال «شمشون»: كلامك، أيها الرقيب سعد، عميق، يستند إلى الفلسفة. لماذا أنتَ رقيب فقط؟ لماذا هذه الدرجة التي لا تتفق ومنطقك!!

قال الرقيب سعد (ملتفتاً نحو العميد كاظم): اسأل العميد كاظم.

قال «شمشون»: لقد أدركتُ وحق السماء. أنت مظلوم أيها النينوي. منذ الساعة أنت عميد. نعم أنت عميد، وعندما تضع «أم المعارك» تصبح لواء.

قال الرقيب سعد: لُبيت «أم المعارك»..

قال المستشار (مقاطعاً): أرى أن الرقيب ـ العميد سعد يستحق أن يقال فيه ما قاله شاعرنا الكبير محمد مهدي الجواهري في ياسين الهاشمي، أحد بناة الدولة العراقية في عهد نشأتها.

قال الناطق: ماذا قال الجواهري في الهاشمي؟

قال المستشار: قال:

«لـه فكـرة أنكى من السيّف وقعـةً
وتـدبـيرة مـن فـتـكـة المـوت أقْـتـلُ
ورابط جـأش كـالحـديـد، وفـوقـه
مـن الهمّ والـفـكـر المبرّح كـلكـل»[4]

قال المساعد: السلام على «أم المعارك» ورحمة الله وبركاته.

قال الرقيب ـ العميد سعد: هل حدثَ لها مكروه؟

قال المساعد: لقد أصيبت بالتيفوئيد يا طويل العمر

قال الرقيب ـ العميد: يعني مريضة؟

قال المساعد: أجل، مريضة. لم تمت بعد

قال الرقيب ـ العميد: الحمد لله. الحمد لله.

وإذا الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً، اهتز الباب وكاد أن ينخلع، فوقف الجميع خائفين مرعوبين، وسُمع «شمشون» يقول بصوت متهدّج: ما الذي حدث؟ الله اكبر. الله اكبر. نجّنا يا الله من الشيطان الأكبر وكيده. اللهم انتقم من أولئك الكفار والخونة. هل بدأت «أم المعارك»؟

---

(٤) ذكره مير بصري في «أعلام السياسة في العراق الحديث» منشورات رياض الريس ـ لندن، طبعة ١٩٨٧ ص ٩٨.

ولاحظ المساعد أن يداً قوية تقرع الباب، أين منها يد الرقيب الذي صار عميداً، ففتح المساعد الباب حين يداه ترتجفان ولونه يصفرّ ويصفرّ.

ـ ١٣ ـ

ماذا في خاطر العميد كاظم؟

«شمشون» لا يريد قطع رأس الأفعى اليهودية

الجيش في المحافظة التاسعة عشرة (الكويت) حُكِم عليه بالاعدام

الجنوب يراجع ثورة النجف على الاتراك والانكليز

«أم المعارك» نكأت جميع جراح العراق منذ كربلاء وإلى يومنا هذا.

العطش، العطش
أدركْنا يا صاحب الزمان
لا مياه دجلة صالحة للشرب
ولا مياه الفرات
التاريخ يعيد نفسه
والدم يلقى الدم

قال المستشار (للمساعد): أخبار النصر تهزّ الأبواب والحيطان.

قال المساعد: والقلوب أيضاً

قال المرشد: من المبشّر؟

قال المساعد: جندي من مكتب العميد كاظم

قال المستشار: عاش مكتب العميد كاظم، موزّع النبأ العظيم.

قال «شمشون»: انها البرقية الأخيرة. النبأ الأخير. لا يفضّن أحد هذه البرقية. سأعلّم الأميركيين كيف تُصْنَع الانقلابات العسكرية. سأعلمهم قطع الرؤوس وتعفير التيجان وتنظيم البلاغات.

تقدم المساعد، بخفر شديد، من «شمشون» وناوله البرقية.

لم يشأ «شمشون» النظر فيها، بل دسها في جيب معطفه، والتفت إلى العميد كاظم قائلاً:

ـ باسم «أم المعارك» استحلفك يا عميد كاظم أن تخرج عن صمتك. النشامى والماجدات في المحافظة التاسعة عشرة يلاحقون الكفار وينزلون بهم الضربات الموجعة. بدأت «أم المعارك». انتهت «أم المعارك».

وقبل أن يتهيأ العميد كاظم للكلام، قام الرقيب ـ العميد سعد الموصلي ـ النينوي يرقص ويردد: لقد وضعت «أم المعارك» بالسلامة. هنئوني. هنئوني. الآن أصبحت لواء. المجد للأله الأكبر. المجد لاله نينوى مردوك، الذي صار «نبوخذ نصر» ثم «شمشون». لم يصيّره أحد، بل صيّر

نفسه. نعم، صيّر نفسه. المجد لمردوك ولسيدة المعارك. المجد للنشامى والماجدات. المجد للواء سعد الموصلي - النينوي ولكم جميعاً.

قال المرشد: ان ينصرْكم الله فلا غالب لكم.

قال المساعد: اتقوا الله ما استطعتم.

قال الناطق: من قال برأسه كذا، قلنا بسيفنا كذا.

قال المستشار: حملوا إلينا الديموقراطية الشقراء، في طائراتهم ودباباتهم، فقابلناهم بشموشونية - نبوخذ نصرية - مردوكية بعثية، فارتدت الشقراء هرباً والدم يسيل من فمها ونهديها ويديها وساقيها وقدميها.

قال الجندي (متعجباً): لكم دينكم ولي دين

قال «شمشون» (للجندي): ما اسمك أيها الجندي ومن أي عراق أنت؟

قال الجندي (يائساً): أنا المجنّد عبد الاله من النجف الشريف

قال «شمشون»: بل عبد مردوك.

قال الجندي: لا أحبّ هذا الاسم

قال «شمشون»: اذن أنت عبد نبوخذ نصر

قال الجندي: لا أحب هذا الاسم أيضاً

قال «شمشون»: لا بد أنك عبد شمشون. الصحيح أنك

عبد شمشون.

قال الجندي: أنا عبد الاله فحسب، كان سيدنا ووليّنا الإمام علي كرّم الله وجهه يقول: «من جهل موضع قدمه زلّ».

قال «شمشون» (والغضب يتأجج في صدره وعينيه): اجلس إلى جانب الرقيب - العميد - اللواء سعد الموصلي النينوي. اجلس لننظر في مسْألتك.

وفيما كان الجندي عبد الاله النجفي يأخذ مكانه، وقف العميد كاظم كأنه الجبل وراح يخطب:

«قال الله تعالى: «قد خلت من قبْلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين»[٥].

أما بعد،

يقول المرحوم عبد الله التل، الذي ذكره حضرة المرشد، فيما يقول:

«اعترف شياطين اليهود الملقّبون بالحكماء، أن ذنَب الأفعى اليهودية ثابت في القدس (أورشليم) ورأسها يتحرك في بلدان العالم لينفث السموم القاتلة لكل من يقف في طريق أطماع اليهودية العالمية. ويواصل رأس الأفعى لدغاته السرّية والعلنية في ديار غير اليهود، إلى أن يتم لهم تدمير مقومات

(٥) آل عمران: ١٣٧.

الأمم والشعوب والسيطرة على العالم، عندها يعود الناس إلى (أورشليم) بعد أداء المهمة ليتربع ملك اليهود على عرش العالم، ويحكم الشعوب من هيكل سليمان الذي يخططون لاعادة بنائه»[6].

وبما أننا نريد قطع ذنب الأفعى، من الكويت، فابشري بطول عمر يا «دليلة».

وسأل العميد كاظم «شمشون»: هل أتابع أيها المهيب؟

قال شمشون (وقد اصطكت اسنانه وأضراسه): تابعْ. تابعْ يا عميد كاظم.

وتابع العميد كاظم: ان ذنب الأفعى اليهودية، اذن، في فلسطين المحتلة ورأسها في كل عاصمة ومدينة وقرية غربية وشرقية.

أما وقد أعلنا الحرب على العالم، فلا يسعني الا أن اذكّركم بأن الفراتيين أوشكوا أن يفقدوا الصبر على الذل والانقياد. ولعلكم تعرفون، أيها المهيب، أن من العوامل الرئيسية التي جعلت الفراتيين يستقلون عن الحكومة التركية في مقارعة الانكليز، والتفكير في أنفسهم وبلادهم، انما هو سلوك الاتراك انفسهم تجاه هؤلاء الفراتيين المجاهدين وسوء ادارتهم لهم[7]. فانظروا ما أشبه أيامنا هذه بتلك الأيام.

(٦) عبد الله التل: الأفعى اليهودية، ص ٧٤.

(٧) حسن الأسدي: ثورة النجف على الانكليز والشرارة الأولى لثورة =

التاريخ يعيد نفسه. أجل، التاريخ يعيد نفسه.

إذ ذاك، سحب «شمشون» مسدّسه من وسطه وأطلق النار على العميد كاظم، وقال: خذْها من «أم المعارك» أيها الخائن الجبان النذل.

ثم أطلق النار على كل من الرائد والملازم والجندي والمرشد والمستشار والمساعد. ولما أجهز عليهم جميعاً راح يملي على الناطق البيان التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«يقول سبحانه وتعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون»[8]. صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

= القرن العشرين. دار الحرية للطباعة - بغداد ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ص ٢١١.

(٨) البقرة: ٨ - ١٤.

«لقد بدأت، بامر الله عز وتعالى، «أم المعارك»، وانتهت بأمره سبحانه، إذ حقق العراقُ المؤمن النصر المبين، ودحر الكفار والشياطين على أعقابهم، ملقّناً إياهم درساً ستحفظه الأجيال الأميركية والأوروبية والعربية والأفريقية والصينية الآتية بدون ريب.

حفظ الله النشامى والماجدات أبطال «أم المعارك» المعظمة المقدّسة، والعزة لمن والانا واخلص لأوامرنا».

* * *

لقد جرى هذا كله في ملجأ «شمشون» بغداد المنيع الحصين، أما في الكويت، أما في الجنوب، أما في بغداد، فقد مُنيت القوات «الشمشونية» بخسائر يصعب تقييمها، واستعاد الكويتيون، بعد حوالي سبعة أشهر، وطنهم الذي أخذ منهم غدراً، حين لم تستطع ألوية الجيش «الشمشوني» لملمة أشلائها ومعداتها، فكانت نكبة لم يعرف العراقيون لها مثيلاً عبر تاريخهم الطويل.

القسم الرابع

نصوص ووثائق

إن محتويات هذا القسم مبثوثة، في شكل أو آخر، في ثنايا الصحف والمجلات والدوريات اللبنانية والعربية وغيرها، فرأينا أن لا حاجة لدينا إلى ذكرها، فاكتفينا بتسجيل تاريخ نشر كل نص ووثيقة وسواهما إلى اسم المرجع أو القائل، تاركين للقارىء الكريم حرية التفسير والاستنتاج والتعليق.

مصطفى

١ ـ الوقت الضائع

ـ أدى زلـزال عـنـيـف ضرب فـجـر الخـمـيس (٢١ ـ ٦ ـ ١٩٩٠) الهضبـة الايـرانيـة إلى مقتـل ٣٧ ألف شخص وإصابة أكثر من خمسين ألفاً آخرين بجروح وتشريد مئات الآلاف وتدمير منازل وخراب الأراضي والمحاصيل الزراعية.

ـ وأفادت وكالة الأنباء العراقية أن الرئيس العراقي صدام حسين وجّه برقية تعزية إلى نظيره الايراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني، مبدياً «أسفه العميق» للكارثة الطبيعية التي فُجعت بها ايران، وأكد أنه مستعد لتقديم «كل مساعدة» إلى ايران وفقاً للحاجات التي تقررها.

٢٢ ـ ٦ ـ ١٩٩٠

ـ «ان ايران والعراق أكثر إيماناً بالسلام من ذي قبل (. . .) وهما اليوم أقرب إليه منهما قبل شهر أو شهرين، ومن خلال مراقبتي للأمور أرى أن المناخ الدولي وذلك السائد بين بلدينا قد تحسّن».

هاشمي رفسنجاني، الرئيس الايراني

٤ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ «ان سوريا تناضل من أجل حل عادل وشامل للصراع العربي ـ الاسرائيلي على أساس قرارات الأمم المتحدة وعبر مؤتمر دولي للسلام كان انعقد في عام ١٩٧٣ في رعاية الأمم المتحدة وشاركت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي» لذلك فان «استئناف هذا المؤتمر أعماله يمكن أن يشكل فرصة مناسبة لتحقيق سلام عادل ومستقر».

حافظ الأسد، الرئيس السوري
٢ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ أكد الملك فهد بن عبد العزيز أن الكارثة التي وقعت في نفق المعيصم المؤدي إلى جبل منى في مكة كانت «حادثاً وليس عملاً مدبَّراً» وأنه كان ممكناً تجنبها لو اتّبع الحجاج «التعليمات الأمنية التي أعلنتها السلطات السعودية منذ وقت طويل». ووصف العاهل السعودي القتلى بأنهم «شهداء» لأنهم قضوا في يوم عيد الأضحى.

٤ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ «ان السلطات السعودية مدينة بتفسير للعالم الاسلامي (...) ان هذه المجزرة في صفوف الحجاج مخزية للعالم الاسلامي (...) على العالم الاسلامي بعد مأساة جبل منى المريرة أن يقوم بشيء ليتولى من الآن فصاعداً أمن الأماكن المقدسة. إن هذه المأساة تثبت عجْزَ السعوديين عن إدارة

الأماكن المقدّسة ولا يمكن القبول بها بسهولة».

هاشمي رفسنجاني
٥ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ «إن عائلة آل سعود أظهرت من جديد أنها ليست مؤهّلة لتأمين إدارة الأماكن المقدّسة وتنظيم الحج».

صحيفة «الجمهورية الاسلامية» الايرانية (المقربة من الأوساط المتشددة)
٥ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ «إن تأكيدات العاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز أن «ما من أحد يستطيع لوم السعودية» تثير شكوكاً. ففي عام ١٩٨٧ عندما ذُبح أكثر من ٤٠٠ حاج من الايرانيين على أيدي القوات السعودية أدلى بتصريحات مشابهة».

صحيفة «كيهان» الايرانية
٥ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

من الرئيس الايراني إلى الرئيس العراقي

ـ «إننا نشكر سعادتكم وقيادة العراق وشعبه لإعرابكم عن الأسف والألم في كارثة الزلزال المريرة التي ألمّت بشعبنا (...) إننا نشكر لكم أيضاً استعدادكم لارسال معونات إلى ضحايا الزلزال متمنين للشعب الاسلامي السعادة والرفاهية

والنجاح على الدوام».

هاشمي رفسنجاني
٧-٧-١٩٩٠

- توقعت مؤسّسة «ذي ايكونوميست انتليجنس يونيتي» البريطانية المستقلة، أن تُضطر الكويت إلى إعادة رسم سياستها الداخلية والخارجية والتقارب مع ايران لأنها «تواجه تهديداً خطيراً» من العراق. ومما جاء في هذا التقرير:

«إن القيادة العراقية عازمة على تحسين موقعها الجيوبوليتيكي بالوصول على نحو أفضل إلى ميناء الخليج وأن الكويت هي المنطقة الوحيدة التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك (...) لذلك فإن الاحتمال سيكون في الضرورة استمرار الأزمة على هذه الجبهة».

٩-٧-١٩٩٠

- مع وصول وزير الخارجية الايراني الدكتور علي أكبر ولايتي وهو أول مسؤول ايراني يزور الكويت منذ ١٩٨٢، أكدت الكويت وايران رغبتهما في تحسين علاقاتهما في سبيل تعزيز الاستقرار في منطقة الخليج.

١٠-٧-١٩٩٠

- كشف تقرير عن تفاقم هجرة الفلسطينيين المسيحيين من الأراضي المحتلة، أنه لم يبق في القدس سوى ٨ آلاف

مسيحي من أصل ١٤٤٠٠ عام ١٩٦٧. واستناداً إلى معدّلات النمو الطبيعي للنمو السكاني وإلى المستويات التقليدية للهجرة، كان يفترض أن يصل عدد المسيحيين في القدس إلى ١٨ ألفاً في ١٩٩٠.

....

- من جهة أخرى، قال ناتان شارانسكي المنشقّ السوفياتي السابق، ان ١٢ مليون سوفياتي قد يصبحون اسرائيليين بموجب قوانين الهجرة في اسرائيل. ويزيد هذا الرقم كثيراً عن التقديرات المعروفة لعدد اليهود في الاتحاد السوفياتي، لكن تعديل قانون العودة الاسرائيلي في ١٩٧٠ منح من لا يعْتنقون اليهودية من زوجات اليهود وأبنائهم وأحفادهم حق العودة.

١٠-٧-١٩٩٠

- قال رئيس دولة فلسطين ياسر عرفات منتقداً قرار واشنطن قطع «حوار الطرشان» الذي بدأته مع المنظمة عام ١٩٨٨: «ان الجميع سيدركون أن محاولة فصل المنظمة عن شعبنا هي في أحسن الأحوال هذيان أحمق (...) وأن لا سلام ولا استقرار ولا أمن في هذه المنطقة إلا من خلال الأمن الفلسطيني وإقرار الحقوق الفلسطينية».

١١-٧-١٩٩٠

- في باريس أكد نائب وزير الخارجية العراقي نزار حمدون في محاضرة ألقاها في الأكاديمية الديبلوماسية الدولية في باريس، أن «موقف العراق من الأزمة اللبنانية لم يتغيّر» وأن «بغداد لا تزال على موقفها بالنسبة إلى معارضتها وجود القوات السورية في لبنان والذي لا يخدم السلام فيه».

١١ - ٧ - ١٩٩٠

- أفاد مسؤولون مصريون أن الرئيس حافظ الأسد سيصل إلى القاهرة السبت (١٤ - ٧ - ١٩٩٠) في زيارة رسمية تستغرق ثلاثة أيام هي الأولى له منذ ١٧ سنة، رداً للزيارة التي قام بها الرئيس حسني مبارك لدمشق في ٢ أيار و٣ منه وأنهت قطيعة بين البلدين استمرت أكثر من ١٢ سنة نتيجة توقيع مصر معاهدة السلام مع اسرائيل.

١١ - ٧ - ١٩٩٠

- في نيقوسيا أبدت حركة المقاومة الاسلامية «حماس» استياءها البالغ لانتقاد منظمة التحرير موقفها وقالت انها فوجئت بهذا «الهجوم الاعلامي الغريب»، إشارة إلى تعليق نشرته - قبل أيام - مجلة «فلسطين الثورة» الناطقة باسم المنظمة واتهمت فيه «حماس» بخدمة مصالح اسرائيل والولايات المتحدة عبر طرح نفسها قوة بديلة تقود الانتفاضة الفلسطينية.

١٢ - ٧ - ١٩٩٠

- أوضح الرئيس العراقي في حديث نشرته صحيفة «الفيغارو» الفرنسية أن «ما يشكّل خطراً على العالم أجمع هو أن تحتل دولة وحيدة مرتبة الدولة العظمى. وإذا كانت الولايات المتحدة الدولة العظمى الوحيدة في الشرق الأوسط فإن ذلك سيحدّ من حرية الفرنسيين والبريطانيين واليابانيين وحتى الاتحاد السوفياتي في المستقبل، لأنها بسيطرتها على مصادر الطاقة في الشرق الأدنى ستؤثر على تطوّر هذه الدول... ولفت (الرئيس صدام) إلى أن الأقوال الأخيرة المنسوبة إليه والتي تتضمن تهديداً بـ«تدمير نصف اسرائيل» هي «أقوال مجتزأة لأنها أخفقت في إبراز المقدمة التي أوضح فيها أنه سيهاجم اسرائيل فقط إذا هي شنّت هجوماً على العراق».

١٢ - ٧ - ١٩٩٠

- رأى آية الله محمد يزدي، الذي يُعتبر أعلى سلطة قضائية في النظام الاسلامي الايراني، أن «على خبراء القانون الدولي ورؤساء السلطات القضائية في الدول الاسلامية، إلى أعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي، التعاون لإحالة النظام السعودي على محكمة دولية بتهمة اقتراف جريمة في حق العالم الاسلامي». وأبدى أسفه «لصمت العالم الحر والمنظمات التي تدعي الدفاع عن حقوق الانسان أمام مقتل نحو ألفي مسلم في مكان

مقدّس عند الاسلام».

١٣ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ لاحظ رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات الأميركية الجنرال كولن باول دخول أسلحة متطورة المنطقة (الشرق الأوسط) مثل الصواريخ المتوسطة المدى وأسلحة الدمار الشامل و«الجيوش تزداد حجماً بدل السعي إلى تقليصها كما بدأنا نشاهد في أجزاء أخرى من العالم». وقال ان هذا النحو مقلق، ولكن على رغم التهديدات العربية اعتبر أن احتمالات قيام حرب غير قائمة حالياً. ورأى أن من الواضح لدى البحث في الموقف «أن اسرائيل على درجة من القوة وعلاقاتها مع الآخرين قوية بدرجة لا تتيح أي فرصة تُذكر للانتصار عليها في حرب».

١٤ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ حذّرت اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط من عواقب هجرة المسيحيين من الشرق الأوسط في وقت يتدفق على اسرائيل والأراضي العربية التي تحتلها مئات الألوف من المهاجرين السوفيات.

١٤ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ بعد أربع جولات من المحادثات المكثّفة المنفردة التي أجراها الرئيسان حسني مبارك وحافظ الأسد على مدى يومين

في الاسكندرية، أعلن الرئيس السوري استعداد بلاده للاضطلاع بدور إيجابي في عملية السلام في الشرق الأوسط، وأكد أن الخلاف مع العراق ممكن حله «وإنْ طال الزمن».

١٦ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ رحّب وزيرا الخارجية والدفاع الاسرائيليان: ديفيد ليفي وموشي أرينز، بالتصريحات التي أدلى بها الرئيس حافظ الأسد خلال زيارته الأخيرة لمصر.

قال ليفي: «إن تصريحات الرئيس الأسد تميل إلى تشجيع حوار مع اسرائيل. ولا يمكننا إلا الترحيب بهذا المسعى الذي قد يؤدي إلى إسقاط جدار العداء كما حصل في أوروبا الشرقية».

وقال أرينز: «إن زيارة الأسد لمصر تشكل منعطفاً في تاريخ الشرق الأوسط (...) إنني ألمسُ بعض الاعتدال في تصريحات الرئيس السوري ومع ذلك فإن محادثات مباشرة بين اسرائيل وسوريا ليست واردة في الوقت الحاضر». حين طمأن ليفي الملك حسين قائلاً: «إن كل الاشاعات التي تقول ان اسرائيل تستعد للهجوم أو أنها تحاول زعزعة النظام الهاشمي غير صحيحية ولا أساس لها، وخلافاً لذلك فإن اسرائيل مهتمة بإقامة حوار للسلام مع الأردن».

. . . .

وصعّد العراق لهجته ضد دول الخليج النفطية، وشنّ هجوماً على الكويت متهماً إياها بـ «نهْب» نفطه و «قضم» أراضيه، في ما اعتبره «عدواناً عسكرياً» عليه، فيما رفض المجلس الوطني الكويتي الاتهامات العراقية و «سياسة العنف والابتزاز»، وأكدت واشنطن التزامها «دعم أصدقائها في الخليج ودفاعهم عن أنفسهم».

١٩ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ رفض نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الصباح، في رسالة وجهها إلى الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي، الاتهامات العراقية بـ «نهْب» النفط العراقي منذ ١٩٨٠ عبر الضخ من حقل الرميلة النفطي في جنوب العراق. وقال: «عمليات الانتاج تتم داخل الأراضي الكويتية، والجزء الجنوبي من هذا الحقل يقع ضمن أراضي الكويت. وعليه قامت الكويت باستخراج النفط من آبار تقع في أراضيها (. . .) وعلى مسافة كافية من الحدود الدولية».

واكد الشيخ صباح في المقابل أن «محاولات العراق تكررت ولا تزال في حفر آبار داخل الأراضي الكويتية (. . .) على رغم التجاوزات العراقية في الأراضي الكويتية، لم تشأ الكويت اثارة هذه المشكلة على الساحة العربية واكتفت

بالاتصالات الثنائية بين البلدين». ودحض كل الاتهامات العراقية ووصفها بأنها «تزييف للواقع»، معرباً عن «الألم» لاتهام بلاده بإضعاف العراق، ومذكّراً بـ «موقف الكويت الداعم للعراق وبما تعرّضت له الكويت من اعتداءات مباشرة» بسبب الحرب الايرانية ـ العراقية.

٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ في بغداد أذاع المجلس الوطني العراقي بياناً جاء فيه:

«ان السياسة النفطية التي انتهجها حكام دولتي الكويت والامارات العربية المتحدة أساءت بقوة إلى العراق الذي خاض بحور الدم دفاعاً عن كرامته وكرامة الأمة العربية».

أضاف: «ان مكافأة العراق كانت أن غرزوا الخنجر المسموم في ظهره في الوقت الذي يواجه الأعداء الأجانب ليبعد عن الأمة طعنات جديدة». ودعا البرلمانيين العرب إلى «ممارسة ضغوط بكل الوسائل الممكنة على حكام دولتي الكويت والامارات للعدول عن هذه السياسة المعادية للمصالح العربية، (ذلك) أن اتباع مثل هذا الاسلوب وفي هذا الوقت بالذات يعني إثارة حرب جديدة وبصيغة أخرى ضد العراق».

وأشار المجلس الوطني العراقي إلى أن هدف المؤامرة هو

«زيادة المخزون الاستراتيجي الأميركي مما ينتج منه سيطرة الولايات المتحدة على سوق النفط العالمية (...) ان اخطر فصول المؤامرة كانت الحرب (العراقية ـ الايرانية)، تبعتها محاولات ايقاف التقدم العلمي للعراق وتشويه سمعته تمهيداً للاعتداء عليه من الكيان الصهيوني (...) ان ما يؤسف له أن حكام الكويت والامارات استخدموا في هذه المرحلة المؤامرة ضد العراق اسلوباً تآمرياً بتعمّد خفض اسعار النفط عن طريق زيادة معدّلات الانتاج».

ثم أوصى المجلس الوطني العراقي بانتخاب الرئيس صدام حسين رئيساً للعراق مدى الحياة، معززاً حملته ضد الكويت في شأن السياسة النفطية.

ـ في غضون ذلك توجّه مئات الكويتيين المقيمين في العراق إلى الحدود عائدين إلى بلادهم، بعدما هاجمت وسائل الاعلام العراقية الكويت في حرب كلامية أثارت قلق منطقة الخليج كافة.

٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ في القاهرة حضّت مصر العراق والكويت ودولة الامارات على التزام الهدوء واعتماد الحوار لحل الخلافات بعيداً عن أجواء الاثارة والتوتر.

ـ في واشنطن.. قال مسؤول في ادارة الرئيس جورج بوش ان «تقديرنا هو أن من غير المرجح أن يقوم (الرئيس العراقي) صدام حسين بعمل عسكري في الخليج على الأقل على المدى القريب. لكنه شخص لا يمكن التكهن بما سيقدم عليه، اذ لديه برنامجه الخاص وأهدافه الخاصة».

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ قال قائد سلاح الجو الاسرائيلي الجنرال ابراهام بن نون ان «الاردن يلعب بالنار» مشيراً إلى «التعاون الوثيق جداً القائم بين الاردن والعراق» في المجال العسكري. أضاف: «ان العراق لا يهدّد اسرائيل بالكلام فقط بل بالافعال أيضاً». ورأى أن «موقف نظام الرئيس العراقي صدام حسين من الكويت يبرهن أنه يملك مزيداً من الثقة بنفسه».

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ شدّدت المذكرة التي بعث بها وزير الدولة الاماراتي للشؤون الخارجية راشد عبد الله النعيمي إلى الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي على أن «ادعاءات العراق وتشكيكه حول السياسة النفطية لدولة الامارات هو أمر مرفوض ولا يستند إلى أساس من الصحة والواقع». وشدّدت على أن «الدفاع عن السوق النفطية العالمية هو مسؤولية جماعية تضامنية للدول المنتجة داخل أوبيك وخارجها».

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ قال خبراء في الشؤون النفطية ان السعودية، وهي المُدافع التقليدي عن انتهاج سياسات أسعار مختلفة، قد تجد نفسها متراجعة إلى مقعد خلفي. ورأوا أن ثمة الآن فرصة حقيقية لأن يهيمن العراق، الذي تتشدد مواقفه على نحو متزايد، على «أوبيك» وسياسات الشرق الأوسط.

وأشار هؤلاء الخبراء إلى أن حاجة العراق الملحّة إلى المال قد تجعله أكثر تشدّداً، في شأن الأسعار، من دول الخليج الأخرى الأكثر غنى مثل السعودية، وهي كلها حليفة للولايات المتحدة.

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ قررت المملكة العربية السعودية إقامة علاقات ديبلوماسية مع بكين (العاصمة الصينية) وطلبت خفض تمثيل سفارة كل من السعودية وتايوان إلى مستوى مكتبين تمثيليين.

ويُذْكَر أن السعودية كانت تعتبر تايوان الحكومة الشرعية الوحيدة للصين وقد أقامت معها علاقات سياسية وتجارية مستمرة منذ ٤٤ سنة.

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ قال العقيد معمر القذافي، في خطاب ألقاه في طرابلس، ان الولايات المتحدة «ما زالت تحاربنا إذ نقلت ذبابة من

أميركا ونشرتها في ليبيا (. . .) بعد وضعها في الحاجات التي نستوردها».

وكان الزعيم الليبي يشير إلى الذبابة الحلزونية التي تتكاثر بسرعة مذهلة وتستطيع القضاء على الماشية والحيوانات المفترسة وحتى الانسان عبر زرع بيوضها في الجروح.

وتساءل القذافي: «لماذا لم تمر هذه الذبابة على عدد من الأقطار العربية المجاورة أو حتى في الأقطار التي فيها الأميركيون بسفاراتهم وشركاتهم؟». ولاحظ أنها ليست المرة الأولى يلجأ الأميركيون فيها إلى الحرب بهذه الوسائل. ففي عهد (الرئيس الراحل أنور) السادات زرعوا (الأميركيون) ١٢ مليون فأر في مصر من أجل تدميرها». وأضاف انهم (الأميركيون) نجحوا «فعلاً في تدمير محصولها الزراعي حتى أصبحت تعتمد على أميركا في القمح ولا تستطيع حتى هذا الوقت تحقيق الاكتفاء الذاتي» الغذائي.

وكرر الزعيم الليبي اتهاماته بأن «فيروس» مرض نقص المناعة المكتسبة «ايدز» من صنع «الاستخبارات الأميركية التي نشرته في العالم».

ووسع القذافي حملته فشملت الاسلاميين قائلاً: «يتعين شرعاً محاربة الحركات الأصولية التي جرّت الحروب على المسلمين والعرب».

وأكد أن المجموعات التي تختبىء خلف الاسلام شوّهت معنى الجهاد لأنها لم تحارب أميركا والصهاينة بل المسلمين أنفسهم. وتساءل: «كيف نتكلم عن جهاد في أفغانستان تدعمه أميركا وتديره؟» وقال، في تلميح إلى ايران، «ليس منطقياً أن يتلقى العرب دروساً من أجنبي عن دينهم الخاص».

٢١ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ في القاهرة، قال الرئيس حسني مبارك في مناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ان الرئيس العراقي صدام حسين «قادر بحكمته أن يتخطى هذه المشكلة بكل هدوء وبكل موضوعية حتى نتلافى العقبات والتوترات التي قد تعوق التضامن العربي». وأضاف: «إني أعلم تماماً أنه (الرئيس العراقي) من مؤيدي التضامن العربي ووحدة الهدف والمصير».

٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ في بغداد، اتهم ناطق رسمي عراقي الكويت بأنها «تمهد» لدعوة «قوى أجنبية» إلى التدخل في منطقة الخليج عبر «لجوئها» إلى الأمم المتحدة في النزاع مع العراق. وكان الناطق يعلق على رسالة وجهتها الكويت (الخميس ١٩/٧/١٩٩٠) إلى الأمين العام للأمم المتحدة السيد خافيير بيريز ديكويار لاطلاعها على خلافها مع العراق في شأن

الحدود وانتاج النفط. وأقدم المندوب الكويتي على خطوة مماثلة لدى رئيس مجلس الأمن.

واعتبر الناطق العراقي أن لجوء الكويت إلى الهيئة الدولية «يعني أنها تخلّت عن الخيار العربي» وعن وساطة الجامعة العربية من أجل تسوية خلافها مع بغداد. وخلص إلى أن «حكام الكويت ينفّذون مخططاً امبريالياً».

٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ عرضت مصر خطة من أربع نقاط لانهاء الخلاف بين العراق والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة في شأن الحدود. من هذه النقاط الأربع: استبعاد فكرة التهديد بالقيام بعمل عسكري ووقف الحملات الاعلامية بين الدول الثلاث فوراً.

بيد أن الصحف العراقية واصلت حملتها العنيفة على المسؤولين الكويتيين لا سيما منهم نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الصباح متهمة إياه بأنه «عميل لأميركا» و«منفذ للمؤامرة ضد العراق».

● قالت صحيفة «الثورة» (الناطقة باسم حزب البعث العراقي الحاكم): ان «عمالة صباح الأحمد لأميركا افتضحت عندما سارع إلى التخلي عن الخيار العربي ليُخرج القضية من

نطاق الجامعة العربية ويبرّر بقاء الأساطيل الأجنبية ولا سيما اسطول أصدقائه الأميركان في الخليج».

●● وقالت صحيفة «الجمهورية» (الحكومية): ان وزير الخارجية الكويتي «جعل نفسه أداة لتنفيذ السياسة الأميركية في الكويت وتخريب العلاقات الكويتية ـ العراقية».

●●● وقالت صحيفة «القادسية» (الناطقة باسم وزارة الدفاع): ان «صباح الأحمد ضالع منذ البداية في المؤامرة ضد العراق التي جاءت بعد الحملات الأميركية والتهديدات الصهيونية».

٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ في دمشق أكد الرئيس حافظ الأسد للمبعوث الكويتي (وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء السيد عبد الرحمن العوضي) أن حل الخلافات بالحوار «من شأنه أن يحقق حلولاً ناجعة ويساعد على تحقيق التضامن العربي والعمل العربي المشترك الذي تحتاج إليه الأمة العربية ويُعتبر ضرورة ملحة».

٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

شهدت (يوم الثلاثاء ١٩٩٠/٧/٢٤) منطقة الخليج تصعيداً مفاجئاً للتوتر مع تأكيد الولايات المتحدة وجود حشود عسكرية على جانبي الحدود بين العراق والكويت، ويُعتقد أن هذه الحشود تضم ألوفاً من الجنود. وفيما كان الرئيس مبارك

يقوم بجولة شملت العراق والكويت والسعودية، بغية تخفيف حدة التوتر، قالت الناطقة باسم وزارة الخارجية الأميركية السيدة مارغريت تتوايلر: «اننا لا نزال ملتزمين الدفاع عن مبدأ حرية الملاحة في الخليج وضمان تدفق النفط من دون عوائق عبر مضيق هرمز، ولا نزال ملتزمين في قوة أيضاً دعم قدرة أصدقائنا في الخليج الذين تربطنا بهم روابط عميقة وقديمة على الدفاع عن النفس فردياً أو جماعياً».

ولما سئلت (تتوايلر) هل تُعَدُّ الكويت من أصدقاء الولايات المتحدة، ردت بالايجاب، مشيرة إلى أن الولايات المتحدة لا ترتبط مع الكويت بأية معاهدات دفاعية أو بالتزامات أمنية خاصة.

حين قال الناطق باسم الرئاسة الأميركية مارلن فيتزووتر ان الولايات المتحدة تطلب من «جميع الأطراف بذل الجهود لتفادي أي لجوء إلى العنف (. . .) اننا نشعر بالقلق لحشد القوات والموقف دقيق».

٢٥ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ نسبت صحيفة «الواشنطن بوست»، إلى مسؤولين أميركيين وديبلوماسيين عرب، أن العراق أرسل ٣٠ ألف جندي من قواته الخاصة (الحرس الجمهوري) إلى الحدود مع الكويت في «عرض للقوة». وأشارت (الصحيفة) إلى أن

مجموعة من الملحقين العسكريين الغربيين لاحظوا هذا التحرك العسكري وهم يعبرون الحدود في طريقهم إلى بغداد، وأنهم أحصوا نحو ٣ آلاف آلية عسكرية عراقية تتجه جنوباً وتنقل فرقتين من الحرس الجمهوري العراقي، كذلك شاهدوا ناقلات جند مدرّعة وصواريخ ميدان أرض ـ أرض. وأضافت أن الكويت أرسلت أيضاً قوات إلى الحدود وصواريخ سوفياتية الصنع وأعلنت استنفاراً عاماً في صفوف جنودها أول من أمس، فيما أمرت الادارة الأميركية بوضع السفن الأميركية السبع في الخليج في «حال التأهب».

٢٥ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ وسْط دلائل على تراجع حدة التوتر بين العراق والكويت ونزوعهما إلى حل خلافاتهما ومنها النفطية بالحوار، خرج وزراء منظمة البلدان المصدّرة للنفط «أوبيك» (تضم ١٣ دولة عضواً)، من اجتماعاتهم التمهيدية لمؤتمرهم نصف السنوي أمس في جنيف بتصريحات أوحت باحتمال توصّلهم إلى اتفاق على رفع سعر برميل النفط وحصص الانتاج في إطار توجه لخصه وزير النفط الايراني غلام رضا آغازاده بأن «أوبيك تتحدث في النفط وليس في السياسة».

وكان التطور البارز في موقف الأعضاء، إعلان وزير النفط الكويتي راشد العميري أنه يؤيد رفع السعر المستهدف لنفط

«أوبيك» ولكن «بنسبة معقولة». وهو تخلى في الوقت نفسه عن «إلحاح» بلاده على وجوب رفع حصتها من الانتاج البالغة حالياً ١,٥ مليون برميل يومياً.

وأكد وزير النفط في دولة الامارات العربية المتحدة مانع سعيد العتيبة بدوره أن بلاده مستعدة للجم فائض انتاجها في ضوء اتفاق جديد على الأسعار وحصص الانتاج.

٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ وإذ ظهر أن وساطة الرئيس مبارك نجحت في تخفيف التوتر بين العراق والكويت واحتوائه في إطاره العربي، أبلغ الرئيس المصري إلى الصحافيين «أن المناورات المشتركة التي (سمعتم) عنها هي مناورات بعيدة عن الحدود، لكنني أناشد الولايات المتحدة ألّا تصعّد الموقف حتى لا تعقّد المشكلة بين دولتين عربيتين شقيقتين وجارتين». و «أكد (مبارك) أن الخلاف بين العراق والكويت لم يؤثر على القمة العربية المقبلة المقرر عقدها في تشرين الأول في القاهرة». وأضاف: «أعتقد أن الخلاف بين العراق والكويت ليس خلافاً من الصعب حله ولا يحتاج إلى تحكيم، واني على ثقة من أنه مع بعض المرونة من الجانبين سيكون ممكناً التوصل إلى حل توفيقي».

٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٩٠

ـ تبدي مصادر قريبة من وزارة الدفاع الاسرائيلية قلقها

من الأسلحة غير التقليدية التي يملكها العراق، بعدما أعرب مسؤولون اسرائيليون عن قلق أكبر من تهديدات العراق للكويت وما يترتب عليها من مخاطر تنذر بحرب جديدة في الشرق الأوسط.

٢٦ - ٧ - ١٩٩٠

- كشف النقاب عن رسالة بعث بها ياسر عرفات إلى عضو مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية مناحيم روزنشافت وتحمل تاريخ ٢٥ حزيران ١٩٩٠ أي بعد خمسة أيام على قرار بوش وقف المحادثات مع منظمة التحرير، وفيها يقول (عرفات): ان «منظمة التحرير الفلسطينية قدمت تسوية تاريخية مع اسرائيل التي عليها القيام بخطوة مماثلة» وأضاف: «ان طرفاً واحداً لا يستطيع وحده صنع السلام (. . .) وعلى اسرائيل أن تقدم تسوية تاريخية مماثلة لتحقيق سلام مع الشعب الفلسطيني مبني على الاعتراق بحقوقنا وحريتنا واستقلالنا وسيادتنا» وقال أيضاً: «إني واثق من أن مسلسل العنف سينتهي لا محالة، إذا قام كل منا بالخطوات الضرورية لتحقيق سلام عادل ودائم».

وعلّق على هذه الرسالة المسؤول في وزارة الخارجية قائلاً: «هذا تعهُّد لاختيار الطريق الديبلوماسية (. . .) لكن السؤال الذي لا ننفكُّ نطرحه هو هل سيتمكن من السيطرة على العناصر

الفلسطينية التي ترفض طريق الديبلوماسية؟».

واعتبر روزنشافت «أن رسالة عرفات تُظهر بوضوح أنه يريد بقوة فتح حوار مع خصومه وخصوم منظمة التحرير الفلسطينية». إلا أنه استبعد أن تؤدي الرسالة غايتها لتجاهلها ذكر العملية الفدائية قرب شواطىء تل أبيب التي نفذتها «جبهة التحرير الفلسطينية» أواخر أيار قائلاً: «ان نبذ الارهاب، الذي هو المسألة السياسية هنا، يكون بالعمل وليس نظرياً فقط (. . .) والعملي هو أن منظمة التحرير الفلسطينية وعرفات لم يدينا «أبو العباس» زعيم «جبهة التحرير الفلسطينية».

٢٧ - ٧ - ١٩٩٠

- قال ناطق عراقي رسمي ان من الضروري أن يدرك رئيس الوزراء الكويتي ولي العهد الشيخ سعد العبد الله أن من يأتي «للاجتماع معنا يجب أن يكون مستعداً لإزالة الضرر وآثار العدوان التي لحقت بالعراق وأن يستجيب لحقوق العراق المشروعة».

٢٨ - ٧ - ١٩٩٠

- توصلت منظمة البلدان المصدّرة للنفط «أوبيك» إلى اتفاق تاريخي للمرة الأولى في عشر سنين، على رفع سعر البرميل من نفطها الخام من ١٨ دولاراً إلى ٢١ دولاراً

وأعلنت احتمال رفع هذا السعر وانتاجها الاجمالي في كانون الأول المقبل.

وحدّد البيان الختامي الذي صدر إثر الاجتماع الوزاري للمنظمة الذي استمر يومين (الخميس والجمعة ٢٦ و٢٧) في جنيف، الحدّ الأقصى للانتاج للنصف الثاني من السنة الجارية بـ ٢٢,٤٩١ مليون برميل يومياً بدل ٢٢ مليوناً في النصف الأول منها، علماً أن الانتاج الفعلي بلغ في حزيران الماضي ٢٣,٢ مليون برميل يومياً. وزيدت حصة دولة الامارات العربية وحدها من ١,٠٩٥ مليون برميل يومياً إلى ١,٥ مليون برميل يومياً.

٢٨ - ٧ - ١٩٩٠

- أعلنت السعودية أن اللقاء العراقي - الكويتي الذي كان متوقّعاً في نهاية الاسبوع الماضي سيعقد غداً الثلاثاء في جدة، بعدما اتهمت بغداد الكويت بتأجيله وردّت الحكومة الكويتية بأنها تنتظر أن تحدد السعودية موعد الاجتماع ومكانه، في وقت انضم العاهل الاردني الملك حسين ورئيس دولة فلسطين ياسر عرفات إلى مساعي الوساطة لحل الخلاف بين الدولتين الخليجيتين.

٣٠ - ٧ - ١٩٩٠

- بثت إذاعة الكويت في أولى نشراتها الاخبارية صباح الخميس (٢/٨/١٩٩٠) بياناً لوزارة الدفاع الكويتية جاء فيه انه «في نحو الساعة الثانية من فجر اليوم الخميس، بدأت القوات العراقية اختراق الحدود الشمالية واحتلال مواقع عدة داخل الأراضي الكويتية». وطالب البيان العراق «بالتوقف فوراً عن العمل العدائي وسحب جميع قواته إلى داخل حدوده».

- نقل المراسلون عن شهود عيان أن «عناصر مجهولة» بدأت تظهر في العاصمة الكويتية بعد بضع ساعات على إعلان دخول القوات العراقية الأراضي الكويتية. وسُمعت أصوات انفجارات في أحياء عدة فيما كانت تحلّق فوقها طائرات مقاتلة. وأكد هؤلاء أن معركة كبيرة جرت قرب قصر أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح، وسيطرت القوات العراقية عليه فجراً من غير أن تتمكن من أسر أمير دولة الكويت الذي غادر قصر بسمان في طائرة هليكوبتر. وأشاروا إلى أن القصر تعرّض لقصف صاروخي بعد الظهر وشوهدت دبابة تحترق عند مدخله.

وإذ أفادت مصادر أن الشيخ فهد الأحمد الصباح شقيق

الأمير جابر قُتل في الهجوم على القصر، أكد سكان من منطقة الجهرة، الواقعة على مسافة ٣٠ كيلومتراً من العاصمة، أن ثكن الجيش الكويتي في المنطقة سقطت في أيدي القوات العراقية، وأن الجنود العراقيين طلبوا منهم عدم مغادرة منازلهم.

وأوضح سكان العاصمة أن القوات العراقية أكملت سيطرتها على العاصمة بعد ١٢ ساعة من بدء الاجتياح وأن جنوداً يسيطرون على الوزارات ومباني الاذاعة والتلفزيون والمصرف المركزي. وأشاروا إلى أن خمس طائرات هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الكويتي قصفت القوات العراقية التي انتشرت وسط العاصمة وعلى ساحلها الشمالي. وأدى القصف المتبادَل إلى إشعال حرائق عدة في وسط المدينة وعلى الشاطىء.

ومع حلول المساء خفّت حدة المعارك خصوصاً على طول الشاطىء حيث سجّل المراسلون انتشاراً كثيفاً للدبابات العراقية التي اتخذت مواقع في صفوف ضيقة ومدافعها موجّهة إلى البحر. فيما أقفلت الطريق المؤدية إلى وسط العاصمة. وعلى رغم عدم صدور أي بيان عن ضحايا المعارك، صرّح السفير الكويتي في بروكسيل السيد أحمد الابراهيم أن الاجتياح العراقي للكويت أدى إلى سقوط نحو ٢٠٠ قتيل

مستنداً في ذلك إلى «الاتصالات التي أمكنني إجراءها مع بعض أعضاء الحكومة».

على أن بياناً يحمل «الرقم واحد» أعلن قلب نظام الحكم في الكويت وحل المجلس الوطني إلى إجراءات أخرى.

وادّعى هذا البيان قيام «حكومة الكويت الحرة الموقتة»، وهذه زعمت «حرصها التام على حماية حقوق الأجانب المقيمين في الكويت ومصالحهم وأمنهم، والتزامها كل الاتفاقات المعقودة مع الدول الأخرى عدا ما هو سري فيها مما يتعارض مع سيادتنا والتزاماتنا القومية وكل الالتزامات المالية إزاء الدول والمؤسسات».

٣-٨-١٩٩٠

- أذيع رسمياً، في كل من واشنطن ولندن وباريس، أن الودائع والممتلكات الكويتية والعراقية قد جُمّدت إلى أجل غير محدّد.

٣-٨-١٩٩٠

- في الأمم المتحدة دان مجلس الأمن الاجتياح العراقي وطالب بغداد بسحب قواتها «فوراً ومن دون قيد ولا شرط».

وقال المندوب الأميركي توماس بيكيرينغ (مندوب بلاده لدى الأمم المتحدة) متّهماً العراق بأنه «ارتكب خطأً جسيماً،

إذْ بدل أن ينظم العراقيون انقلابهم وينصّبوا ما يُدعى حكومة الكويت الحرة الموقتة قبل الغزو، أخطأوا بسيرهم عكس ذلك. انهم غزوا الكويت ثم نظّموا الانقلاب في محاولة فاضحة وخادعة لتبرير عملهم».

ووصف مندوب الكويت (لدى الأمم المتحدة) السفير محمد أبو الحسن الاجتياح العراقي بأنه «انتهاك صارخ لميثاق الأمم المتحدة» معتبراً أن المجلس مسؤول عن حماية الكويت. وقال: «انه نوع من الاختبار».

وقال المندوب العراقي (لدى الأمم المتحدة) السفير صباح قدرات ان «المسألة في الكويت داخلية ليست من اختصاص مجلس الأمن». وأضاف ان «حكومة الكويت الحرة الموقتة» التي قلبت النظام الكويتي طلبت من العراق المساعدة في إقرار النظام هناك، مشيراً إلى أن القوات العراقية ستنسحب فور إقرار النظام الدولي الذي يؤمل ألا يستغرق سوى أيام أو أسابيع على الأكثر، ودان التنسيق والتواطؤ بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة الكويت السابقة».

٣-٨-١٩٩٠

٣ - مواقف دولية

- في واشنطن، دعا الرئيس جورج بوش إلى «الانسحاب

الفوري وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت»... وأبلغ بوش إلى الصحافيين «ادانة قوية» للاجتياح العراقي قائلاً: ان «عالم اليوم لم يعد يتسع لهذا النوع من الاعتداءات الموصوفة». ووصف الوضع في الشرق الأوسط إثر هذا الاحتلال بأنه «بات على جانب كبير من الخطورة».

- في موسكو، دعا ناطق رسمي باسم وزارة الخارجية السوفياتية في بيان مقتضب إلى «انسحاب فوري للقوات العراقية من الكويت وإعادة السيادة الكويتية». وأضاف ان الاجتياح العراقي «يتعارض مع مصالح الدول العربية (...) ان الاتحاد السوفياتي يرى أن أي خلاف مهما كان صعباً لا يبرّر اللجوء إلى القوّة».

- في باريس، أشاد رئيس الوزراء الفرنسي بالوكالة وزير المال والاقتصاد بيار بيريغوفوا بـ«تضامن القوات العظمى» واعتبره «الوسيلة المثلى لحمل العراق على الاستماع إلى صوت العقل (...) في إمكان العراق اليوم قياس عزلته على الساحة الدولية».

- في لندن، قال وزير الخارجية البريطاني المساعد وليم وولدغريف ان «العالم لا يمكن أن يبقى مكتوفاً وألّا يسعى إلى منع ضم دولة صغيرة إلى جارتها القوية». واعتبرت وزارة الخارجية البريطانية من جهتها في بيان أصدرته مساء أن

«الغزو المسلّح خطر جسيم يهدّد السلام والاستقرار في المنطقة ويثير قلق الأسرة الدولية كاملة».

ـ في اسرائيل، صرّح ناطق باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية: «اننا ندين بشدّة هذا العمل العدواني الذي يشكّل دليلاً جديداً على حقيقة النظام العراقي (. . .) هذا العمل الذي قام به العراق مع جيش يزيد عديده عن مليون رجل وترسانة ضخمة تضمّ أسلحة كيميائية لم يتردد في استخدامها ضد سكانه المدنيين يظهر في وضوح من أين يأتي التهديد الحقيقي للسلام في المنطقة».

وقال وزير الدفاع الاسرائيلي موشي ارينز: «لا أعتقد أن عملية عسكرية هي ضرورية، لكننا مستعدون لضمان أمننا لأن الرئيس صدّام حسين سيواصل البحث عن أهداف أخرى (. . .) لم نفاجأ بتصرف الرئيس العراقي الذي يذكّرنا بأدولف هتلر. والفرق أننا نملك جيشاً قوياً».

ـ في بروكسيل، دانت المجموعة الاقتصادية الأوروبية «بقوة» الاجتياح العراقي وطالبت «بالانسحاب الفوري للقوات العراقية» من الكويت. ورأت الدول الأعضاء في المجموعة الأوروبية أن «العدوان العسكري» العراقي لا يشكل «عملاً عدوانياً ضد بلد مجاور فحسب بل هو تهديد خطير للسلام والاستقرار في المنطقة أيضاً».

ـ في بون، صرّح الناطق باسم وزارة الخارجية الألمانية الغربية هانس شوماخر أن حكومته تؤيد «تأييداً مطلقاً» طلب انسحاب القوات العراقية من الأراضي الكويتية «فوراً ومن دون شروط (. . .) ان الخلافات بين الدولتين يجب تسويتها سلمياً».

ـ في طوكيو، طالب الناطق باسم الحكومة اليابانية «بانسحاب فوري» للقوات العراقية التي غزت الكويت.

ـ في طهران، قال بيان لوزارة الخارجية الايرانية: «يستحيل على ايران لأسباب تتعلق بأمنها الوطني أن تقف مكتوفة» حيال «التدخل العراقي المسلح». وأضاف: «إن ايران التي ترفض اللجوء إلى القوة وسيلة لحل الخلافات، تعتبر أن الغزو العراقي لا يتناسب مع الاستقرار والأمن في هذه المنطقة الحساسة».

٤ ـ مواقف عربية

● افتتح مجلس جامعة الدول العربية دورته غير العادية في القاهرة الخميس إثر غزو القوات العراقية للكويت، ومساء اليوم الثاني (الجمعة) أصدر قراراً دان بموجبه الغزو العراقي للكويت وطالب بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات العراقية.

وصرّح مصدر رسمي أن ١٤ دولة صوّتت على القرار، فيما أبدت خمس دول تحفظات وهي «منظمة التحرير الفلسطينية» والاردن والسودان وموريتانيا واليمن، حين تغيبت ليبيا واستُبعد العراق عن التصويت.

وسبق لرئيس مجلس الوزراء اللبناني الدكتور سليم الحص أن قال في القاهرة:

«اننا لا نرى أي مبرر أو مسوّغ لما حصل بين القطرين العربيين الشقيقين أياً تكن الحجة أو الذريعة (...) فإذا كان للأكبر أن يطغى على الأصغر، والأقوى أن يقهر الأضعف، فما معنى القوانين والشرائع والأنظمة الدولية، وما معنى وجود جامعة الدول العربية أو منظمة المؤتمر الاسلامي أو هيئة الأمم المتحدة؟!». ودعا الرئيس الحص وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة إلى اتخاذ «موقف جدي ضد الغزو العراقي».

وطالب بيان لوزارة الخارجية الجزائرية بـ«انسحاب فوري» للقوات العراقية بعد «غزوها غير المقبول» للكويت. وشدّد على ضرورة أن «يحترم العراق سيادة الكويت واستقلالها» معتبراً الاجتياح العراقي «سابقة بالغة الخطورة (...) (ذلك) ان اللجوء إلى القوة لحل الخلافات بين الدول

العربية ليس من شأنه سوى زيادة اضعاف الأمة العربية وتهميش القضية الفلسطينية».

وفي الرباط، دان مجلس الوزراء المغربي بشدة الاحتلال العسكري للكويت الشقيق ووصفه بأنه «احتلال ينتهك جميع المبادىء الأساسية التي ترعى الحق الدولي وينتهك قواعد العلاقات الدولية».

٣، ٤-٨-١٩٩٠

٥ - علامات أولية

- لم تصدر صحف الكويت السبع لليوم الثاني على التوالي. كذلك وكالة الأنباء الكويتية «كوتا» التي احتلت القوات العراقية مقرها.

- انتقل التلفزيون الكويتي إلى يد «الحكومة الموقتة»، وبثّ في وقت متأخر من مساء الجمعة (٣-٨-٩٠) بيانات هذه «الحكومة» التي تضمّنت عزل أمير دولة الكويت وحل المجلس الوطني ومصادرة ثروة العائلة الحاكمة وفرض منع التجول. وتلا مذيعون يرتدون جلابيات ولا يعرفهم المشاهدون الكويتيون بلهجة عراقية واضحة البيانات التي كانت تقطع لبث شعار يقول «سقط الطاووس وانبلج فجر جديد».

٤-٨-١٩٩٠

- لاحظ ديبلوماسيون غربيون في الخليج أنه «في جميع الأحوال ستكون هذه الحكومة («المؤقتة») وليدة قوات الغزو ولن تتمتع بأي شرعية».

ورأى بعض المصادر الديبلوماسية الغربية أن «أحداً من الكويتيين لن يجازف بتولي السلطة عن طريق القوات العراقية وإن كان معارضاً للعائلة الحاكمة (. . .) من المستغرب ألاّ يكون العراقيون ألّفوا حكومة سلفاً. ويبدو أنهم يواجهون صعوبات في تأليف مثل هذه الحكومة من شخصيات تتمتع ببعض الصدقية».

٤ - ٨ - ١٩٩٠

- خرج في كل من جنيف والقاهرة ودمشق الوفُ الكويتيين يطالبون باخراج العراقيين من بلادهم، ومنهم بكى وظهرت عليه علامات الخوف على المصير.

٤ - ٨ - ١٩٩٠

- في لندن قالت منظمة العفو الدولية انها تلقّت أنباء من الكويت مفادها أن القوات العراقية اعتقلت مئات المنفيين العراقيين والمعارضين للحكم العراقي والمقيمين في الكويت. وأضافت أن المعتقلين اقتيدوا إلى العراق «حيث يواجهون خطرَ التعرّض للسجن والتعذيب وحتى الاعدام». وأشارت إلى أن بين المعتقلين أعضاء أو مؤيدين للحزب الشيوعي

العراقي وشيعة على علاقة بحزب «الدعوة الاسلامية»، و«اعتقل عدد كبير من الأشخاص في الحي الشعبي في العاصمة حيث فتشت القوات العراقية المنازل بحسب المنظمة الدولية».

٤ - ٨ - ١٩٩٠

٦ - اول بيان مصري

صدر عن وزارة الخارجية المصرية هذا البيان:

«بعدما أسفرت المساعي العربية المكثّفة التي بُذلت أخيراً لاحتواء الخلاف بين العراق والكويت عن موافقة قادة البلدين الشقيقين على الدخول في حوار ودي تمهيداً لتسوية الخلافات بينهما، وبعدما عقدت جلسة الحوار الأولى في جدة وسط توقعات متزايدة وآمال تولّدت لدى الجماهير العربية بانفراج الأزمة، فوجئت جمهورية مصر العربية بالغزو العراقي للكويت وما ترتب عليه من مضاعفات مؤسفة لا بد أن تكون لها انعكاسات خطيرة على الوضع في المنطقة وعلى مستقبل الوضع العربي كله. وفضلاً عما يمثله هذا التطور المؤسف من مخالفة لأحكام القانون ومبادىء الشرعية الدولية، فإنه يشكل اخلالاً واضحاً بتعهد منصوص عليه صراحة في ميثاق جامعة الدول العربيّة، وأكدت المؤتمرات العربية الأخيرة التي اضطلع

فيها العراق بدور بارز في تثبيت التزام هذا المبدأ وفي المطالبة بتعميق مفهوم التضامن العربي.

«ترى مصر في ضوء هذه الحقائق أن الوضع يتطلب اتخاذ الخطوات التالية فوراً ودون إبطاء:

«أولاً ـ انسحاب القوات العراقية من الأرض الكويتية.

«ثانياً ـ الكف عن محاولة تغيير نظام الحكم في الكويت بالقوة وترك الشؤون الداخلية للكويت للشعب الكويتي الشقيق يقررها بإرادته الحرة وقراره المستقل.

«ثالثاً ـ ارتباط البلدين بأسلوب محدّد لتسوية الخلافات القائمة بينهما عن طريق المفاوضات السلمية».

٤ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

٧ ـ التضامن الخليجي

ـ طالب مجلس التعاون الخليجي الذي يضم الكويت والسعودية والبحرين وعُمان وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة، بـ «الانسحاب الفوري غير المشروط للقوات العراقية إلى مواقعها قبل تاريخ أول آب ١٩٩٠» وقال انه «يرفض العدوان وأي آثار مترتبة عليه مع عدم الاعتراف بتبعاته». وناشد الدول العربية «اتخاذ موقف موحّد لانهاء

العدوان وإزالة آثاره من أجل الحفاظ على سيادة دولة الكويت الشقيقة واستقلالها».

وبحث المجلس في «الوضع الخطير الناجم عن العدوان العراقي والآثار المترتبة على هذا العدوان». ورأى أنه «يمثل انتهاكاً صارخاً لسيادة دولة عضو في مجلس التعاون الخليجي واستقلالها وخرقاً سافراً لكل المواثيق والأعراف والقوانين العربية والاسلامية والدولية».

٤ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

٨ ـ الاتجاه الواحد

١ ـ حذر الرئيس جورج بوش العراق من أي محاولة للقيام بهجوم على المملكة العربية السعودية، وقال حرفياً: «سلامة السعودية وحريتها أمران مهمّان جداً بالنسبة إلى الولايات المتحدة، وإذا طلبوا مساعدة معينة سأميل إلى تقديمها في أي طريقة ممكنة نستطيعها. إن الأمر على هذه الدرجة من الجديّة».

٤ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

٢ ـ صدر عن موسكو وواشنطن بيان مشترك وقّعه وزير الخارجية السوفياتي ادوارد شيفاردنادزه والأميركي جيمس

بـايكر في مـوسكو، وهـو اعتبر بمثـابة تجسيـد تاريخي لمقـاربـة جديدة لشؤون العالم بين القوتين العظميين. قال البيان:

«إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بصفتهـا عضوين في مجلس الأمن يعتبران أنه من المهم أن يـدين مجـلس الأمن بسرعـة وعلى نحـو حاسم غـزو القوات العـراقيـة الفظ وغـير المشروع للكويت.

«إن الولايات المتحدة والاتحاد السـوفياتي يعتقـدان أنه من الأساسي الآن تطبيق قرار مجلس الأمن تطبيقاً كاملاً وفوريـاً. إن العـراق أظهر استخفـافاً بـالمبادىء الأسـاسية لميثـاق الأمم المتحدة والقانون الدولي.

«ورداً على هذا الخرق للقواعد الأساسية لسلوك متحضر، اتخذ الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عدداً من الاجراءات من بينها وقف تسليم الأسلحة السوفياتيـة إلى العراق وتجميـد الولايات المتحدة الودائع.

«إن الاتحـاد السوفيـاتي والولايـات المتحدة يعتقـدان أنه لا يـترتب على المجتمـع الدولي الادانـة فقط بل اتخـاذ اجراءات عملية رداً على ذلك.

«لقد قمنا اليوم بمبادرة غير عادية بتوجيه دعوة مشـتركة إلى بقية المجتمع الدولي للانضمام إلينا ليوقف تسليم الأسلحة.

«إضافة إلى ذلك ان الاتحاد السـوفياتي والـولايات المتحـدة يدعوان المنظمات الاقليمية وخصوصاً جـامعة الـدول العربيـة وكـل الحكـومـات العـربيـة وحـركـة عـدم الانحيـاز والمؤتمـر الاسلامي إلى اتخاذ كل الاجراءات الممكنة لتطبيق قرار مجلس الأمن للأمم المتحدة.

«يجب أن تعرف الحكومات التي ترتكب عـدواناً سـافراً أن المجتمع الدولي لا يمكنه أن يوافق عـلى عدوان أو يسهّله ومن يوافق عليه أو يسهّله».

٤ - ٨ - ١٩٩٠

٣ - قال الوزير السوفياتي ادوارد شيفاردنادزه:

«بصراحـة كنتُ واثقاً من أن الـوضع لن يتـدهور. لم أكن أعتقد أن العراق سيشنّ عدواناً كهـذا على بلد لا يملك قـدرة دفـاعية مثـل الكويت ولا يهـدّد أحداً». واعـترف بأن القـرار الـذي اتخذتـه موسكـو في شـأن وقف تسليم العـراق أسلحـة «كان صعباً للغاية». ووصف الوضع في الخليج بأنـه «مؤلم بل مأسـوي».

٤ - ٨ - ١٩٩٠

٤ - وصف الرئيس بوش العـراقيين بـأنهم «خـارجـون عـلى القانون وخوَنة دوليون ومنبوذون».

ولاحظ بوش أن نداءات من بعض الدول العربية إلى الولايات المتحدة لإمهالها ٤٨ ساعة منذ الغزو لحل الأزمة «فشلت في وضوح (. . .) لقد أُصِبْتُ بخيبة أمل لأن المسألة لم تُحَل قبل الآن، إنها مسألة بالغة الخطورة».

١٩٩٠-٨-٦

٥ ـ في روما قررت المجموعة الاقتصادية الأوروبية (١٢ دولة) ما يلي:

«تذكّر المجموعة الأوروبية والدول الأعضاء بادانتها المطلقة للاجتياح العراقي للكويت وكذلك بدعوتها إلى انسحاب فوري وغير مشروط للقوات العراقية من أراضي الكويت وهما أمران سبق لها أنْ عبّرت عنهما في اعلانها الصادر في الثاني من آب.

«تعتبر المجموعة الأوروبية والدول الأعضاء أن الدوافع التي ذكرها العراق لتبرير عدوانه العسكري على الكويت هي من دون أساس وغير مقبولة. وهي ستمتنع عن القيام بأي عمل يمكن أن يُعتبر اعترافاً ضمنياً بالسلطات التي فرضها الغازي على الكويت.

«وحفاظاً على مصالح الحكومة الشرعية الكويتية قررت اتخاذ تدابير تهدف إلى حماية الممتلكات العائدة مباشرة أو غير

مباشرة إلى الدولة الكويتية.

«تؤكد المجموعة والدول الأعضاء دعمها الكامل للقرار ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن وتطلب من العراق احترام بنود هذا القرار. واذا ما امتنعت السلطات العراقية عن القيام بذلك فان المجموعة والدول الاعضاء ستدعم قراراً صادراً عن مجلس الأمن يفرض عقوبات ملزمة وشاملة وستنفذه.

«ومنذ الآن اتخذت القرارات الآتية:

- حظر الواردات النفطية من العراق والكويت.
- تدابير ملائمة لتجميد الممتلكات العراقية داخل أراضي الدول والأعضاء.
- حظر بيع العراق أسلحة ومعدات عسكرية.
- تعليق أي تعاون في المجال العسكري مع العراق.
- تعليق التعاون الفني والعلمي مع العراق.
- تعليق تطبيق نظام الدولة الاكثر رعاية مع العراق.

«تكرر المجموعة والدول الأعضاء اقتناعها الثابت بأنه يتعين حل أي خلاف بين الدول بالوسائل السلمية وهي مستعدة للمشاركة في أي جهد يهدف إلى تخفيف حدة التوتر في المنطقة.

«وهي على اتصال وثيق بالحكومات في بلدان عربية عدة

وتتابع باكبر قدر من الاهتمام المناقشات الجارية داخل جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي. وهي تتمنى أن تساهم مبادرات عربية في اعادة الشرعية الدولية وعودة الحكومة الشرعية الكويتية. ان المجموعة والدول الأعضاء مستعدة لتقديم الدعم الكامل إلى هذه المبادرات وإلى المساعي الرامية إلى تسوية الخلافات بين الدولتين المعنيتين عن طريق التفاوض.

«ان المجموعة والدول الأعضاء تتابع باهتمام وضع رعاياها المقيمين في العراق والكويت وهي تقيم تنسيقاً وثيقاً في ما بينها من أجل ضمان سلامتهم».

٦-٨-١٩٩٠

٦ ـ قالت وكالة الجمهورية الاسلامية للأنباء «ارنا» الايرانية ان الرئيس الايراني حجة الاسلام علي أكبر هاشمي رفسنجاني ونظيره التركي تورغوت أوزال أجريا اتصالاً هاتفياً تناول «الاجتياح العسكري العراقي للكويت». وأضافت أن الرئيس التركي أبدى «قلقه العميق من الهجوم العراقي» وان الرئيسين شدّدا على أهمية التعاون بين البلدين «لاعادة الهدوء إلى المنطقة».

٦-٨-١٩٩٠

٧ ـ صرح الناطق باسم الحكومة اليابانية مسيوجي ساكاموتو ان «اليابان قررت حظْر استيراد النفط من العراق والكويت وتعليق كل صادراتها إلى هذين البلدين وتجميد المساعدات الاقتصادية لبغداد». وقال ان «العقوبات اليابانية شملت أيضاً وقف أي صفقة مالية مع الكويت والعراق وتجميد الاستثمارات فيها وكذلك التوقف عن منحها القروض وتعليق التعاون الاقتصادي الياباني مع العراق».

يُذْكَر أن المتأخرات المترتبة على العراق لليابان قُدّرت بـ ٤,٦ مليارات دولار، وان اليابان اعلنت منذ أيام تجميد نحو ٢٠ مليار دولار من الأرصدة الكويتية في اليابان تجنباً لوقوعها في أيدي السلطات الجديدة التي نصّبتها بغداد في الكويت.

٦-٨-١٩٩٠

٨ ـ قدّر «بنك انكلترا» حجم الأرصدة النقدية العراقية في بريطانيا بنحو ١,٧ مليار دولار. ويقدّر خبراء ماليون الأرصدة الكويتية في بريطانيا بنحو ٢٨ مليار دولار.

وفي مدريد، يقدّر خبراء ماليون أيضاً أن مكتب الاستخبارات الكويتي وظّف في اسبانيا نحو ١٠ مليارات دولار.

٦-٨-١٩٩٠

٩ ـ في بكين أعلنت الصين حظْر بيع العراق السلاح اثر زيارة مفاجئة لمسؤول أميركي رفيع[1] طلب من بكين الانضمام إلى قرار الحظْر الذي اتخذته واشنطن وموسكو. واكدت وزارة الخارجية الصينية في بيان مقتضب أن الصين «صوّتت على القرار الرقم ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن والذي يدين اجتياح العراق للكويت ومن الطبيعي تالياً ألاّ تسلّم السلاح إلى العراق في مثل هذه الظروف».

١٩٩٠-٨-٦

١٠ ـ لم تلتئم أمس القمة المصغّرة التي كان مزمَعاً عقدها في جدة في حضور الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس حسني مبارك والملك حسين للجمع بين الرئيس صدام حسين وأمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح. واعتبر الملك حسين أن قرار جامعة الدول العربية الذي دان العراق أفسد الجهود لعقد هذه القمة و «جاء متعارضاً مع اتفاق بيني وبين الرئيس مبارك وآخرين أرسلوني إلى بغداد لترتيب القمة».

١٩٩٠-٨-٦

١١ ـ رأى رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير أن اسرائيل

(١) هو مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون شرق آسيا والمحيط الهادىء ريتشارد سولومون واستغرقت الزيارة ٢٤ ساعة.

قد تكون الهدف التالي للرئيس العراقي. وصرّح في مقابلة تلفزيونية رداً على سؤال عمّا إذا كان الهدف الاستراتيجي التالي لصدام هو مجابهة اسرائيل: «هذا الخطر قائم (...) فاسرائيل هي دائماً الورقة التي يلعبها رجال يرغبون في أن يصبحوا زعماء للعالم العربي بأي ثمن».

١٩٩٠-٨-٦

١٢ ـ الدينار الكويتي = الدينار العراقي؟!

بثت أمس (الاثنين ١٦ ـ ٨ ـ ١٩٩٠) إذاعة بغداد بياناً صادراً عن «الحكومة الموقتة» في الكويت أعلن أن الدينار الكويتي بات مساوياً للدينار العراقي. وهنا نص البيان:

«انطلاقاً من العلاقات القومية بين القطرين الشقيقين الكويت والعراق، وانطلاقاً من المبادىء القومية العليا التي تجمع بينهما، يمكن اعتبار الدينار الكويتي مساوياً للدينار العراقي.

العقيد علاء علي حسن
رئيس حكومة الكويت الحرة الموقتة»

ويُذكر أن سعر صرف الدينار الكويتي في نشرة أسعار العملات الأجنبية الصادرة عن إدارة بورصة بيروت يساوي ٢٢٨٩ ليرة لبنانية، في حين يساوي سعر صرف الدينار

العراقي ١٧٧ ليرة لبنانية.

٧-٨-١٩٩٠

١٣ - بينما كان الرئيس صدّام يؤكد للرئيس بوش حرصه على «الأمن السعودي» والعلاقات مع واشنطن، رأينا وزير الدفاع الأميركي ريتشارد تشيني في جدّة يبحث في إمكانات التدخل الأميركي. ورأينا كذلك رئيس دولة فلسطين ياسر عرفات يسعى إلى تسويق خطة عربية جديدة - قيل انها حظيت على تأييد الرئيسين العراقي والمصري - تقضي بانسحاب عراقي كامل من الكويت وإجراء انتخابات حرة في مقابل تعويضات مالية للعراق وحصوله على حق السيطرة على جزيرة بوبيان الاستراتيجية.

٧-٨-١٩٩٠

٩ - محنة الملك حسين

سئل الملك حسين ألا يعتبر الاجتياح العراقي للكويت عملاً عدائياً لا مبرر له، فأجاب: «كنت حزيناً جداً، نحن ضد استخدام القوة، لكن ذلك لم يكن أمراً أتى من فراغ. فمن الناحية التاريخية كانت هناك مشكلة بين البلدين منذ سنوات عدّة ماضية وعبر عدد من الأنظمة». وحذر من التدخل الخارجي، في إشارة إلى العقوبات التي فرضتها

المجموعة الاقتصادية الأوروبية والولايات المتحدة على العراق. وقال: «أعتقد أن أي محاولات من الخارج ستكون سابقة لأوانها فعلاً ويمكن أن تعقّد الأمور بدل المساعدة في حلها».

وفي مقابلة أخرى أكد الملك حسين أن الرئيس العراقي أبلغ إليه أنه لن يغزو السعودية. وقال لشبكة «سي. بي. اس» الأميركية للتلفزيون أنه «واثق من أن صدام حسين لن يدخل السعودية. لقد أبلغ إليّ ذلك. لقد مورست ضغوط في الأيام الأخيرة لا لحشد غالبية عالمية فحسب وإنما أيضاً للتأثير على المنطق العربي. والتأثير يهدف إلى تبرير احتمال القيام بعمل عسكري أو بأعمال أخرى (...) صدّقوني جميعاً، التخويف لن يفيد وسيكون له تأثير معاكس ويمكن أن نصبح في وضع أسوأ بكثير من الذي نواجهه في هذه اللحظة».

٦-٨-١٩٩٠

١٠ - اول ظهور

بثّ التلفزيون السعودي مساء نداء إلى مقاومة الاجتياح العراقي وجّهه أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في أول ظهور علني له منذ الاجتياح العراقي للكويت فجر الخميس الماضي. وبث النداء في وقت لاحق التلفزيون في

كل الدول الخليجية.

وقال الشيخ جابر انه مقتنع بأن «المعتدي العراقي لا يستطيع ضرب الوحدة الوطنية الكويتية». وأضاف: «يؤسفني أن يكون المعتدي جاراً ساندناه في الأوقات الصعبة (...) إن كل العرب والمسلمين يقفون إلى جانبنا إضافة إلى بقية العالم الذي لم يتردد في إدانة العدوان».

وأشاد الأمير بمواطنيه «للوقفة الشجاعة والتصدي الباسل» الذي واجهوا به القوات العراقية و«بالتصدّي الباسل للقوات المسلّحة الكويتية من جيش وحرس وطني وشرطة لمواجهة جحافل العدوان بقلوب ثابتة مؤمنة بالله وبكل ذرة من تراب الوطن (...) كويتُنا العزيزة تعرّضت لعدوان غاشم استهدف أرضنا وشعبنا بعدما اجتاحت هذا البلد الصغير الآمن والمسالم مئات الدبابات وانهال عليها عشرات الألوف من الجنود وعصفت بسمائه الصافية جموع الطائرات تنشر الرعب والدمار».

٦-٨-١٩٩٠

II - مجلس الأمن يعاقب

- فرض مجلس الأمن أمس (الاثنين ٦/٨/١٩٩٠) على العراق بعضاً من أشد العقوبات الاقتصادية في تاريخ الأمم

المتحدة وقرر مقاطعته تجارياً ومالياً وعسكرياً إلى أن ينهي احتلاله للكويت.

وعلقت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر على هذا القرر فقالت: ان «١٣ مؤيداً ولا صوت معارضاً (...) يُعتبر أمراً جيداً ويعني أن القرار له قوة القانون لكل دول العالم».

وأشادت تاتشر خصوصاً بالوحدة التي أبدتها الدول الأوروبية التي انضمت إليها اليابان والاتحاد السوفياتي في إدانة الغزو العراقي ـ للكويت. وأضافت: «لا أتذكر أنني رأيتُ العالم متحداً بقوة مثلما هو اليوم وآمل أن تُطبّق العقوبات بدقة وفاعلية».

وقال الأمين العام لحلف شمال الأطلسي مانفرد فيرنر: «انطباعي هو أن الوقت قد حان بالنسبة إلى الغرب لاظهار تلاحمه والتأكيد بوضوح أن موقف صدام حسين لا يمكن قبوله وضمان أمن العالم».

وقال وزير الخارجية السويسري كلاوس جاكوبي: ان «العراق مذنب في هذا الانتهاك الصريح إلى درجة أننا لا نستطيع أن نقف صامتين (...) أحياناً يجب أن نذبح الأبقار المقدّسة».

هـذا، وأعلنت بلجيكا واللوكسمبـور توسيـع قرار تجميـد الأصول الكويتية الذي قرّرناه الجمعة الماضي ليشمل الأصول العراقية أيضاً.

وأعلنت الحكومة الهولندية حظْر استيراد النفط من العراق والكويت.

٧ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

١٢ ـ بين المزح والجد

ـ كشفت صحيفة «الواشنطن بوست» عن أمر صادر عن الرئيس بوش بزعزعة الحكومة العراقية من أجل إطاحة صدام. وقالت الصحيفة ان بوش أصدر هذه الأوامر عقب محادثات أجراها مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية «C.I.A» وليم ويستر الذي يرى أن الرئيس العراقي يريد أن يجعل من بلده «دولة عربية عظمى».

٧ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ قال الناطق باسم وزارة الخارجية السوفياتية يوري غريمتسكيخ: «ان النزاع العراقي ـ الكويتي لا يهدد الولايات المتحدة فحسب، بلْ يهدّد أمن الكثير من الدول وأمن العالم عموماً. لذلك فإن تسوية النزاعات الاقليمية وإمكان ظهور نزاعات أخرى وتزايد المواجهة العسكرية في مناطق متفجرة

في الوقت الذي تشهد العلاقات بين الشرق والغرب تحسّناً تتطلب تعاوناً في المستقبل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على أساس قواعد القانون الدولي». وأكد أن «التعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في المجال الاقليمي عنصر مهم في تحسين الاستقرار في العالم».

٧ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ بسبب «الخطر الداهم» أمر الرئيس بوش بنشر قوات أميركية في الأراضي السعودية «جزءاً من قوة متعدّدة الجنسية».

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ نسبت وكالة «الاسوشيتد برس» إلى مسؤول سعودي رفيع طلب عدم كشف هويته أن الملك فهد وزعماء خليجيين آخرين مستاؤون من تجنب ياسر عرفات اتخاذ موقف علني واضح مؤيد للكويت قائلاً: «نعتقد أن عرفات يمكنه أن يقوم بعمل أفضل لنفسه.إذا تركَنا وكرّس جهوده لحل المشكلة الفلسطينية» ورفض المسؤول السعودي التعليق على التقارير الغربية التي تحدثت عن «مساعدة نشيطة» يقدّمها الزعيم الفلسطيني إلى العراقيين في عملية اجتياحهم للكويت.

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ أوردت وكالة «أنباء الشرق الأوسط» المصرية الرسمية أن

المشروع الفلسطيني ـ الليبي تضمن ست نقاط هي: ١) قبول الكويت مبدأ دفع التعويضات إلى العراق. ٢) موافقة العراق على تخطيط الحدود المشتركة بين البلدين. ٣) موافقة على تأجير العراق جزيرة وربة وبوبيان. ٤) موافقة العراق على استئجار الجزيرتين. ٥) قبول الجانبين باحلال قوات ليبية وفلسطينية مشتركة محل القوات العراقية. ٦) يبدأ الجانبان الكويتي والعراقي مفاوضات لتوقيع اتفاق في أقرب وقت لحل الخلافات بينهما.

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ قال العقيد معمر القذافي:

«إننا نواجه فعلاً قوة امبريالية ونواجه مطامع صهيونية تستهدف بيوتنا وديارنا ونواجه نكراناً لوجودنا. إن الخليج للعرب ولا دخل لأحد فيه (...) ان أمريكا تحاول النيل من الأمة العربية ومن تقدمها وتستعد للتدخل في الشؤون العربية. إن الأمة العربية لم تتدخل في شؤون الأميركان وغيرهم من الانكليز والفرنسيين والطليان عندما احتلوا غرينادا وغزوا بناما».

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ استنكرت جماعة «الاخوان المسلمون» في الاردن التي تسيطر على ربع مقاعد المجلس الوطني في الاردن ما سمّته

«مواقف الصليبية الأميركية التي تسعى إلى التدخل في منطقة الخليج العربي». وقالت ان «أي نظام يقبل بالحماية الأجنبية يضيّع نفسه».

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ قال الرئيس الايراني أمام مؤتمر للمسؤولين التربويين في طهران:

«منذ أيام يتقاتل مشاغبون وفي هذه الأيام العصيبة يقف العالم شاهداً على موقف ايران العقلاني حيال هذه الأحداث (...) الذين اعتادوا أن يتّهمونا يتحدّثون الآن عن براءة الجمهورية الاسلامية» طوال النزاع الذي استمر ثماني سنوات مع العراقيين في الخليج.

٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ قال وزير الخارجية الايراني الدكتور علي أكبر ولايتي:

«لا يمكن أن نقبل أي تغيير في الحدود الكويتية سواء في البر أو البحر».

١٣ ـ الخطاب المأزوم

دافع الرئيس العراقي عن الاجتياح العراقي للكويت في «خطاب إلى الأمة» تلاه مذيع في التلفزيون العراقي اعتبر فيه

أن العمل العسكري العراقي في الكويت «يضع حداً لتقسيم استعماري وضع الثروة مع الأقلية وترك الغالبية من دون ثروة». ورأى أن «الثاني من آب (تاريخ الاجتياح العراقي للكويت) هو الوليد الشرعي للثامن من آب ١٩٨٨ تاريخ الانتصار النهائي» على ايران و«هو أيضاً الوليد الشرعي لكفاح سكان الكويت وصبرهم ومعاناتهم والذين أُحيّيهم على قيامهم بأحد الواجبات القومية الأكثر إشراقاً».

وأضاف الرئيس صدام: «ان الثاني من آب جاء رداً عنيفاً للغاية على الضرر الذي أراد الأجانب الحاقه بالعراق وشعبه (...) إن قارون الكويت (الأمير الشيخ جابر) وأعوانه أصبحوا تابعين خونة مطيعين أذلّاء للأجنبي. إن ما حدث في الثاني من آب كان محتّماً كي لا يسُود الموت على الحياة وكي لا يدفع أولئك الجديرون بارتقاء القمة إلى هوّة بلا قرار وكي لا ينتشر الفساد والبُعد عن الله ليصل إلى الغالبية نتيجة للفقر والحاجة بعدما نأت الأقليةُ الفاسدة بنفسها عن القيم وعن الله وكتبه ورسله».

٨-٨-١٩٩٠

١٤ - «جمهورية» في الكويت!

- بثّت إذاعة بغداد بياناً لـ«حكومة الكويت الحرّة الموقّتة»

أعلن قيام جمهورية في الكويت. وجاء في البيان ان «الانتفاضة التي قامت على النظام الفاسد العميل لم يكن هدفها إجراء إصلاح محدود بل إجراء تغيير جوهري على طريق الأهداف الوطنية والقومية الشاملة». وأضاف: انه «استناداً إلى أهداف الانتفاضة ومبادئها التحررية قرّرت الحكومة إلغاء الامارة في الكويت وإعلان الجمهورية. بهذا يُقْبر إلى الأبد النظام الفاسد العميل الذي نصبه الاستعمار ويبزغ الفجر الوطني والقومي الساطع».

٨-٨-١٩٩٠

١٥ - النزاع الى مرحلة جديدة

١ - خطاب بوش «إلى الأمة»

أعلن الرئيس جورج بوش في «خطاب إلى الأمة» نقلته شبكات التلفزيون الأميركية من المكتب البيضوي في البيت الأبيض إرسال قوات أميركية إلى السعودية للدفاع عنها أمام التهديد العراقي. وخاطب الأميركيين قائلاً:

«اليوم، بصفة كوني رئيسكم، أطلب منكم الدعم والوقوف إلى جانب ما هو حق وإدانة ما هو خطأ، وكل ذلك من أجل قضية السلام. لقد اتخذتُ هذا الموقف لمساعدة

المملكة العربية السعودية في الدفاع عن وطنها. قبل أقل من أسبوع وفي ساعات الصباح الأولى اجتاحت القوات المسلّحة العراقية من دون استفزاز أو إنذار، الكويت المسالمة. اجتاحت الدبابات العراقية على طريقة بليتزكريغ (الطريقة الألمانية في الحرب العالمية الثانية) الكويت في غضون ساعات. والآن يحتلُّ العراق الكويت بالدبابات والمدافع وصواريخ أرض ـ أرض».

أضاف: «إن فرض نظام دمية من الخارج غير مقبول. والاستيلاء على الأراضي بالقوة غير مقبول. ولا يساور الشكُّ أحداً، صديقاً كان أم عدواً، في رغبتنا في السلام، ويجب ألّا يسيء أحد تقدير تصميمنا على التصدّي للاعتداء (. . .) إن أميركا لا تسعى إلى نزاع أو إلى تقرير مصائر دول أخرى، لكن أميركا ستقف إلى جانب أصدقائها. إذا كان هناك درس يجب استخلاصه من التاريخ فهو أننا يجب أن نقاوم الأعداء وإلّا فانه سيقضي على حريتنا (. . .) إنها ليست مشكلة أميركية أو أوروبية أو شرق أوسطية. إنها مشكلة عالمية».

وأشار إلى أن «هذا الاعتداء جاء بعد بضع ساعات من إعطاء صدام حسين ضمانات لدول عدة في المنطقة بعدم حدوث اجتياح. رأينا مرتين ماذا عنَت وعوده. إن وعوده لا تعني شيئاً، والتهدئة لم تفد في شيء».

وأعلن بوش أن «المملكة العربية السعودية ضعيفة أمام الاعتداء العراقي، وأميركا تقف إلى جانب أصدقائها وسأكون واضحاً. إن سيادة السعودية واستقلالها يشكلان مصلحة حيوية للولايات المتحدة. لذا قررتُ إرسال قوات أميركية لتتخذ مواقع دفاعية بناء على طلب الرياض. إن قواتنا لن تقوم بعمليات عدائية، لكنها ستدافع عن نفسها وعن المملكة العربية السعودية وعن أصدقائنا في الخليج. وستعمل قواتنا مع القوات السعودية وقوات دول أخرى على حماية المملكة العربية السعودية وردع العراق عن أي اعتداءات أخرى. إن مهمتنا دفاعية فحسب ونأمل ألّا تكون ثمة حاجة إلى استخدامها، ولكن يمكن أن تستغرق وقتاً ومن المحتمل أن تكون الكلفة باهظة».

وأوضح بوش أن قراره إرسال قوات أميركية إلى السعودية استند إلى مبادىء أربعة هي «الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت وإعادة الحكومة الشرعية في الكويت والأمن والاستقرار في الخليج والاصرار على حماية أرواح الأميركيين». ووجه نداء إلى الدول الأخرى المنتجة للنفط لبذل «كل ما في وسعها» لزيادة الانتاج النفطي للحدّ من تأثير الحظْر الدولي على شراء النفط العراقي والكويتي، لكنه تعهّد باتخاذ خطوات لتعويض النفط الذي

تنتجه الدولتان الخليجيتان (الكويت والعراق). ودعا شركات النفط الأميركية إلى «توخي النزاهة وعدم استغلال المناخ المهم الحالي لرفع الأسعار».

١٩٩٠-٨-٩

٢ ـ المصيدة

وفي وقت لاحق أكد الرئيس بوش في مؤتمر صحافي أن القوات الأميركية «في وضع دفاعي الآن ومهمتها ليست إخراج العراقيين من الكويت» مشيراً إلى أن فترة بقاء هذه القوات في السعودية أمرٌ غير مؤكد. وحذّر الرئيس العراقي من استخدام أسلحة كيميائية قائلاً: «على صدام حسين أن يدرك أن اللجوء إلى مثل هذه الأسلحة لا يمكن السكوت عنه وسيتم الرد عليه بطريقة قاسية للغاية».

وأعرب عن اقتناعه بأن دولاً أخرى ستنضم إلى الولايات المتحدة في الدفاع عن السعودية، لكنه ترك للرياض ولتلك الدول مهمة إعلان ذلك.

اذ ذاك أعلن وزير الخارجية البريطانية دوغلاس هيرد، إثر اجتماع غير عادي للحكومة البريطانية، ان الحكومة البريطانية قررت إرسال قوات عسكرية بريطانية إلى السعودية تنضم إلى «القوة المتعددة الجنسية» بناء على طلب العاهل السعودي.

وأوضح أن الطلب جاء إثر مكالمة هاتفية بين رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر والملك فهد. وقال: «من السابق لأوانه إعلان أي قوات سترسل تحديداً، لكنها ستكون قوات بحرية أساساً (...) النقطة الأساسية هي أن الرئيس صدّام حسين يعرف الآن أن هجومه على المملكة العربية السعودية لن يكون هجوماً على السعودية وحدها». وشدّد على أن «القوة المتعدّدة» هي دفاعية فحسب. و«ليست مرسَلة لاستعادة الكويت. إن هذا الاجراء يدخل في إطار الخط الذي اتخذته الولايات المتحدة (...)».

وصرّح وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما أن الغزو العراقي للكويت الذي اعقبه «اعلان اندماجي» «حدثٌ لا يمكن قياس مداه»، ذلك أنها «المرة الأولى منذ زمن طويل جداً تهاجم دولة عربية دولة عربية أخرى».

وقال دوما: «أكيد أنه جرت في الماضي عمليات قطيعة وخلافات. لكن حدثاً بهذه الأهمية هو الأول من نوعه. إن صدام حسين هو الذي شن الحرب بحجة تسوية خلاف مع جارته الكويت. إنه عامل أساسي للوضع في الخليج وعنصر يجب أخذه في الاعتبار». وأوضح أن «السعودية التمست عندئذ مساعدة الولايات المتحدة للدفاع عن سيادتها». وفرنسا لم تتلق أي طلب حتى الآن.

رغم كل ما تقدم، أعلن العراق في بيان لمجلس قيادة الثورة العراقية، وهو أعلى هيئة سياسية في البلاد، «وحدة إندماجية لا عودة عنها» مع الكويت، في ما اعتبره المراقبون عملية ضمّ رداً على التدخل الأميركي والحصار الاقتصادي.

وجاء في البيان العراقي ان «الوحدة الاندماجية شاملة وأبدية» وتعهّد «منازلة كل المتآمرين وقوتهم الغاشمة (...) ان الشعب العراقي قادر على المواجهة إلى النهاية المظفّرة». وتوجّه البيان إلى دول الخليج من غير أن يسميها، وقال: «ان المتورّطين في المؤامرة على العراق سيدفعون ثمناً غالياً (...) نقول لكل من يحاول تجميع صفوف الشرّ بأن الكثرة من العناوين المصطنعة ضدنا لن تحجب عنا المحركين (للمؤامرة) وزبانية جهنم. ما دام الأمر في بدايته فليكفوا عن غيّهم لأن الاستمرار في خطة الغدر والاعداد للعدوان المباشر ستجعلنا نرصد في دقة دور كل شرير في هذه المؤامرة (...) نقول للأجنبي ان المتورطين سيدفعون الثمن غالياً والعدوان العسكري والحصار الاقتصادي سيفشلان».

وجاء البيان العراقي هذا بعد بضع دقائق على بث وكالة الانباء العراقية واذاعة بغداد ان «حكومة الكويت الحرة الموقتة» طلبت من العراق تحقيق «وحدة اندماجية» بين البلدين. وقال بيان وقعه رئيس «الحكومة الموقتة» العقيد علاء

حسين علي: «اليوم وبعدما قمنا بالواجب وأدّينا الأمانة، فإننا نضع انفسنا في تصرّف الرئيس صدام حسين لخدمة المسيرة الجديدة. حقيقة التاريخ هي أن الكويت جزء من العراق (...) عندما قامت الانتفاضة لم يكن هدفنا منها ازالة نظام وإن كان فاسداً وعميلاً وإقامة نظام وطني حر فحسب، وإنما الهدف كان منذ البداية هدفاً كبيراً وتاريخياً، نصحّح من خلاله ما فرضه الاستعمار على بلادنا في صورة جذرية وشاملة وإلى الأبد». وأضاف: «إن حكومة الكويت الحرة الموقتة قرّرت أن تناشد الأهل في العراق. قررت أن تناشدهم وفي مقدمهم فارس العرب وقائد مسيرتهم البطل الرئيس صدام حسين، أن يوافقوا على عودة الأبناء إلى عائلاتهم الكبيرة، عودة الكويت إلى العراق العظيم الوطن الأم وتحقيق الوحدة الاندماجية الكاملة بين الكويت والعراق (...) ليكن البطل صدام حسين قائدنا وحادي خطانا جميعاً رئيساً لجمهورية العراق».

٩-٨-١٩٩٠

ومع اتساع إطار المشاركة في القوة المتعددة الجنسية التي أرسلت واشنطن طلائعها إلى السعودية، تلاشت الآمال في إمكان إجلاء الرعايا الأجانب من العراق والكويت، ذلك أن بغداد أعلنت إغلاق الحدود أمامهم باستثناء الديبلوماسيين

منهم، وقرارها نقل السفارات من الكويت إلى العاصمة العراقية. وانطلقت في العالم العربي تظاهرات تأييد وحركات دعم للعراق بعد التدخل الأميركي شملت تونس والجزائر وصنعاء وعمان ورافقها تأكيد اسرائيلي لـ «قدرة» الدولة العبرية على مواجهة مخاطر أي مواجهة مع العراق.

١٠-٨-١٩٩٠

٣ ـ أقسى القرارات

في خطوة ثالثة في أقل من ثمانية أيام، تبنى مجلس الأمن أمس باجماع نادر قراراً بالرقم ٦٦٢ أكد فيه أن «ضم العراق الكويت أياً كان شكله أو حجّته ليس له أي سند قانوني ويُعتبر لاغياً وكأنه لم يكن».

ودعا القرار الذي صوّت عليه أعضاء المجلس الـ ١٥ من غير أن يعترض عليه أحد ويمتنع عن التصويت «كل الدول والمنظمات الدولية والمؤسسات المتخصصة إلى عدم الاعتراف بهذا الضم والامتناع عن أي إجراء أو اتصال يمكن تفسيره على أنه اعتراف غير مباشر بالضم».

وأعرب الأعضاء عن تصميمهم على وضع حد لاحتلال الكويت وإعادة سيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها، وطلبوا مجدّداً من العراق سحب جميع قواته فوراً ومن دون شروط وإعادتها إلى المواقع الذي كانت فيها في الأول من آب

الجاري. كذلك طالب المجلس العراق بوقف أعماله الهادفة إلى ضم الكويت وقرر إبقاء المسألة على جدول أعماله ومواصلة جهوده لوضع حد سريع لاحتلال هذا البلد.

ولاحظت الأوساط الديبلوماسية أنه على الرغم من أن القرارات الثلاثة المتعاقبة تشكل أقسى مجموعة من القرارات اتخذت في حق دولة عضو في تاريخ الأمم المتحدة، فإن المجلس لم يستنفد بعد الاجراءات التي تنصّ عليها المادة ٤١ من ميثاق المنظمة الدولية والتي تتضمن قطع العلاقات الديبلوماسية.

ومع القرار الرقم ٦٦٢ تَكون المرة الأولى في تاريخ الأمم المتحدة يعلن مجلس الأمن إقدام دولة على ضم دولة أخرى عضو في المنظمة لاغياً وكأنه لم يكن.

١٠-٨-١٩٩٠

٤ ـ خطاب العاهل السعودي

خاطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أبناء مملكته، فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

«أيها الاخوة المواطنون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

«لا شك أنكم تدركون من خلال متابعتكم لمجريات الأحداث المؤسفة الطارئة على صعيد منطقة الخليج العربي، خلال الأيام القلائل الماضية، مدى خطورة الموقف الذي تواجهه الأمة العربية في ظل الظروف الراهنة.

«ولا شك تعلمون أن حكومة المملكة العربية السعودية قد بذلت كل ما تستطيعه من الجهود والمحاولات مع كل من الحكومتين في الجمهورية العراقية ودولة الكويت من أجل تطويق الخلاف الناشيء بين البلدين.

«وقد أجريت في هذا الاتجاه العديد من الاتصالات الهاتفية والمحادثات الأخوية بين الأشقاء، ونتج عن ذلك انعقاد الاجتماع الثنائي بين وفدي العراق والكويت على أرض المملكة في محاولات متواصلة لرأب الصدع وتقريب وجهات النظر والحيلولة دون تصعيد الأمور.

«وقد أسهم بعض الأشقاء من ملوك الدول العربية ورؤسائها في هذا السبيل بجهود كبيرة ومشكورة انطلاقاً من ايمان الجميع بوحدة الأمة العربية وتعزيز تضامنها وتجاوبها على كل ما يحقق لها النتائج في خدمة قضاياها المصيرية، غير أن الأمور قد سارت مع شديد الأسف عكس الاتجاه الذي كنا

نسعى إليه بل عكس تطلعات شعوب الأمة الاسلامية والأمة العربية وجميع دول العالم المحبة للسلام.

«وان المملكة العربية السعودية إذ تعرب عن عميق استيائها للعدوان الذي تعرّضت له دولة الكويت الجارة الشقيقة، فانها تعلن رفضها القاطع لكل ما أعقب هذا الاعتداء من إجراءات وإعلانات لوضع رفضته جميع البيانات الصادرة عن القيادات العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي والجامعة العربية ومجلس التعاون لدول الخليج العربية. كما رفضته جميع الهيئات والتنظيمات العربية والدولية.

«وتؤكد المملكة العربية السعودية مطالبتها بعودة الأوضاع في دولة الكويت الشقيقة إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح العراقي وعودة الأسرة الحاكمة بقيادة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت وحكومته.

«آمل أن تسفر القمة العربية الطارئة التي دعا إليها فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الشقيقة عن النتائج التي تحقق آمال الأمة العربية وتعزز مسيرتها نحو التضامن ووحدة الكلمة.

«أيها الأخوة،

لقد أعقب ذلك الحدث المؤسف إقدام العراق على حشد

قوات كبيرة على حدود المملكة العربية السعودية. وأمام هذا الواقع وانطلاقاً من حرص المملكة على سلامة أراضيها وحماية مقوماتها الحيوية والاقتصادية ورغبة منها في تعزيز قدراتها الدفاعية ورفع مستوى التدريب لقوّاتها المسلّحة وانطلاقاً من حرص حكومة المملكة على الجنوح إلى السلم وعدم اللجوء إلى القوة في حلّ الخلافات، أعربت المملكة العربية السعودية عن رغبتها في اشتراك قوات عربية شقيقة وأخرى صديقة حيث بادرت حكومة الولايات المتحدة الأميركية كما بادرت الحكومة البريطانية ودول أخرى بحكم علاقات الصداقة التي تربط بين المملكة العربية السعودية وهذه الدول بإرسال قوات جوية وبرية لمساعدة القوات المسلّحة السعودية في أداء واجبها الدفاعي عن الوطن والمواطنين ضد أي اعتداء مع التأكيد التام أن هذه الاجراءات ليست موجهة ضد أحد وإنما هي لأغراض دفاعية محضة تفرضها الظروف الراهنة التي تواجهها المملكة العربية السعودية. وتجدر الاشارة هنا إلى أن القوات التي ستشارك في التدريبات المشتركة بينها وبين القوات المسلحة السعودية سيكون وجودها موقتاً على أراضي المملكة وستغادرها فور ما ترغب المملكة في ذلك.

«نسأل الله أن يسدّد خطانا إلى كل ما فيه خيرُ ديننا وسلامة أوطاننا ويأخذ بأيدينا إلى سواء السبيل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

١٠ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

٥ ـ انضمام فرنسا

قال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران في مؤتمر صحافي استهلّه بعرض لأعمال المجلس المصغر الذي اجتمع في قصر الاليزيه للبحث في الموقف في الخليج:

«ان فرنسا تربطها منذ زمن طويل علاقات ودية بالعراق. والكل يعلم أنها ساعدته خلال حربه ضد ايران الأمر الذي يسمح لها أن تقول صراحة انها لا تقبل العدوان على الكويت ولا الضم الذي أعقبه. وقد قررت أيضاً ضم جهودها إلى جهود الدول التي تعمل على إقرار القانون الدولي الذي انتهكه العراق. ولذلك وافقت على قرارات مجلس الأمن وقرارات المجموعة الاقتصادية الأوروبية وكانت صاحبة المبادرة بالنسبة إلى بعضها. ولهذا تنفذ فرنسا ما يتوجب عليها من الحظْر ومن العقوبات الاقتصادية التي تقررت أيضاً. ولهذا أيضاً توجد بحْريتُها في منطقة الخليج تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة».

أضاف: «إلا أن التهديد يمتد الآن إلى دول أخرى في المنطقة. وفي هذا الوضع أعربت فرنسا ولا تزال عن الأمل في أن تحل المشكلة المطروحة داخل المجموعة العربية وإذا تبيّن

استحالة ذلك فإن فرنسا ستضطلع بمسؤولياتها:

«أولاً: بالاستجابة للطلبات التي قدّمتها إليها المملكة العربية السعودية ودول أخرى في شبه الجزيرة العربية والتي تتعلق مثلاً بتزويدها المعدات وإرسال فنيين.

«ثانياً: بتعزيز وسائلها البحرية والجوية في المنطقة منذ الآن بحيث تكون قادرة على التدخل في أي وقت حيثما تعتبر ذلك ضرورياً بقرار من رئيس الجمهورية».

١٠ - ٨ - ١٩٩٠

٦ - قال العرب...

قررت أمس (الجمعة ١٠ - ٨ - ١٩٩٠) القمة العربية الطارئة التي انعقدت في القاهرة بغالبية ١٢ صوتاً «الاستجابة» لطلب السعودية ودول الخليج العربية الأخرى، و«نقل قوات عربية لمساندة القوات المسلّحة» في هذه الدول «دفاعاً عن أراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أي عدوان خارجي». واعتبرت واشنطن في أول رد فعل لها أن «القرار العربي اسقط حجة الرئيس العراقي صدّام حسين»!

وأفادت مصادر رسمية مصرية أن القرار حظي بتأييد مصر والسعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عمان والبحرين وسوريا والمغرب والصومال ولبنان

وجيبوتي. وامتنعت الجزائر واليمن عن التصويت، فيما تحفّظ الاردن والسودان وموريتانيا. وصوّت العراق وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد القرار.

ويُعتبر قرار القمة ملزماً للدول التي أيدته وليس ملزماً للدول التي عارضته.

١١ - ٨ - ١٩٩٠

٧ - الرشق بالصحون

عُلم من أحد الوفود المشاركة في القمة أن أعضاء الوفد العراقي رشقوا أعضاء الوفد الكويتي بصحون أثناء الغداء الذي دعت إليه مصر وضم جميع الوفود. فقد ارتفعت اللهجة خصوصاً بين الجانبين فما كان من العراقيين إلا أن رشقوا الكويتيين بالصحون. وأصيب نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح بوعكة صحية صحبها إغماء في اجتماع لوزراء الخارجية العرب عقب مناقشات حادة مع أعضاء الوفد العراقي، فرُفعت الجلسة موقتاً إلى أن تم علاج الشيخ صباح وعاود الوزراء اجتماعهم في حضوره.

قال وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل انه «ما كان يجب أن يلجأ العراق إلى هذا الأسلوب لحل مشاكله مع الكويت أياً كانت الأسباب» فردّ عليه وزير الخارجية العراقي

طارق عزيز: «ان الوضع الاقتصادي للعراق وصل إلى حال سيئة جداً ولم يكن أمامه إلا اللجوء إلى هذا الأسلوب، وأنه وصل إلى مرحلة لم يعد يثق فيها بوعود دول الخليج بأنها ستساعده في الخروج من أزمته». وأكد سعود الفيصل أن «دول الخليج كانت مستعدة للاستجابة لطلب العراق لكنه أضاع هذه الفرصة عندما طلب أن تكون اجتماعات جدة مقتصرة على الجانبين الكويتي والعراقي».

١١-٨-١٩٩٠

١٦ - الخليج بين بوش وصدام

اعتبر الرئيس جورج بوش أن «لا اعتداء وشيكاً» في منطقة الخليج، وأن نشر القوات الأميركية في السعودية «سيسهّل حلاً سلمياً للأزمة»، فيما سعت واشنطن إلى إقناع حلفائها بفرض حصار على العراق بعدما ضمنت تأييداً لتحركها من حلف شمال الأطلسي. وأكدت فرنسا «استقلالية تحركها» (؟)، وانضمت كندا واوستراليا والمانيا الغربية إلى «القوة المتعددة الجنسية» التي تتجمع في الخليج، ليصبح الخليج كله مثابة ساحة للمعركة بين الرئيسين بوش وصدام.

١١-٨-١٩٩٠

- نداء صدّام

وجه الرئيس صدّام حسين نداء إلى العرب والمسلمين في

كل أنحاء العالم، قال:

«أيها العرب، أيها المسلمون، أيها المؤمنون بالله حيثما كنتم، هذا يومكم لتهبّوا وتنْفروا خفافاً لتدافعوا عن مكّة الأسيرة بحراب الأميركان والصهاينة. هذا يومكم (...) لتدافعوا عن الرسول محمد بن عبد الله الذي حمل الرسالة الكريمة في هذه الأرض المقدّسة. ثوروا على الظلم والفساد والخيانة والغدر (...) احرقوا الأرض تحت أقدام المعتدين الغزاة الذين يريدون بأهلكم في العراق شراً ليعمّ شرُّهم الوطن العربي من بعد ذلك وليسكت إلى حين صوت الحق (...) اضربوا مصالحهم حيثما كانت، وانقذوا مكة المكرّمة وانقذوا منبر الرسول محمد (...)».

ودعا المصريين إلى «منع الأجنبي وأساطيله من أنْ يمر في سماء مصر وقناة السويس (...) يا أبناء مضيق هرمز، امنعوا على أساطيلهم المرور (...) أيها العرب في كل مكان، لقد صمّم إخوانكم في العراق على الجهاد من غير تردد أو تراجع ومن غير مهابة، تجاه قوى الأجنبي (...) أيها الأخوة قاوموا الغزاة ونددوا بهم وافضحوا المتعاونين والمتواطئين والخائرين والمتخاذلين وناصروا العراق».

وأكد صدام أن «القوات الأميركية انفتحت لها أبواب السعودية تحت ادعاء كاذب وباطل أن جيش العراق سيواصل

مسيرته الجهادية في اتجاههم، ولم ينفع النفي والتوضيح، مما يعني أن التدبير مقصود لغايات عدوانية على العراق». واعتبر أن اجتياح الكويت كان «تصحيحاً جذرياً لوضع غير طبيعي» حيث «راعى الاستعمار مصالحه في البترول وتأمين المواقع الجغرافية على البحار والمحيطات عندما أنشأ تلك الدويلات العربية (...) أصبحت الثروة الجديدة في يد القلة تُستثمر لمصلحة الأجنبي (...) فيما كان يقود الأمة رجال وضعوا الأموال في خدمة الناس وليس في خدمة الملذات».

- تعليق بوش: صدام مجنون

وفي وقت لاحق علّق بوش، وهو في الطائرة الرئاسية التي نقلته إلى منتجع كينيبونكبوت في ولاية ماين (لممارسة رياضة الغولف وصيد السمك)، على نداء صدام بقوله ان «الدعوة إلى الجهاد» التي أطلقها الرئيس العراقي «لن تجدي». إنها دعوى غير مفاجئة. إنّ (صدام) حسين معزول تماماً عن العالم ومحاصَر من الرأي العام العالمي الذي يعارضه مئة في المئة إلى حدّ أنه يتعينّ عليه إيجاد وسيلة للحصول على تأييد. لكني أكرر أن هذا لا يجدي. إن دعوته خطوة جنونية، لكنها ليست فعّالة».

١١-٨-١٩٩٠

- تظاهرة كويتية في دمشق

نظّم نحو ألف كويتي موجودين في العاصمة السورية

تظاهرة احتجاج على غزو الكويت وضمّه إلى العراق، وشارك في التظاهرة ممثلون لمنظمات شعبية ومهنية سورية وبعض أحزاب المعارضة العراقية والفصائل الفلسطينية في دمشق. وتقدّم التظاهرة السفير الكويتي في دمشق أحمد عبد العزيز الجاسم.

١١-٨-١٩٩٠

- فتوى نادرة

في خطوة نادرة من نوعها، أصدر مساعد مفتي جيش التحرير الفلسطيني في الاردن العقيد نادر التميمي عن «دائرة الافتاء» في منظمة التحرير الفلسطينية، فتوى اعتبر فيها «مرتداً عن دين الاسلام» كل من يقف إلى جانب الولايات المتحدة في مواجهتها العراق.

١١-٨-١٩٩٠

- وزعت السفارة العراقية في باريس رسالة من الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بلّة يدعو فيها العرب إلى الاتحاد ورفض وجود «الجيوش والأساطيل الامبريالية (...) (مؤكداً) أن الأمة العربية لن تنحني وأن العراق لن ينحني أمام أميركا واسرائيل».

١١-٨-١٩٩٠

- في تونس دانت الحركة الاسلامية التونسية - «النهضة»

التدخل الأميركي في السعودية وهاجمت في شدّة «الأطراف العرب المشتركين في المؤامرة (...) ندعو الشعوب العربية والاسلامية إلى التعبئة والجهاد ضد كل أنواع الغزو والصهيونية».

١١-٨-١٩٩٠

- حرق بضع مئات من الاردنيين العلمينْ الأميركي والبريطاني في تظاهرة للأصوليين تلت صلاة الجمعة في مدينة معان التي تبعد مسافة ٢١٦ كيلومتراً جنوب عمان. وسار المتظاهرون رافعين صور الملك حسين والرئيس صدّام حسين وردّدوا هتافات «معادية للامبريالية» وضد «الأنظمة العربية الخائنة».

١١-٨-١٩٩٠

- من كلمة أمير الكويت الشيخ جابر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة:

«أغتنم هذه المناسبة لأخاطب أهلي وعشيرتي أبناء الكويت الأوفياء، أخاطبهم من على هذا المنبر العريق، منبر الحق والعدل، منبر الاشعاع والأمل، مؤكداً لهم أن الله سبحانه وتعالى ناصرنا بفضل سواعدهم وعزيمتهم وبفضل منظمة الأمم المتحدة ومناصرة الأشقاء والأصدقاء وجميع الخيرين والشرفاء في العالم. وان خروج الغزاة آتٍ لا ريب فيه باذن

الله العلي القدير، وسنعود إلى كويتنا كما عهدناها دار أمن وأمان وواحة أصيلة وارفة الظلال يستظل تحتها كل الطيبين والشرفاء من الكويتيين وإخوانهم المقيمين يعملون يداً واحدة من أجل الخير والبناء».

وقال:

«إن الكويت من جانبها قرّرت إلغاء كافة الفوائد على قروضها كما ستبحث أصول القروض مع الدول الأشد فقراً، وذلك من أجل تخفيف أعباء الديون التي تقع على كاهل تلك الدول.

وأكد الأمير جابر أن «مساهمة الكويت في مساعدة دول أخرى على التنمية تمثّل أعلى معدّل في العالم مقارنة باجمالي الناتج القومي، أي ٨,٣ في المائة من اجمالي ناتجها القومي».

أضاف «ما جرى بين العراق والكويت لم يكن نزاعاً بين دولتين على جزء من الأرض بل كان خطة مبيّتة للاحتلال السافر والسطو المسلّح على دولة بأكملها... ومن دولة كنا نرتبط معها بمواثيق دولية ضمن إطار جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي والأمم المتحدة وسائر المنظمات العالمية».

وأضاف يقول: «لقد اختلق النظام العراقي حججاً واهية ومزاعم زائفة وملفّقة عن بلدي الآمن والمسالم وكان جوابنا

على ذلك، ورغم إيماننا ببطلان تلك المزاعم، هو اقتراح سلطة تحكيم عربية محايدة نأتمن إليها أمرنا، ونعرض عليها خلافاتنا لكن العراق سارع إلى رفض ذلك وكان آخر مسعانا في طريق السلام هو المباحثات الثنائية في جدة (التي شارك فيها عن الجانب العراقي موفد الرئيس صدام: عزت ابراهيم) وأعْربنا خلالها عن حرص الكويت على تسوية مشاكلها مع العراق ضمن الاطار العربي، غير أن النيّة العراقية كانت تتجاوز الأشكال القانونية والجوانب الشرعية لتصل إلى اجتياح، واستباحة سيادتها ودماء أبنائها وأموالها، وهتْك الأعراض، وإشاعة الدمار والارهاب، والتنكيل بأبناء أرضها، وتشريد مئات الآلاف منهم ومن مواطني الدول الأخرى، الضيوف علينا، والذين سلبهم مدّخراتهم وأزهق أرواح المئات منهم وارتهن بعضهم، ولا تزال حتى هذه الساعة حملةُ الإرهاب والتعذيب والإذلال مستمرة على تلك الأرض الطيبة، حتى تحملنا كل يوم أنباءُ المذابح واستمرار السطو الشامل على مقوّمات الدولة والأفراد».

وخاطب الأمير الشيخ جابر الجمعية العامة: «نحن نثق بأنكم لن تترددوا في تقرير الاجراءات اللازمة، لإجبار الغزاة المعتدين على إعادة السلطة الشرعية ووضع نهاية لأعمالهم الوحشية».

٢٨ - ٩ - ١٩٩٠

١٧ ـ بين الغزو والإجارة

ـ روى لاجئون كويتيون مشاهد عن حوادث سلب ونهب واغتصاب للنساء وأعمال عنف قالوا ان الجنود العراقيين ارتكبوها في الكويت. ونقلت وكالة «رويتر» عن هؤلاء اللاجئين أن جنوداً عراقيين أوقفوا شخصاً في الشارع «وأخذوا منه ساعته وماله وأقلامه ونظارتيه الشمسيتين ثم صفعوه وركلوه وأبقوه واقفاً لفترة طويلة في الشمس المحرقة وعندما طلب منهم ماء قالوا له إذهب إلى البحر واشرب منه». وقال رجل أعمال رفض كشف اسمه خوفاً من التعرّض للانتقام ان ثلاثة جنود عراقيين دخلوا منزل أقارب له وطلبوا طعاماً «وبعدما أكلوا قالوا: اعطونا خادماتكم. وعندما سأله أقاربنا لماذا؟ قالوا سننسف رؤوسكم. واغتصب الجنود الخادمات وهنّ فيليبينيات». وقال آخر ان الجنود العراقيين دخلوا بيوتاً كويتية بحثاً عن أسلحة وأناس مطلوبين وغادروها بكل ثمين وقعت عليه أيديهم. «كان معهم قوائم بأسماء أشخاص. وأخذوا أناساً كثيرين، أناساً غير مهمين. ان كويتيين كثيرين نُقلوا إلى العراق وجاءت قوافل مدنيين عراقيين لتحل مكانهم. أحصيت ما بين ٩٠ و ٩٥ حافلة خلال ساعة وصلت فيها كنا نرحل وفي كل حافلة عائلات عراقية وأمتعتها».

- قال عامل مصري يدعى زاهر فرّ من الكويت اثر غزوها:

«منذ وصولهم (العراقيين) فجر الخميس (٢ آب) إلى مدينة الكويت، بدأت عمليات النهب والقتل». أضاف ان «المدينة لم تعد بالنسبة إلى هؤلاء الجنود الوقحين إلاّ متجراً كبيراً حيث يكفي المرء أن يأخذ ما يشاء».

- وروت المدرّسة المصرية سامية: «انهم (العراقيين) اسْتولوا خلال ثلاثة أيام على كل ما وقعت عليه أيديهم، وقاموا بنهب محلات الصاغة. ثم سرقوا السيارات». وقالت: «لقد كانت الطريقة التي يعتمدونها بسيطة إذ يصوّبون بنادقهم إلى السائق وينزلونه من السيارة التي يمضون بداخلها. وفي حال الاعتراض كانت جميع الأمور تُحلّ برصاصة في الرقبة».

وتابعت الشابة التي أرهقتها خمسة أيام أمضتها في اجتياز الصحراء واحمرّت عيناها بسبب قلة النوم: «منذ الأحد، بدأ هؤلاء الرعاع «بزيارة» المنازل والشقق. كانوا يضربون الرجال ثم يطلبون الذهب والحلي والأموال. عندي أنا أخذوا حتى أواني المطبخ. وكانَ العديد من الجنود شباناً أمّيين».

- وتحدث السائق بدري الذي كان في شوارع الكويت فجر الخميس: «عندما مررت في ساحة الجادة كانت توجد جثث على الأرصفة. كان الدم ينزف من كثير من الجنود الكويتيين الممددين على الأرض تحت أنظار هؤلاء (العراقيين) الأفظاظ.

وعندما أردتُ أن أنقل جريحاً إلى المستشفى صفعني الضابط العراقي على وجهي ونعتني بالكلب. لقد كان ذلك فظيعاً وكم مات من الأشخاص هكذا بسبب عدم تقديم الاسعافات لهم».

- وأكد عدد من الشهود أن الجرحى الأجانب وحدهم نقلوا إلى المستشفيات وأن الكويتيين تلقوا معاملة شديدة القسوة.

وقالوا ان «الخيار أمام الأسرى الكويتيين كان بسيطاً، فإما الاستسلام بصمت قبل أن يوثقوا واحدهم إلى الآخر ويقتادوا كقطيع من الأغنام تحت وابل من ضربات أعقاب البنادق والركلات إلى جهة مجهولة، وإما الإعدام على الفور عندما يعترضون».

وأقرّ بدري (...) بأن الأجانب «لقوا معاملة أفضل». أضاف «أما مع المصريين فقد كانوا يفعلون أي شيء لإهانتنا. لقد سدّد الجنود العراقيون فوّهة أسلحتهم إلى رأسي مرتين مدّعين أنهم يريدون أن يروا رأس عربي جبان ساعة الموت».

- وتحدّثت ماجدة (...) وغيرها من ربّات العائلات عن النقص الكامل في المواد الغذائية الضرورية التي تعاني منه العاصمة الكويتية.

وأوضحت ماجدة أنه «لم يعد من الممكن العثور على الخبز والماء. وفضلتُ محاولة إجتياز الصحراء على أن أرى أولادي يموتون من الجوع».

حِقْدُ المصريين الذين فرّوا من الكويت عظيم جداً، فلقد كانوا يذهبون إلى هناك مثلهم مثل المئتي ألف مواطن بحثاً عن الثروة والرفاهية، ولكنهم يعودون إلى وطنهم هاربين وكلاجئين مهانين منهكين.

ـ ويقول المهندس جمال (...) صارخاً «إنني عربي مثل العراقيين ولكنني أخجل من القول ان جنود صدّام حسين تصرّفوا مثل جنود أدولف هتلر».

١٠، ١١ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ يتدفق اللاجئون الكويتيون بالآلاف إلى المملكة العربية السعودية ودول خليجية أخرى حيث أقيمت مراكز مساعدة لهم. وأفادت مصادر متطابقة أن أكثر من ٤٠ ألف كويتي نجحوا منذ الغزو العراقي لبلدهم في اجتياز حواجز القوات العراقية المتمركزة على الحدود مع السعودية.

ـ قال سعودي في المنطقة الشرقية «رأيت نساء منهارات ينتحبن على قريب طريح الفراش في أحد مستشفيات الكويت وأخريات وصلن إلى السعودية دون مال أو أوراق ثبوتية».

وتحاول السعودية ودول أخرى ولا سيما منها دولة الامارات العربية المتحدة تسهيل إقامة اللاجئين الكويتيين وتأمين المساعدة اللازمة لهم، خصوصاً بعدما فقد الدينار الكويتي قيمته.

ـ نشرت الصحف السعودية أن الملك فهد أعطى تعليمات لتسهيل إقامة الكويتيين داخل أراضي المملكة وخارجها. وعُممت التعليمات على السفارات السعودية في العالم لمساعدة الكويتيين مادياً، وطلب من شركة الخطوط الجوية السعودية قبول بطاقات السفر الصادرة عن الخطوط الجوية الكويتية التي أوقفت نشاطاتها.

وروى شهود أن السلطات السعودية وضعت في تصرف الكويتيين في مدينة الدمّام الواقعة على الخليج مجمّع العزيزية السكني الضخم المؤلف من ١٨ مبنى يضم كل منها بين ٨٠ ومئة شقة. وبادرت شركة سعودية خاصة بتجهيز الشقق بمكيفات للهواء إذ تقارب الحرارة حالياً أربعين درجة مئوية على ضفاف الخليج.

وكذلك أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان باستضافة جميع العائلات الكويتية التي وصلت إلى الإمارات أخيراً وتقديم كل أشكال المساعدة إليها. وتشمل المساعدات استئجار الشقق المناسبة في أبو ظبي والعين والشارقة وتكليف

مصرف الامارات المركزي صرف المساعدات النقدية التي تقررت لجميع العائلات وتقديم الأجهزة الصحية والمستشفيات والرعاية الضرورية ومعاملة الكويتيين اسوة بمواطني الامارات.

وتألفت في الامارات لجان إغاثة للأسر الكويتية الموجودة في المدن التركية والتي يزيد عددها على ستة آلاف شخص. وصرّح السيد محمد عبد الله الشيبة رئيس مجلس إدارة هيئة الأعمال الخيرية في الامارات أن الهيئة استأجرت فنادق لتأمين السكن لهؤلاء الكويتيين وهي توفر العلاج الضروري لهم. وأوضح أن كثيرين من الكويتيين بدأوا يصلون إلى دول الخليج عبر اسطنبول حيث أمّنت الهيئة طائرات لنقلهم. وقال ان الهيئة تلقت تبرعات مالية من بعض المواطنين الذين قدّموا أيضاً شققاً مفروشة.

وبحسب اللاجئين فان اجتياز الحدود إلى السعودية يتم بطريقتين، الأسهل ينفّذها بعض البدو الذين يعرفون جيداً طرق الصحراء التي لا يُحكِمُ العراقيون السيطرة عليها ويخاطرون بسلوكها في سيارات جيب. أما الطريقة الأصعب فهي المرور عبر شبكة القوات العراقية. لكن البعض ينجح في ملاطفة الجنود العراقيين الذين يحبون الهدايا الصغيرة.

وروت السيدة نورية رومي، وهي موظفة في جامعة

الكويت وصلت إلى البحرين، أن الجنود العراقيين «بدأوا بنهب المخازن والمصارف ومحلات الصاغة قبل أن يقتحموا المنازل لطلب الغذاء». وقالت «ان الجنود أفرغوا مستودعات الأغذية».

ـ يوميات السيدة مي حجاج

أوردت «وكالة الاسوشيتد برس» «يوميات السيدة مي حجاج»وهي سيدة سعودية (٢٧ عاماً) تعمل في أحد مصارف الكويت وتمكنت وعائلتها من الفرار من الكويت بعد ثمانية أيام على الغزو وكتبت حجاج:

«شاهدْنا ما لا يمكن التفكير فيه، غزو جنود الرئيس العراقي صدام حسين للكويت. في البدء رأينا الدبابات البشعة في شوارع مدينة الكويت، وبعد ثمانية أيام تمكنا من الهرب إلى البحرين. وهذه هي يومياتي عن الكابوس:

«ـ الخميس ٢ آب: إنه اليوم الأسود في التاريخ العربي الحديث. علينا نحن العرب أن نغطي وجوهنا بالعار. غزو في نهاية الأسبوع؟ غير متوقع ولا يمكن تصديقه.

«عندما وصلتُ إلى بنك الخليج رأيت عدداً كبيراً من السيارات في الخارج والناس في الداخل يحاولون سحب أموالهم نقداً. هنود وكويتيون وباكستانيون ومصريون

وفلسطينيون وأميركيون وغيرهم كانوا خارج المبنى وبعضهم كان يصرخ: «عودوا إلى منازلكم (. . .) العراق اجتاح الكويت».

«عدت إلى المنزل. الجنود يتدفقون والآليات الضخمة تخترق جادة الاستقلال، لا انفجارات ولا رصاص. اتصل أصدقاء بنا وقالوا لعائلتي أن تستعد للحرب. كيف بحق السماء نستعد للحرب؟ حسناً، املأوا أحواض الاستحمام بالماء واشتروا ما أمكنكم من المعلبات واشتروا الماء واتصلوا بالأقارب لتروا إذا كان لديهم أي خطط للهرب. ثم انتظروا. أدرنا جهاز الراديو وحملناه مع الفراش إلى الملجأ.

«ـ الجمعة ٣ آب: نمنا ما استطعنا وفي تلك اللحظة بدأنا نسمع أصوات الانفجارات. كان العراقيون يتقدمون من جهة الأسواق. أصواتهم عالية. لم نخرج من الغرفة إطلاقاً. دعانا أصدقاء لتمضية الليل في منزلهم. ذهبنا وكانت الشوارع خالية وساكنة.

«كان معنا خمسة أجهزة راديو مفتوحة على هيئة الاذاعة البريطانية وصوت أميركا والسعودية ودبي والعراق. ما سمعناه عبر إذاعة العراق كان فظيعاً خصوصاً أننا نعلم أنهم يكذبون في ما قالوه من أن الشيخ جابر سيء وأن العراقيين دخلوا

الكويت لانقاذ شعبها.

«ـ السبت ٤ آب: استفقنا على صوت الانفجارات. كانت تسمع من منطقة اسمها كيفان حيث شبان كويتيون تمكنوا من الحصول على بنادق وبدأوا بمضايقة العراقيين. كنا فخورين بهم. واتصل أصدقاء ليخبرونا أن العراقيين ينهبون المحلات ومنازل الأغنياء المقيمين في الخارج. وقالوا ان المصرف المركزي نُهب أيضاً إضافة إلى معارض السيارات.

«ـ الأحد ٥ آب: عيّن العراقيون حكومة جديدة دمية، مجموعة من العراقيين الشبان حاولوا اقناعنا عبر التلفزيون أنهم كويتيون. لكن لهجتهم فضحتهم رغم الجلابيات والكوفيات والعقالات التي ارتدوها.

«ـ الأربعاء ٨ آب: سمعنا نشرة الأخبار واتصل صديق ليسألنا إذا كنا نرغب في مغادرة الكويت. رفضنا. وبثت هيئة الاذاعة البريطانية أنه سيكون لصدام إعلان مهم بعد ظهر اليوم. وفي ذلك المساء تحدث الرئيس بوش. وفي الوقت ذاته سارت تظاهرة في منطقتنا. أردت أن أذهب ولكن كان علي أن أتخذ قراراً. فضّلت أن أستمع إلى كلمة بوش. وبكيت عندما قال انه يريد من الأميركيين أن يصلّوا للرجال والنساء الذين سيقاتلون من أجل مبادىء الحرية والديمقراطية. شعرتُ بالحزن كعربية. كيف نطلب المساعدة الخارجية

لندافع عن أنفسنا ضد العرب أمثالنا؟ لكنني فهمت ضرورة الأمر.

«وأصيب صديق أميركي لوالدي بنوبة قلبية. ذهبت وشقيقتي لزيارته في المستشفى فوراً وكان وضعُه تحسّن، لكنه كان يفضل أن يكون مع عائلته.

«ـ الخميس ٩ آب: ذهبت مرة أخرى إلى المستشفى ولما عدت وجدت صديقاً لنا اسمه ناصر جاء يعرض علينا خطة للهرب وافقنا عليها. مغادرةُ الكويت أدمت قلوبنا. إنني سعودية، لكنني عشت طوال حياتي هنا.

«وبعيد الساعة الحادية عشرة حضر ناصر لاصطحابنا. حملنا ما أمكن، بعض الذهب والأوراق اللازمة وغادرنا. سلكنا طريق الفحيحيل حيث انضمت إلينا عائلتان بسيارتيهما وشكّلنا قافلة. أوْقفَنا حاجز عراقي. تجادل ناصر مع أحد الجنود الذي سمح لنا بإكمال سيرنا. رأينا جنوداً عراقيين قرب الحدود. توقّف ناصر ثم انعطف يميناً في اتجاه الصحراء. لوّح لنا الجنود لنعود. تجاهلناهم. تزايدت دقات قلبي ولم أعد أسمع شيئاً. بدأنا نصلّي. كنا نعلم أن الجنود العراقيين يطلقون الرصاص أولاً على العجلات ثم يحضرون ويحطمون السيارات ويأخذون الركاب. كان هناك عدد كبير من السيارات المحطمة على طول الحدود لم نعرف أبداً ماذا

حلّ بركابها. لم تطلق أي رصاصة في اتجاهنا لكننا لم نتغلب على خوفنا. وطلب منا ناصر أن نغنّي علّنا نفلح. كنا نسير بسرعة جنونية. اجتزنا الصحراء ووصلنا إلى الحدود السعودية في ربع ساعة ودخلنا فوراً إلى منطقة الخفجة حيث توجهنا إلى منزل ناصر وانضممنا إلى سائر أفراد العائلة الذين كانوا هناك. وتابعنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى البحرين».

١٣-٨-١٩٩٠

ـ ما نهبه العراقيون من الكويت

● نسبت صحيفة «النيويورك تايمس» إلى مصرفيين عرب في لندن والخليج أن العراق نقل ما تراوح قيمته بين ٣ و ٤ مليارات دولار من الذهب والعملات الأجنبية والسلع التي استولى عليها من مؤسسات مالية وتجارية في الكويت.

وقال هؤلاء ان الاستيلاء على هذه الكمية من الذهب والعملات رفع الاحتياط المالي العراقي الذي قدّروه بـ ٦,٥ مليارات دولار قبل اجتياح بغداد الكويت في ٢ آب الجاري.

ولم يكشف العراق قط عن حجم احتياطاته من الذهب والعملات القابلة للتحويل.

وأضاف المصرفيون ان العراقيين استولوا أيضاً على عدد كبير من الطائرات المدنية والعسكرية والسيارات الجديدة

والآلات والأعتدة والمعدات ومخزون المواد الغذائية والسلع الأخرى. وقد رووا أن المصرف المركزي الكويتي الذي نهبته القوات العراقية في اليوم الأول للغزو كان يحوي ٢,٥ مليون أونصة من الذهب قيمتها مليار دولار، فضلاً عن إمدادات سنة كاملة من الدنانير الكويتية أو ما قيمته ٣٥٠ مليون دولار، إلى بضع مئات الملايين من الدولارات من العملات الأخرى منها الفرنك السويسري والفرنك الفرنسي والجنيه الاسترليني والدولار.

ونشرت «النيويورك تايمس» أن الاجتياح أدى إلى هرب مئات الملايين من الدولارات من المنطقة، إذ هرع المستثمرون العرب إلى مصارف الخليج لسحب أموالهم إلى الخارج وخصوصاً إلى سويسرا وإلى مراكز مالية غربية أخرى. ونقلت عن مسؤولين في البحرين والسعودية وأبو ظبي ودبي ولندن أن الأزمة كان لها انعكاسات على اقتصاد الخليج مثل ارتفاع تعريفات التأمين والتضخم والنقص في السيولة بالنسبة إلى الأشخاص الذين اضطروا إلى البقاء في المنطقة بسبب الاجتياح العراقي.

١٥ - ٨ - ١٩٩٠

- حجز أموال المسؤولين الكويتيين

أصدر مجلس قيادة الثورة في العراق قراراً يقضي «بحجز

الأموال المنقولة وغير المنقولة لآل الصباح والوزراء» في الحكومة الكويتية. ووردت في القرار أسماء ٦٤ شخصاً بينهم الأمير جابر وولي العهد رئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح. وكلف البيان «الوزراء المختصين والجهات ذات العلاقة تنفيذ هذا القرار».

٢٠ - ٨ - ١٩٩٠

- هاربون من الكويت يتحدثون

أكد هاربون من الكويت أن الشيعة الكويتيين هم أكثر من يعاني من الوجود العراقي في الكويت. وأعطت مثالاً على ذلك «اختفاء» المدعو البهبهاني أحد كبار تجار مدينة الكويت ووكيل شركة «جنرال موتورز» هناك.

وأكد هؤلاء أن وكلاء شركات سيارات «وزّعوا» السيارات التي كانت موجودة في معارضهم قبل أن تصادرها السلطات العسكرية العراقية.

وروى أحد أفراد المجموعة أن ممثل شركة «شيفروليه» الأميركية الذي كانت لديه ٤٠٠ سيارة في مرائب الشركة اتصل به «وقال خذ أنت وأصدقاؤك السيارات التي تريدون. وإذا عادت الأمور إلى طبيعتها يوماً ما تدفعون لي مبلغاً من المال. أما إذا لم يحصل ذلك، فأفضّل أن يأخذها أبناء بلدي على أن يأخذها العراقيون».

لكن هذا الرجل لم يتمكن من «توزيع» سياراته، فقد دمّرها جميعاً الجنود العراقيون الذين أشعلوا النار في محلات العرض وفق رواية أفراد المجموعة الكويتية.

وتحدث هؤلاء أيضاً عن تضامن اجتماعي لم تشهد الكويت مثيلاً له في السابق شمل الجميع: السنّة والشيعة والبدو والـ «بدون»، وهو التعبير الذي يطلق على أولئك الذين لا يملكون جوازات سفر كويتية لكنهم يعيشون في الكويت منذ زمن طويل.

وتحدّثوا أيضاً عن «تململ» في صفوف الجنود العراقيين في الكويت «فالعديد منهم لهم أقرباء كويتيون لأن زيجات كثيرة جداً حصلت بين الكويتيين والبصريين» أي سكان مدينة البصرة العراقية.

وتساءل الكويتيون الأربعة عن سبب «النهب» المنظّم الذي تتعرّض له الكويت. وقالوا ان السلطات العسكرية العراقية «نقلت» إلى بغداد يخوتاً من النادي البحري وخيولاً من نادي الفروسية وجميع المعدات الطبية من المدينة الطبية في الكويت التي أنشئت مؤخراً وبلغت تكاليفه ٢٨ مليون دولار.

وقالوا ان ذلك عائد إما لمعرفة العراقيين بأنهم لن يبقوا طويلاً في الكويت ويريدون أخذ كل شيء قبل الرحيل وإما

لرغبة منهم في تحويل البلاد التي هي أكثر حداثة من العراق إلى قرية صغيرة فقيرة.

٢٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ مصري مستعد لاستضافة عائلة كويتية

نشر تاجر مصري في صفحة الاعلانات في صحيفة «الأهرام» إعلاناً هو الأول من نوعه يقول «نستضيف عائلة كويتية كبيرة وتقدّم غرف نوم وأسرّة وأغطية مجاناً».

فقد وضع عبد المطلب أحمد (٤٠ عاماً) وهو صاحب مبنى من ١٢ طابقاً في منطقة هيليوبولس السكنية في شمال شرق القاهرة شقة في الطابق الأخير من المبنى تضم خمس غرف بتصرف عائلة كويتية كبيرة.

ويُذكر أن نحو ألف كويتي كان معظمهم يمضي إجازة في القاهرة خلال الغزو العراقي لبلادهم. وغادر البعض منهم إلى إمارات الخليج. وبقي آخرون محرومون من المصادر المالية. وانتقل العديد ممن كانوا يسكنون في فنادق إلى شقق مفروشة زهيدة الإيجار. وقبلت العديد من العائلات أيضاً استضافة المعوزين عبر عروض نُشرت في الصحف.

٢٨ ـ ٨ ـ ١٩٩٠

ـ قال مسؤول خليجي كبير: «لقد تخطى صدّام كل

الحدود (. . .) فغزْوه الكويت قرّب النصْلَ من أعناقنا (. . .) ونحن لا نريد أن نكون كبش فداء لأحلامه بحكم العالم العربي».

٣١-٨-١٩٩٠

- أعلنت النيابة العامة لجامعة الدول العربية أمس أن الأمين العام السيد الشاذلي القليبي، وهو تونسي ويبلغ من العمر ٦٤، استقال من منصبه الذي يشغله منذ عام ١٩٧٩ عندما تقرر نقل الجامعة من القاهرة إلى تونس «موقتاً»، رداً على توقيع اتفاق كمب ديفيد بين مصر واسرائيل، وقد جُدد له في منصبه آخر مرة في آذار ١٩٨٩، وذلك لولاية ثالثة تستمر خمس سنوات.

على أن معركة تدور - منذ نشوب أزمة الخليج - حول نقل مقر الجامعة بين الدول العربية المؤيدة للعراق وتلك المناوئة له.

٤-٩-١٩٩٠

- خسر العراق نحو ٢,١ مليار دولار منذ بدء الحظر التجاري الذي فرضته عليه الأمم المتحدة لغزوه الكويت في ٢ آب.

وفي ضوء فاعلية الحصار الذي تفرضه قوات متعددة الجنسية، لم تتمكن بغداد، وفقاً لمصادر نفطية في الخليج من

تصدير أي كمية مبيعة. وكذلك لم تستفد من نفط الحقول الكويتية التي استولت عليها وكان يمكن أن يأتيها بأكثر من مليار دولار حتى الآن لو هي تمكنت من تصديره.

ولاحظت المصادر أن إنتاج العراق من النفط الخام انخفض إلى ما يكفي لتلبية حاجاته المحلية البالغة ٤٠٠ ألف برميل يومياً، من أصل ٣,١ مليون برميل يومياً من إنتاجه الشهري وكان يصدر منها قبل الغزو ٢,٧ مليون برميل.

لكن مبادراته توقفت إذ حرم استخدام منافذه الرئيسية الثلاثة، وهي خط أنابيب يمر عبر تركيا وتبلغ طاقته ١,٥ مليون برميل يومياً وخط آخر يمر في الأراضي السعودية وتبلغ طاقته ٩٠٠ ألف برميل يومياً، إلى طريق الناقلات التي كانت تمر في الخليج.

٥-٩-١٩٩٠

- الشيخة فاطمة والطبق الكويتي

قدّمت الشيخة فاطمة زوجة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة عشرة ملايين درهم (٢,٧ مليون دولار) ثمناً لطبق واحد من أكْلة كويتية.

وقد اشترت الشيخة فاطمة الطبق الشهي بالملايين من معرض خيري للمأكولات أقيم أول من أمس لجمع أموال

للعائلات الكويتية التي تشرّدت بعد الغزو العراقي للكويت.

ويُعتبر طبق بيض القطا المقدّم في ورق الألومنيوم المقوّى من المأكولات الكويتية التقليدية التي يُعتقد أن تناولَها فأل حسن.

وذكرت صحيفة «خليج تايمس» أن الشيخة فاطمة امتلأت عيناها بدموع الفرح وهي تتسلّم ما اشترته من معروضات المعرض.

٦-٩-١٩٩٠

- ٥٦٠ مصرياً قضوا في العراق

نشرت صحيفة «الأخبار» المصرية أمس أن عدد الجثث التي وصلت لمصريين قضوا في العراق لأسباب مختلفة في عشرة أشهر وصل إلى ٥٦٠ جثة.

وأوضحت أن أسباب الوفيات هي «كسْر في الجمجمة أو الاصابة بطلق ناريّ أو الصعق بالكهرباء أو الاصابة بحروق».

وأضافت «انها الأسباب نفسها التي كانت ترفق بجثث المصريين التي وصلت العام الماضي وأدى ارتفاع عددها (تجاوز الألف) إلى توتر في العلاقات بين البلدين».

٦-٩-١٩٩٠

- الرويشد (عند الحدود العراقية الاردنية)

«.. ولا يزال انتظار الهاربين من الكويت والعراق في الرويشد هو الانتظار الأقسى. ففي أحد مخيمين فقط للاجئين هناك سمي «شعلان» لم يكن أمام أكثر من ٦٠ ألف شخص معظمهم من حاملي الجنسيات الهندية والباكستانية والسيريلانكية والبنغالية والتايلاندية والفيليبينية أمس سوى الانتظار، انتظار الطعام والماء ساعات طويلة وانتظار المغيب على صقيع الليل الذي يطفىء لهيب الشمس ويسكّن الألم الناجم عن لدغة أفعى أو عقرب، وفوق كل ذلك انتظار ممثل لسفارة بلادهم لا يصل أبداً. لكن ما يصل دونما انقطاع، هو سيارات حشر فيها أشخاص وأمتعة لا يُسمح لها بالتوجه عبر الطريق الرئيسية المؤدية إلى العاصمة لأن لا مكان لمزيد من اللاجئين في المخيمات التي نصبت على مسافة ٢٠٠ كيلومتر غرب عمّان. فهناك أيضاً ينتظر أكثر من ٤٠ ألف لاجىء.

«وفي «شعلان - ١» عانى عدد كبير من اللاجئين نوبات هستيرية بسبب الظروف القاسية التي يعانونها ولا سيما منها انتظار الماء والطعام، فإذا ما وصلا أخذوا يتقاتلون للحصول عليها. فهم يُعطَون وجبة واحدة يومياً مقدارها رغيف من الخبز وكوب من اللبن يقفون في صفوف ما لا يقل عن ست

ساعات للحصول عليها. وبعض المقتدرين منهم ينتظر في الشوارع القريبة باعة أردنيين ليشتروا منهم قنينة الماء بثلاثة دولارات أو علبة السجائر بأكثر من عشرة دولارات.

«وأفاد مصدر رسمي في الاردن أن ٦٠٥,٢٧٧ شخصاً دخلوا الاردن من العراق والكويت منذ بداية الأزمة حتى الربع الأول من أيلول، بينهم ٢٩٠,٦٧٠ شخصاً وصلوا عبر نقطة الرويشد الحدودية التي تشهد عبور نحو ١٦ ألف مسافر يومياً».

٦-٩-١٩٩٠

- وثيقة كويتية تتضمن الممتلكات التي صادرها العراق

نشرت سفارة الكويت في لاهاي وثيقة أعلنت فيها دولة الكويت رفع شكوى والمطالبة بالتعويض عن الضرر تضمّنت قائمة بالممتلكات التي استولى عليها العراق جُرّدت في ٢٩ نقطة على الشكل التالي:

«١ - سرقة جميع أنواع معدات الجيش الكويتي وذخائر ومعدات الورش الخاصة به من سلاح جوي وبري وبحري وسرقة الطائرات الحربية بأنواعها المختلفة وزوارق سلاح البحرية وملابس الجيش العسكرية ولوازمها.

٢ - الاستيلاء على عدد كبير من الطائرات التابعة لأسطول

مؤسسة الخطوط الجوية (الكويتية) وإرسالها إلى بغداد وسرقة كل موجودات الورش التابعة للمؤسسة من قطع غيار وتجهيزات وكذلك المعدات المكتبية وأجهزة الكومبيوتر وأثاث المؤسسة.

٣ - سرقة مخازن جمعية الهلال الأحمر الكويتي من مواد تموينية وطبية والخيام المخصصة لاغاثة الدول المنكوبة وتحويلها إلى بغداد.

٤ - نهب جميع المواد الغذائية والطبية من المخازن العامة والحكومية الخاصة ومحلات بيع الأغذية والصيدليات. وقد تمّ نقلها إلى بغداد منذ الأيام الأولى للغزو.

٥ - سرقة جميع موجودات وكالات السيارات وتصفية ما بها من مرْكبات بجميع أنواعها. وقد تم نقلها إلى بغداد في عربات معدّة لذلك. كما سُلبت المركبات الخاصة من أصحابها في الطريق العام وتحت تهديد السلاح وسُرقت جميع معارض قطع الغيار التابعة لوكالات السيارات.

٦ - سرقة محلات الذهب والصاغة وتفريغ ما فيها من ذهب وأموال ومعادن ثمينة أخرى.

٧ - نهْب المؤسسات المالية والبنوك وسرقة جميع موجوداتها من سيولة نقدية وودائع وصناديق الأمانات ونقلها إلى بغداد.

٨ ـ سرقة المحلات التجارية بجميع أنواعها (محلات الأثاث والأواني المنزلية والأدوات الكهربائية والصحية).

٩ ـ نهْب المطابع الحكومية والأجهزة المشغلة لها والمواد الطابعة وكذلك الأثاث ومعدات المكتبات.

١٠ ـ سرقة أجهزة المطابع الخاصة بالصحف المحلية والشركات والمواد التابعة وأجهزة الكومبيوتر المشغّلة لها.

١١ ـ تفريغ ميناء الشويخ من جميع المعدات الموجودة فيه من رافعات عملاقة ورافعات شوكية وكذلك جميع البضائع الموجودة في المخازن التابعة للميناء.

١٢ ـ نهْب جميع الوزارات والمؤسسات والمنشآت الحكومية وتفريغها من جميع موجوداتها من تجهيزات مكتبية ومعدات وأجهزة كومبيوتر.

١٣ ـ سرقة أعمدة النور الكبيرة الخاصة بالطرق السريعة والاشارات الضوئية الالكترونية.

١٤ ـ فكّ وسرقة محولات الكهرباء وبعض مقاسم الهاتف.

١٥ ـ سرقة مستودعات أنابيب النفط.

١٦ ـ نهْب جميع المعدات وقطع الغيار من شركة النفط

وشركة البترول الوطنية وقطع الغيار الخاصة بالمصافي.

١٧ ـ نهْب مستودعات وزارة الكهرباء والماء وسرقة أنابيب المياه من هذه المستودعات.

١٨ ـ الاستيلاء على أثاث وأجهزة جامعة الكويت في جميع الكليات والمختبرات والأجهزة العلمية والكومبيوتر والأجهزة المكتبية.

١٩ ـ سرقة جميع أجهزة المستشفيات الخاصة والعامة بما فيها أجهزة الأشعة والفحوص وأجهزة المختبرات الحديثة وسرقة مستودعات وزارة الصحة العامة وشركة الأدوية الكويتية بما فيها من أدوية وأجهزة حديثة وجديدة تقدر قيمة بعضها بأكثر من ٣٠ مليون دينار كويتي.

٢٠ ـ طرد جميع المرضى من المستشفيات وتخصيصها لعلاج المصابين من الجيش العراقي.

٢١ ـ الاستيلاء على الأجهزة الموجودة في وزارة الاعلام والاستوديوهات الخاصة بالتلفزيون والاذاعة والمكتبة التابعة لها وهي تُعَدُّ إحدى أكبر المكتبات في الشرق الأوسط كانت تحتوي على تسجيلات نادرة وتراث كويتي لا يُقدَّر بثمن.

٢٢ ـ سرقة أثاث ومعدات وأجهزة المعهد التطبيقي العلمية الحديثة وكذلك الأجهزة العلمية المتطورة والمعدات

الموجودة في معهد الكويت للأبحاث العلمية.

٢٣ ـ سرقة الثروة الحيوانية في البلاد من المزارع والحظائر الحكومية والخاصة. وكذلك سرقة محتويات حديقة الحيوانات.

٢٤ ـ نهْب عدد كبير من المساكن الخاصة وجميع المنازل التابعة للأسرة الحاكمة وكبار رجالات الدولة.

٢٥ ـ سرقة أثاث ومعدّات المدارس والأجهزة التعليمية.

٢٦ ـ تفكيك محتويات مدينة الكويت الترفيهية الكبيرة التي تُعد واحدة من أكبر مثيلاتها في الشرق الأوسط ونقلها إلى بغداد.

٢٧ ـ إدخال أعداد كبيرة من الأسر العراقية بغية توطينها وتغيير البيئة السكانية للبلاد.

٢٨ ـ تفكيك وسرقة جميع المخابز الآلية.

٢٩ ـ قيام الجيش العراقي بحرق جميع الأماكن المسروقة والمفرغة من محتوياتها».

٨ ـ ٩ ـ ١٩٩٠

ـ متحف الكويت ما مصيره؟

«يحاول علماء الآثار وخبراء الفنون الاسلامية تقصي الحقائق في ما يتعلق بمصير متحف الكويت الوطني، وبشكل

خاص ما آلت إليه مجموعة «دار الآثار الاسلامية» بعد الاجتياح العراقي للكويت.

«وفيما نسبت صحيفة «الهيرالد تريبيون» إلى مصادر عدة اعتقادها أن مصير المتحف لم يكن أفضل من مصير المؤسسات الكويتية الأخرى التي نُقلت محتوياتها إلى بغداد، ترفض سفارتا العراق في لندن وواشنطن إعطاء أية معلومات حول الموضوع.

«ومعلوم أن «دار الآثار الاسلامية» في الكويت التي تضم أكثر من عشرين ألف تحفة تعود إلى مختلف العصور الاسلامية هي ثمرة جهد فردي، إذ تضم المجموعة الخاصة التي أنشأها الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح وزوجته (الشيخة حصّة) على مدى ثماني سنوات قبل افتتاح المتحف في العام ١٩٨٣.

«وإضافة إلى أن هذا المتحف هو الوحيد الذي تشكّل في النصف الثاني من القرن العشرين من خلال انتقاء أفضل ما في المجموعة العالمية، يُجمع خبراء الفن على أنه الأكثر شمولية في تغطيته ثقافة الفنون الاسلامية ومذاهبها بدءاً بالمخطوطات المكية في القرن الثاني للميلاد، وصولاً إلى المجوهرات والحلي المغولية في القرن التاسع عشر، مروراً بمجموعات كبيرة من الخزف الايراني والزجاج المكوكي والمصاحف المخطوطة، والمنسوجات والنقود.

«على صعيد آخر، وبسبب القيمة التجارية الكبيرة التي يمكن أن تتمتع بها هذه المجموعة، والتي قد تصل إلى ما يتراوح بين مليار ونصف وملياري دولار، يتخوف تجار الفن الاسلامي في الغرب من أن يقوم العراق بطرح هذه المجموعة للبيع، الأمر الذي قد يؤدي إلى هبوط حاد في أسعار الفنون الاسلامية بسبب عجز السوق عن استيعاب كمية بهذا الحجم والأهمية، خاصة وأن أحداث الخليج وجّهت ضربة قاسية لسوق الفن الاسلامي يتوقع أن تظهر نتائجها في المزادات العلنية المقبلة خلال الشتاء، وذلك بعد خروج عدد كبير من المشترين الخليجيين من قاعات المزاد، الأمر الذي يذكّر بالأزمة المماثلة التي عصفت بسوق الفن الاسلامي في مطلع الثمانينات بعد الثورة الاسلامية في ايران، وخروج رجال الأعمال الايرانيين من سوق الفن الاسلامي».

٢٨ - ٩ - ١٩٩٠

- تحدّث مسؤول حدودي أردني عن «طوفان جديد من النازحين الآن مقارنة بالأيام السابقة...».

٢٩ - ٩ - ١٩٩٠

- في صنعاء أفادت تقارير صحافية أن الألوف من اليمنيين يعودون إلى البلاد قادمين من السعودية منذ فرضت الرياض

قيوداً عليهم احتجاجاً على الموقف اليمني المؤيد للعراق في أزمة الخليج.

٢٩ - ٩ - ١٩٩٠

- المنطق «القيصري»

أمام الدورة الخامسة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة - نيويورك، ألقى الرئيس جورج بوش الكلمة التالية:

«منذ شهرين، وفي الأسابيع الأخيرة من صيف هو من أغنى أصياف التاريخ بالآمال، لوّث جمال صحراء الكويت الهادئة بنتن محركات الديزل وزئير الدبابات الفولاذية. مرة أخرى، ترددت أصداء الصاعقة القصية في السماء النقية من الغيوم، ومرة أخرى صحا العالم ليجد أمامه مدافع آب - اغسطس.

«غير ان العالم كان متأهباً هذه المرة. فقد كان رد مجلس الأمن الدولي الحاسم على عدوان العراق غير المسوّغ ردّاً لا سابق له. فمنذ اجتياح الكويت في ٢ آب - اغسطس أقر مجلس الأمن ثمانية قرارات كبرى تحدد أطر حل الأزمة.

«ما زال على النظام العراقي ان يواجه الوقائع. لكن ضم الكويت، كما قلت في الشهر الماضي، أمر لن يُسمح باستمراره. وليس هذا رأي الولايات المتحدة وحدها، بل انه

رأي كل كويتي ورأي جامعة الدول العربية والأمم المتحدة. وعلى قادة العراق أن يسمعوا النداء: العراق يقف ضد العالم كله.

«وأود انتهاز هذه الفرصة لأوضح سياسة حكومتي. فالولايات المتحدة تؤيد استعمال العقوبات لإجبار العراق على الانسحاب الفوري غير المشروط من الكويت. ونحن نؤيد توفير الأطعمة والأدوية لأسباب إنسانية، ما دام من الممكن التحكم في توزيعها. فخصامنا ليس مع شعب العراق، ولا نحن نتمنى له أن يتألم. فخصام العالم إنما هو مع الديكتاتور الذي أمر بهذا الغزو.

«اسوة بغيرنا من الأمم، أرسلنا قوات مسلحة إلى المنطقة لفرض العقوبات والردع، ولصد أي عدوان جديد إذا ما دعت الضرورة. ونحن لا نبتغي من وراء ذلك امتيازاً لأنفسنا، ولا نحن نبتغي إبقاء قواتنا في العربية السعودية يوماً واحداً زيادة على الحاجة إليها. وقد أرسلت القوات الأميركية بناء على طلب الحكومة السعودية. فالشعب الأميركي ورئيسه الحاضر يريدان عودة كل جندي أميركي إلى بلده حالما يتم تنفيذ هذه المهمة.

«كما أود التشديد على أننا جميعنا، هنا في الأمم المتحدة، نرجو ألّا تستخدم القوة العسكرية أبداً. نحن نبتغي حلاً

سلمياً - حلاً دبلوماسياً. وثمة أمر آخر: أنا أعتقد حقاً انه قد تتاح، بعد انسحاب العراق غير المشروط من الكويت، فرص للعراق والكويت لأن يسويا خلافاتهما تسوية نهائية دائمة، ولدول الخليج لأن تنشىء ترتيبات جديدة من أجل الاستقرار، ولجميع دول المنطقة وشعوبها لأن تسوّي الصراعات التي تفرق بين العرب واسرائيل. لكن مهمة العالم الأساسية - الآن، أولاً، ودائماً - يجب أن تكون البرهنة على أن العدوان أمر لن يُتساهل به ولن يُثاب.

«لقد حوكم العراق في مجلس الأمن - محاكمة عادلة من قبل حكام هم أقرانه، أمم الأرض كلها. واليوم يقف النظام العراقي معزولاً ومنقطعاً عن الزمن، منفصلاً عن العالم المتمدن، لا بالمكان بل بقرون من الزمان.

«عدوان العراق غير المسوّغ نكوص إلى حقبة بائدة، بقية مظلمة بقيت من زمن مظلم. فقد نهب الكويت، وروّع المدنيين الأبرياء، وتطاول حتى إلى احتجاز رهائن من الديبلوماسيين. ولا بد من تحميل العراق وقادته غرم جرائم التعدي والتدمير هذه. على ان هذا الاستهتار المهين بحقوق الانسان الأساسية لا يقع موقع المفاجأة التامة. فقد أُعدم آلاف العراقيين لأسبلب سياسية ودينية، وهلك أكثر منهم في حرب الابادة بالغازات السامة التي شنها العراق على أهالي

القرى الكردية من شعبه.

. . . .

«علينا كمجتمع دولي أن نعمل لا من أجل الردع عن استعمال الأسلحة اللاإنسانية، كغاز الخردل وغاز الأعصاب فحسب، بل أيضاً من أجل التخلص منها نهائياً. ولذلك جئت إلى الجمعية العامة منذ عام بمقترحات جديدة لمحو هذه الأسلحة الرهيبة عن وجه الأرض.

«لقد وعدت بأن تدمّر الولايات المتحدة ما يزيد على ٩٨٪ من مخزونها في الأعوام الثمانية الأولى من إبرام معاهد حظر الأسلحة الكيماوية، و ١٠٠٪ ـ كل الأسلحة ـ في غضون عشرة أعوام إذا ما وقّعت كل الدول من ذات القدرات الكيماوية ـ والأسلحة الكيماوية ـ المعاهدة.

«وقد وفينا بهذ الوعود. ففي حزيران (يونيو)، وقّعت الولايات المتحد والاتحاد السوفياتي اتفاقاً ـ يعدُّ مَعلَماً ـ من أجل التوقف عن الانتاج وتدمير القسم الأكبر من مخزون الدولتين. واليوم تُدمّر الأسلحة الكيماوية الأميركية.

«غير ان الوقت يدهمنا. فليس هذا مجرد همّ ثنائي. إذ تبين أزمة الخليج أهمية العمل معاً ـ والعمل الآن ـ لإبرام حظر دولي مطلق على هذه الأسلحة. وعلينا أيضاً أن نضاعف الجهود من أجل الحد من انتشار الأسلحة النووية

والبيولوجية والصواريخ العابرة القادرة على أن تمطر الدمار على الشعوب القصية.

«ان في وسع الأمم المتحدة أن تعمل على حلول عصر جديد؛ عصر تصبح فيه هذه الأسلحة الرهيبة والطغاة الرهيبون الذين قد يستعملونها خبراً من الماضي. ان في أيدينا أن نطرح هذه الآلات المظلمة وراءنا، في العصور المظلمة التي تنتمي إليها، وأن نحث الخطى لنتوِّج حركة تاريخية نحو نظام عالمي جديد وحقبة مديدة من السلام».

١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٠

ـ «النبيُّ الواعد»

مقتطفات من كلمة الرئيس صدام حسين في وفد اتحاد نقابات العمال العرب . . .

«الذي نريده هو أن يكون كل العرب أقوياء، مالكي البترول والذين لا يملكونه أيضاً، ولا يمكن أن يكونوا أقوياء إلاّ عندما نتصرّف تجاه ثروة العرب في أي مكان على أساس الواقع التاريخي بأننا أمة واحدة بغضّ النظر عن التقسيمات الادارية ووجود دول عربية منتشرة على الوطن الواحد، وفي الأمة الواحدة، وإذا ما تمت هذه النظرة بتصرف عملي فاننا سنصبح مع الزمن وكأننا حالة واحدة، أو اننا حالة واحدة في التفكير وفي التصرف، وسنكون عند ذلك أقرب إلى الله سواء

الأغنيـاء منا أو الفقـراء، ولكن الحرمـان المستزيـد مع الـدور الخبيث في سحق المحرومين قـد يجعل بعضهم بعيـداً عن الله بسبب الحاجة، ومن المؤكد ان الأغنياء الذين يملكون من غـير تعب ومن غير عمل، يكونون هم الأبعد عن الله دائماً.

«بـدأت المؤامـرات التي لم تكن بـدايتهـا الثـاني من آب (اغسـطس) ضد المـركز الـذي وجـد الأشرار أنـه لا بـد من سحقـه للتأثـير على كـل معنويـات الأمة، وليس التـأثير على معنويات الشعب العراقي فقط. والمؤامرات كانت تُحاك دائـماً وهي ليست جـديـدة علينـا إلّا بصـورتهـا ونـوع الامكـانـات الجديدة التي حشدت خلف شعاراتها، أما هي، فهي موجودة منذ زمن طويل، ولا بد انكم اطلعتم على ما يسمى بـ (ايران غيت) التي فضحت من قبل الاعلام العـربي والتي كانت قـد دبرت في عام ١٩٨٦، وقـد سبقت هذه الفضيحـة الأحداث الحالية. . وكما قال الأخ الفلسطيني القدسي بـأن المؤامرة عـلى الأمة العربية هي بقصد استهداف عناصر القوة فيها. . وأينما كان هناك عنصر اقتدار يمكن أن يؤثر بالتتابع وبالتأثير القـومي الأخوي ليحيي عناصـر اقتـدار الأمة في كـل الوطن العـربي، فانه يستهدف بالمؤامرات.

«على أساس هـذا التفسير استُهـدِف نظام عبـد الناصر في مصر، وعلى أساس هذا التفسير، مـع الأسف، نتعامـل الآن مع (الـرئيس) حسني (مبـارك) الـذي يـريـد أن يضـع مصر

العـروبة في مغـطس الصهيونيـة وأميركـا، وربما كـان الحديث بهذا المستوى لأول مرة، وأعتقد انني تحدثت في هذا المـوضوع سابقاً ولا أعرف أين، بأننا فاتحنا أميركا رسمياً في أواخـر عام ١٩٨٩ عن طـريق وزيـر خـارجيتنـا، وجـرى الحـديث مـع (الوزير جيمس) بايكر الذي هو نفسـه وزير خـارجية أمـيركا الآن وقلنا لهم انكم تتآمرون علينا ولدينا من الأدلـة ما يؤكـد ذلـك، قلنا لهم إذا كنتم تتـوهّمون بـأن أسلوب المؤامـرات في بلدان العـالم الثـالث يمكن أن يـأتي لكم بنتيجـة في العـراق، فانكم واقعون في الوهم، وسوف تلمسون الوهم لمس اليـد، وفي حـزيران (يـونيو) المـاضي علمنا مؤكـداً أن بعض القـادة العرب، من غير تكليف منا، ولم نكن نعرف بهذا الأمر، قـد بعثـوا للأمـيركان بـرسـائـل خطيـة يحذرونهم من المؤامـرة على شخص صـدام حسين، وهـذا يعني أن هؤلاء القـادة العـرب كانوا قد اطلعوا بصورة أو بأخرى على أن الأميركان يتـآمرون عـلى شخص صـدّام حسـين. وصـدام حســين رجـل بسيط مـواطن من هؤلاء العرب الكثـيرين. . ولكن لماذا يتـآمـرون عليه؟ لماذا تتآمر عليه الدولة العظمى رقم واحد في العالم كـما تسمّي نفسها؟ يتآمرون عليه حتماً لأنه يمثل حالـة اعتباريـة في السياسة العراقية وفي النظرة العربية.

«ان هذه هي عادتنا، وهذا هو منهجنا، وهـذا هو إيماننا، والذي يحاول أن يتآمر علينـا وأقصد بـذلك الـذي يتآمـر على

الأمة، علينا أن نضرب رأسه بدلاً من أن ننحني له ونساوم معه على مقدّسات الأمة، وهذا هو الذي حصل.

«ان احتلوا مساحة صغيرة نسترجعها بالهجوم المقابل وندمّرهم فيها، وبالتالي عليهم أن يخرجوا من أرض العرب، وعلى الصهاينة أن يخرجوا من أرض فلسطين، ولا تنازل عن هذا. فالمعركة ليست معركة على الذي حصل بعد الثاني من آب (اغسطس)، بل هي معركة الدفاع عن كل المقدّسات وعن حق الاختيار في الحياة.

«هذه المعركة، اخواني، ليست معركة من أجل قضايا فنية نختار لها الكلمات، كما عبّر أحد الاخوان، في قاموس الديبلوماسية لتجد حلاً لها، وإنما طرحت الأمور هكذا، معركة اجتماعية ثقافية قومية إنسانية اسلامية بكل معانيها، عالية المستوى، والباطل بكل أوصافه على الخط المقابل، وعندما يكون وصْف المعركة بهذا المستوى، علينا أن نكون مستعدين بهذا المستوى لتحمل التضحيات. وفي العراق يفهم اخوانكم العراقيون حقوقهم ويفهمون واجباتهم، ويزدادون الآن اعتباراً بعد أن منحتموهم الثقة في أن يكونوا للسلام فهو الذي نريد، السلام مع كرامة العرب، السلام على أرض عربية غير محتلة، السلام الذي تخرج به جيوش الغزاة، من الجولان وفلسطين إلى أرض مقدّسات المسلمين في الحجاز ونجد.. إلى مياه الخليج.

«كفى.. كم سنة مرت وشعب فلسطين ينتظر.. لقد انتهى نصف شعب فلسطين من القتل والذبح بسبب فلسطين، بل ان المعركة بيننا وبين ايران والذين واجهوا مصيرهم أو الذين استشهدوا، إنما كان حالهم كله بسبب فلسطين وكل هذه الفتن التي تحصل في الوطن العربي وفي المنطقة كلها بين العرب وبين المسلمين إنما هي بسبب قضية فلسطين لأنهم لا يريدون أن يكون العرب في وضع يقدرون فيه على أن يتوجهوا توجهاً جاداً لتحرير فلسطين وقد غاب هذا الأمر عن الديبلوماسية منذ سنين طويلة، حيث بقي العرب يلومون بعضهم بعضاً على عبارتي استرجاع حقوق فلسطين واسترجاع حقوق العرب في فلسطين في مؤتمراتهم أياماً وسنين وهم لا يملكون شيئاً.. لماذا لا تقولون تحرير فلسطين حتى تأتي الصهيونية وتجلس أمامكم قائلة انها مستعدة ولكن تعالوا نتناقش، وعندها اختلفوا على الكلمات.. ولكنهم قبل أن يظهر لهم أي شيء بدأوا يختلفون على الكلمات في بيانات يصدرونها هم وحدهم كعرب.. ويا له من ضعف ومذلّة واحساس بالصغر.

«وفي مؤتمر قمة بغداد، كنا كمن يستجديهم ليقدموا مساعدة بسيطة إلى الأردن لكي يصمد في وجه الاضعاف الذي يقصد منه انهيار الأردن ليجلبوا موقفاً سياسياً خاصاً يخططون إليه في الاردن، ولكي تدعم منظمة التحرير

الفلسطينية وأهلنا الذين تسيل دماؤهم يومياً على فلسطين..
وقد تحدثت مع بعضهم بالهاتف بعد انفضاض المؤتمر، وقلت له يا أخي فلان أرجوك أن تساعد أبا عمار والملك حسين، أن تساعد الاردن والفلسطينيين، وقد والله طلبت من أحدهم عند باب الطائرة وأنا أودعه وقلت له أخي أرجوك أن تساعد الاردن والفلسطينيين وكأنه استجداء على مئات الملايين من الدولارات التي لم يقدموا منها إلا الشيء البسيط القليل ولكن المعلن الذي قدّموه لجيوش الاحتلال ١٢ أو ١٤ مليار دولار، ملياران منها تجعل شعبنا في فلسطين يقاتل إلى عشر سنوات أخرى دون أن يحمل همَّ شيء، ومثل هؤلاء الناس يجب أن لا نتحدث معهم بدبلوماسية وسياسة مرتاحة، فقد نزعت الغيرة من عقولهم، وتبخرت الانسانية من ضمائرهم، فتحجّروا، وعندما كنا نتكلم مع بعضهم، كنا كأننا نتكلم مع حجر، لا يَعْرَقُ جبينه من الخجل ولا تلتمع عيناه نخوة تجاه أي قضية من القضايا الشريفة».

٧-١١-١٩٩٠

- اسرائيل سنة ٢٠٠٠

سئل رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير كيف ترى اسرائيل بعد عشرة أو خمسة عشر عاماً، فأجاب:

«ستكون دولة استثنائية. ستحقق تقدّماً هائلاً يساوي

تقريباً ما تحقق منذ قيام الدولة حتى الآن. ان عدد اليهود في أرض اسرائيل سيزداد بصورة كبيرة وكل شيء سيصبح مختلفاً. الجيل الطالع سيكون بارزاً، وسيكون أكثر كفاءة من الجيل الحالي. كما أن الطبقة الجديدة من المهاجرين سترفع المستوى العام. وسيكون هذا البلد جديداً تماماً، بلداً وُلد من جديد».

وعن انتهاء النزاع مع العرب، قال:

«إلى حدٍ ما، سيحدث تقدم كبير. وستحدث تغييرات في خريطة المنطقة عامة. وستقع مواجهات عربية - عربية كثيرة، لكننا لن نكون في وسط كل هذه النزاعات. وواقع أننا سنكون أقوياء أكثر، في حد ذاته، سيقضي قضاء نهائياً على فكرة العرب ان في الامكان التخلص من هذا المخلوق الذي اسمه اسرائيل».

وعن ايمانه بالسلام مع العرب، وبالحدود المفتوحة والعلاقات الطبيعية، قال:

«لا أعرف ما إذا كنتُ أؤمن إلى هذا الحد. سنصل إلى ذلك في يوم من الأيام. لا أعرف متى سيحدث ذلك. أنا أؤمن بالسلام، لأنني أؤمن بالنمو الدائم لاسرائيل. سيضطر العرب يوماً ما إلى فتح أعينهم ورؤية ما يحدث هنا. انهم يحاربون ضدنا كل هذا الوقت من دون أن يحققوا شيئاً يُذكر.

واسرائيل تواصل التقدم وهم متخاصمون ومنقسمون. سيكون عليهم أن يفهموا ذلك».

١٢ - ١١ - ١٩٩٠

- الديبلوماسية الجزائرية وأزمة الخليج

«عندما صدر القرار من البيت الأبيض بالتدخل العسكري في الخليج، سئلت عن موقفنا فأجبت، وبالحرف، انه قرار في غاية الخطورة، ونشكك بالنوايا المبيّتة خلف هذا القرار.

«من جهتنا، فموقفنا لم يتغيّر. نحن، وبصراحة ووضوح، ضد الاجتياح، كما نحن ضد التدخل الأجنبي.

«موقفنا ثابت وقوامه أن الوجود الأجنبي يزيد المواقف تعقيداً. ومثل هذا الموقف لا يمنعنا من القول للعراق بأن عملية الاجتياح هي التي أدت إلى التدخل الأجنبي. والعراقيون خلقوا فرصة تاريخية للأميركيين لم يحلموا بها. فالأميركيون يرغبون بتدمير بنية الجيش العراقي، نحن لا نريد، ولا نقبل اطلاقاً أن يُدمَّر العراق. موقفنا ثابت ولا نتراجع عنه، أو لا يقبل المساومة. مبدئياً نحن ضد الغزو. ونعتقد أننا أكثر البلدان تمسكاً بهذا المبدأ.

. . . .

«وفي مطلق الأحوال، فإنْ حدثت الحرب غداً، فالخاسر الوحيد هو العرب. يمكن أن يكون الرد العربي عنيفاً،

ويضرب الأميركيون بقوة، لكن الأميركيين لا يقاتلون فوق أرضهم، بينما العرب، وبالتحديد السعوديةوسوريا وغيرهما، فستكون بلادهم مسرحاً لتلك الحرب..

«وفي ظروف اليأس والاحباط، سيكون الغرب هو الرابح... ان هذا التهديد الأجنبي خطير، وخطير إزاء قضية التضامن العربي المهدّدة بالتفكك إذا ما دُمّر العراق.

«نحن نرى أن أي طرف لن يُقْدم على الحرب، لأن الحرب ستكون مدمرة للجميع وخاصة للعراقيين. ومثل هذا الحدث يمكن أن يتسبب بصدمة مأساوية تجاه الوحدة العربية. ويمكن أن ينعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية.

«عندما وقع تحشُّد لقوات أجنبية، وعندما وُجد بلد عربيَ أي العراق في موقع مواجهة مع باقي العالم وخاصة مع أعظم دولة اقتصادية وعسكرية في العالم، كل الباقي أصبح ثانوياً. هذه هي الصورة التي تشغل بال الشعوب العربية التي هي تحت تأثير صدمة أو شعور عميقين باشمئزاز.

«ففي حالة حدوث كارثة في أزمة الخليج، سيتغيّر هذا الشعور إلى شعور باليأس وبالذل العميقين، الأمر الذي سيؤدي لا محالة إلى تطورات في العالم العربي ستضرّ به وبمصالح البلدان الغربية.

«هذا كلام لا يمكن أن يُصرّح به في كل مكان، لكن من

واجب الجزائر أن تقوله حتى لا يخطىء المرء في تحليله.

«وعلى العكس، إذا استطعنا غداً أن نحل هذه القضية دون أن تنتهك سلامة بلد عربي، من المتوقع، وهذا ما نأمله، أن تكون لهذه الهزة آثار ايجابية على العالم العربي وعلى ما يمسّ علاقاته مع الخارج.

«فالديبلوماسية الجزائرية تعمل على أساس هذا التحليل الذي فاتحت به أشقاءها، وكذلك شركاءها الغربيين. وما أحاول أن أقوله هنا هو أنه يصعب تسوية أزمة الخليج دون معالجة القضية الفلسطينية ودون أن تأخذ بعين الاعتبار الرأي العام العربي الذي يعبر عن موقفه والذي بامكانه أن يغيّر سيرَ الأمور في أي بلد عربي، وأن يؤثر على علاقات كل بلد عربي مع شركائه الأجانب.

«نحن اليوم أمام مفترق طرق. فالأزمة الراهنة إما أن تخفي فوائد هامة أو تحمل إلى العرب سلبيات إيجابية.

. . .

«في وقت غير بعيد وليس فقط في العالم العربي كان من الممكن أن نفرض الوحدة بحد السيف. أما في نهاية القرن العشرين، فلا يمكن أن تتحقق الوحدة دون أن تتكفل الشعوب العربية بمصيرها. من المتوقع إذن أن يعمم المسار الديموقراطي. ولا يمكن أن نتكلم عن إمكانية الوحدة العربية

إلا إذا حدث ذلك. لكن ينبغي اضافة التضامن الضروري لمفهوم الأمة العربية.

«وفي كل حال من الأحوال مهما كانت نتيجة الأزمة، لا يمكن الابقاء على الوضع الذي كان عليه العالم العربي من قبل».

سيد أحمد غزالي، وزير الخارجية الجزائري
٢٢-١١-١٩٩٠

- لماذا دمشق مع واشنطن والرياض والقاهرة

«إن لقاءنا مع واشنطن، في رفض الغزو العراقي للكويت يرتكز على ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن وخلافنا مع الولايات المتحدة حيال إتخام اسرائيل بالسلاح، مبني على أساس أن السلاح يشجع اسرائيل على مواصلة نهجها العدواني التوسعي ضد العرب وعلى استهتارها بالقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة وموقفنا هذا مبدئي، فنحن ضد الغزو والتوسع. وإذا كانت للولايات المتحدة سياسات مختلفة حيال القضايا الدولية فنحن لا نألو جهداً من أجل إقناع الآخرين بوجهة نظرنا المتطابقة مع القانون الدولي.

. . .

«لقد حذّرْنا إثر الغزو العراقي للكويت من العواقب الوخيمة التي ستلحق بالعراق والعرب إذا لم يُزل حدَثُ الغزو

وفق قرارات قمة القاهرة ومجلس الأمن، وهذه القرارات ما زالت تشكل الاطار لعودة الوضع إلى ما كان عليه قبل الثاني من آب (اغسطس) الماضي. وهذا يفسّر تكثيف الجهود العربية والدولية لازالة حدث الغزو الذي يفتح الباب أمام احتمالات خطيرة للغاية. ومن هنا جاءت استجابتنا لطلب الشقيقة السعودية في الدفاع عن أرضها التي هي أرض عربية في إطار جهودنا القومية لمنع الانجرار إلى الكارثة المحدقة بالعرب كافة، وان خسارة أية قدرة عسكرية عربية خارج إطار صراعنا الأساسي مع اسرائيل والصهيونية هي خسارة للعرب والقضية الفلسطينية. وطوال عقدين من الزمن عملنا ونعمل من أجل تضامن عربي يملك كل مقومات تحرير الأرض وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وقد أثبتت حرب تشرين (اكتوبر) صحة موقفنا القومي الذي يعمل باستمرار لمنع تغليب أي صراع على صراعنا الرئيسي مع العدو الصهيوني وهذا ما أكدناه عندما عارضنا الحرب العراقية ـ الايرانية وحاصرنا انتشارها، وهذا ما نفعله الآن مع أشقائنا العرب من أجل إزالة آثار الغزو العراقي للكويت وتجنيب هدر القدرة العسكرية والاقتصادية للعراق وتدمير ملايين البشر من الشعب العراقي.

«ما يجمعنا كعرب ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع العربي المشترك اللذان يتطلبان الجهد المتواصل لحماية الأمن

العربي من الأخطار المحدقة وتنسيقاً مع القاهرة والرياض، أو أية عاصمة عربية يتم في إطار ممارستنا لمسؤولياتنا القومية وما أقرته القمم العربية حيال القضايا الراهنة والاستراتيجية والتي يشكل الأمن العربي أحد عناصرها الرئيسية خاصة ان موضوع الأمن العربي سابق لأزمة الخليج إنْ لم نقل انه كان في صلب تشكيل الجامعة العربية».

محمد سلمان، وزير الاعلام السوري
٢٥-١١-١٩٩٠

ـ وفد اعلامي كويتي في بيروت

في الأسبوع الأخير من كانون الأول ١٩٩٠ زار بيروت وزير الاعلام وزير الدولة لشؤون المجلس الوطني في الكويت الدكتور بدر جاسم اليعقوب يرافقه السادة: رضا الفيلي وكيل وزارة الاعلام الكويتية والشيخ فيصل خليفة المالك مدير مكتب الوزير وبدر الحوطي المستشار في السفارة الكويتية في سوريا، والسفير أحمد عبد العزيز الجاسم ـ سفير الكويت لدى لبنان وسوريا ـ الذي عرفه اللبنانيون، قبلما اعتمِد سفيراً في لبنان، بمساعيه الحميدة المخلصة الجريئة لاخراج لبنان من دوامة العنف التي تخبط فيها زمناً طويلاً.

وإذ سئل الوزير اليعقوب عما يتوقعه قبل ١٥ كانون الثاني، أجاب:

«الشعب الكويتي سيبقى صامداً سواء أكان موجوداً في الداخل أم في الخارج، وسيعمل جاهداً بمساعدة الأصدقاء على عودة الكويت في أقرب وقت. وطبعاً نحن في انتظار المهلة أي في الخامس عشر من الشهر المقبل، ونتمنى أن يستجيب العراق قبل هذا الموعد بالانسحاب الكامل من الأراضي الكويتية، حتى تعود الشرعية ويسود السلام المنطقة. وإذا لم ينسحب (الرئيس) صدام (حسين) قبل هذا الموعد فهناك حتماً إجراءات ضرورية ستتّخذ لاخراجه من الكويت».

وهل يتوقع حرباً؟ أجاب: «نتمنى ألّا تقع الحرب ولكن قد تكون ضرورية لاخراجه من الكويت».

وبعد كلمة مؤثرة من نظيره اللبناني الأستاذ ادمون رزق الذي استقبله في مكتبه في وزارة الاعلام، رد الوزير اليعقوب، مستذكراً لبنان كما عرفه في الأمس وأحبه، قال:

«اليوم نحن هنا. وأعتقد أن التفاؤل يحيط بكل واحد منا، بأن يعود لبنان ويشتد عوده ويعود إلى سابق عهده قوياً عزيزاً مهيب الجانب ومصون البر (...) لبنان هو الكويت والكويت هي لبنان. وأنا بالأمس عندما وصلت إلى شتورة رأيت الكويت هنا، شعرتُ بكل الأيام الحلوة التي قضيناها في ربوع لبنان. وأتمنى إنْ شاء الله أن نعود مرة أخرى لنلتقي

على أرض لبنان الطاهرة وأرض الكويت المحررة إن شاء الله، ليعود الوفاق ويعم الخير لهذين الشعبين الشقيقين ونبقى معاً، لأن الشعب اللبناني والشعب الكويتي عرفا ما معنى الحرب، وعرفا كيف تُدمَّر البيوت وكيف يُقتل الأبرياء بغير وجه حق».

وأوضح أن هدف زيارته هو «نقل تحيات أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد وولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله إلى لبنان قيادة وحكومة وشعباً» معتبراً أن «النصر الكويتي لن يكون إلا إذا كان الاعلام والقلم اللبناني إلى جانبه». وتمنى «أن تكون الأيام المقبلة حاسمة لنا نحن العرب جميعاً».

٢٢ - ١٢ - ١٩٩٠

- من الرئيس حسني مبارك إلى الرئيس صدّام حسين

أيها الأخ الرئيس صدام،

«أخشى أننا نقترب من جحيم لا يرحم، ومن أيام رهيبة، يعلم الرئيس صدام حسين قبل أي شخص آخر، أنه لا سجال فيها ببيانات التحدي وبلاغات التصدّي، فكل هذا لن يمنع مصيراً تشيب فيه الرؤوس، وتتقوّض المدائن، وتتناثر أشلاء الضحايا في بحور الدماء من هول ما تفعله أسلحة

الدمار الفتّاكة، وتنزل أفدح الأضرار بمصالح الشعوب العربية، وأولها الشعب العراقي.

«ان الجميع ينْشدون السلام، والكل باجماع الآراء في أرضنا العربية وفي عالمنا الاسلامي وعلى المستوى الدولي يريد السلام.

«وإذا وُجدت أصوات يمكن أن نتلمّس منها، أيها الأخ الرئيس صدام، تأييداً لموقفك، فهي رافضة لاحتلال الكويت وضمها للعراق، وهي آملة أيضاً في السلام ساعية إلى تحقيقه.

«ودعْنا ممن يحرّضون على مواجهة دامية، هي غير متكافئة بكل المقاييس، فانهم لا يدركون ـ بكل الأسف ـ حقائق الأمور، أو هم لا يزالون يمارسون الشعارات التي أضاعت منا الكثير من الحق والوقت والأرواح.

«وأكرر القول لك ان انسحاب القوات العراقية من أرض الكويت ـ بعد كل ما جرى ـ هو القرار الشجاع.

«الشجاعة هي في التجرد من الذات في قرار أن تكون الحياة الانسانية أو لا تكون. وهذا قَدَرُ القادة الذين وضعتهم شعوبهم في موقع المسؤولية الأولى.

«أناشدك التضحية بأي اعتبار تتصوره ماساً بذاتك، فبغير

هذه التضحية الصغيرة فأنت تضحي بحياة مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال، تضحي بأرواحهم بحاضرهم ومستقبلهم بأسرهم، ببيوتهم، ثم ناهيك عن الخراب الشامل الذي يحطم مواقع التنمية والانتاج ولن تعوّضه سنوات جهد أو خزائن المليارات.

«لسنا في آمال انتظار تفكك دولي، أو انقسام في الآراء، ومصير الحرب والسلام على أرضنا العربية محكوم الآن بقرار دولي اجماعي لا رجعة فيه، ببيانات واضحة متلاحقة من كل من شاركوا في القرار. وأسمح لنفسي أن أكرر لك وبأعلى الصوت أن الموقف أخطر مما يمكن أن تتخيله أية توقعات. والقرار، قرار السلام، بيدك أنت في المقام الأول. ولن تكون معنا بهذا القرار إلّا مواطناً عربياً شجاعاً، استجاب لضمير أمته وكم عانت أمّتُنا من شعارات الهتافات. . وكم تعاني أمّتُنا من خنادق الوقت الضائع التي نقيمها بأنفسنا، لنقعَ فيها ونؤخر مسيرتنا بأيدينا».

حسني مبارك، رئيس جهورية مصر العربية
٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٩٠

ـ تل أبيب: الهدف العراقي الأول

في حديث إلى قناة تلفزيونية اسبانية خاصة حذر الرئيس صدام حسين تل أبيب من أنها ستكون الهدف العراقي الأول إذا نشبت حرب الخليج. قال:

«اننا نعتبر أن مسؤولية المشاكل والنزاعات العربية تقع على اسرائيل والصهيونية. فهما اللتان دفعتا (الرئيس الأميركي جورج) بوش إلى طريق لا مخرج له حيث هو الآن. واستناداً إلى هذا وفي ضوء المعاناة والعدوان، فاننا نعتبر اسرائيل شريكاً فيه. وبمعنى آخر، إذا كان علينا أن نتحمّل الضربة الأولى أكانت على الجبهة أو هنا في بغداد، فان الضربة الثانية ستتحملها تل أبيب بغضّ النظر عن مشاركة اسرائيل مباشرة في الاعتداء أم لا.

«هؤلاء الذين يتهموننا عليهم أن يأخذوا في الاعتبار أيضاً أن السلاح النووي أخطر من الكيميائي.. فالولايات المتحدة استخدمت السلاح النووي في اليابان. واسرائيل، كما هو معروف للعالم، تملك السلاح النووي. لذلك فان للعراق الحق في امتلاك أسلحة مماثلة للسلاح الذي يمتلكه عدوها أو أسلحة قادرة على إبطال مفعول سلاح عدوها. وهذا سؤال لا يخضع للمناقشة عندنا. ان الولايات المتحدة استخدمت الأسلحة الكيميائية في فيتنام، واستخدمها الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، ونعتقد أن مناقشة هذا الأمر رياء ونحن لا نحترم المرائين».

٢٧ - ١٢ - ١٩٩٠

- قال خبير اقتصادي عربي يعمل في الرياض: «لقد أنفق

السعوديون حتى الآن كل سنت كسبوه بل اقترضوا أيضاً بضمان جزء من دخلهم في السنة المقبلة».

٢٨ - ١٢ - ١٩٩٠

- قال مسؤول في وزارة الخارجية الايرانية ان «أزمة الخليج ألحقت بايران حتى الآن أضراراً مالية قُدرت قيمتها بما بين ٣٠ و ٦٠ مليار دولار». أضاف: ان «على الغرب ومشايخ المنطقة أن يفعلوا شيئاً ما للتعويض على ايران».

٢٨ - ١٢ - ١٩٩٠

- الديبلوماسية السورية وأزمة الخليج

«نحن في سوريا نستغرب أن يعبّر بعض الصحافيين العرب وربما بعض السياسيين العرب أيضاً عن قلقهم وحرصهم على العراق بصوت أعلى من صوت سوريا، دون أن يطالبواالقيادة العراقية بوضوح بضرورة الانسحاب التام من الكويت، لأنه بدون تحقيق الانسحاب فان أحداً في العالم ليس باستطاعته أن يساعد العراق على تجنّب الكارثة. ولا أحد يستطيع أن يساعد القيادة العراقية إذا لم تساعد نفسها وتسحب جيشها من الكويت. ولا نعتقد بأن إلقاء اللوم على الولايات المتحدة أو غيرها في هذا الاطار يساعد العراق والشعب العراقي.

«عندما حدث الاجتياح العراقي للكويت لم تذكر القيادة

العراقية شيئاً عن فلسطين، ولم تقل أبداً انها أرسلت جيشها للكويت لتحرير فلسطين. فاذا ما عدنا إلى وسائل الاعلام العراقية التي سبقت الاجتياح بدءاً من الشكوى التي تقدّم بها العراق للجامعة العربية في منتصف شهر تموز (يونيو) الماضي سنجد أنها لا تتحدث عن فلسطين وإنما تتحدث عن مطالب عراقية في الجزر والنفط الكويتي.

«لو أن القيادة العراقية جادة في مواجهة اسرائيل فانها تعرف أكثر من غيرها الطريق الصحيح لتحقيق هذا الهدف.

«وفي كل الأحوال نحن في سوريا لو كنا على قناعة أكيدة بأن الربط بين أزمة الخليج وقضية فلسطين يؤدي فعلاً إلى تحرير فلسطين لما ترددنا لحظة واحدة بموافقتنا على هذا الربط بصرف النظر عن مواقف الآخرين من ذلك.

«لكن دراستنا لفكرة الربط تؤكد بوضوح أنها لن تكون في صالح القضية الفلسطينية.

«نحن في سوريا نعتقد أن تحقيق الانسحاب العراقي الشامل من الكويت وفقاً لقرارات الأمم المتحدة هو الطريق الصحيح الذي يساعدنا جميعاً كعرب على استعادة حقوقنا المغتصبة وأراضينا المحتلة وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ولنفس المعايير التي طبقناها على الاحتلال العراقي للكويت. لأن العرب سيكونون في هذه الحالة في موقع واحد وبرؤية واحدة

وبتضامن أفضل وبصوت أقوى وأوضح لمطالبة الولايات المتحدة ومجلس الأمن والمجتمع الدولي بتطبيق القرارات الدولية على اسرائيل».

فاروق الشرع، وزير الخارجية السوري
٢٩ - ١٢ - ١٩٩٠

- الديبلوماسية الاسرائيلية وأزمة الخليج

أ - هذا الوحش. . . وهذه المساعدة

«لقد ثبت أن المشكلة الفلسطينية ليست وحدها سبب الاضطراب وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط. فهناك إلى جانب هذه المشكلة مشكلات معقّدة أخرى، مشكلات دول في حيازتها كميات هائلة من الأسلحة. وقد استغل صدّام حسين وضعاً معيناً. لقد قلت في الأمم المتحدة انكم في الوقت الذي أخافكم الخميني، خلقتم بأيديكم هذا الوحش، وزودتموه بكميات هائلة من السلاح، بالمساعدات المالية والمعرفة التقنية. وها قد عاد ما اعتقدناه زال وولّى: أطماع مملكة دجلة والفرات ضد مملكة النيل. وعندك، من ناحية أخرى، أطماع سوريا التي لم تشبع بعد، بالإضافة إلى أنظمة غير مستقرة هي فريسة سهلة لأمثال هؤلاء الطغاة.

. . . .

«يجب أن نتذكر ما قلناه قبل عشرين عاماً، كيف تبجّحوا

وقالوا: من هم العراقيون؟ نجيء وندحرهم، انهم بدائيون، وما شابه ذلك. ترى إلى أين وصلوا في العقد الأخير - إلى حدّ تهديد العالم كله. وربما كانت مبالغة أن نقول «العالم كله»، لكن العراق يهدّد اقتصاد العالم كله وجيرانه. انه يتهددنا بشرائع تتجاوز شرائع الغاب، ويجب ألاّ نستخف بالأمر. انني أتعاطى التهديدات العربية معاطاة جدية لأنني أتذكر نفسي.

«لا يمكن لأحد أن يجزم بما سيفعل العالم المسمّى العالم الحر بزعامة الولايات المتحدة. ان مصالح العالم الحر هي التي أصبحت في خطر. لقد هبت الولايات المتحدة للمساعدة في إنقاذ هذه المصالح، وليس من أجل النظام الديموقراطي في الكويت، وليس حتى من أجل العربية السعودية! والرئيس الأميركي ملزم بدحر هذا الخطر، ليس تجاه شعبه فقط بل أيضاً تجاه العالم كله. وقد لمستُ هذا التصميم في اجتماعاتي مع وزراء خارجية كثيرين في أوروبا، وفي الولايات المتحدة أيضاً، وفي محادثات مغلقة. انهم يدركون أن الخطر لن يزول إذا بقي صدام حسين في منصبه، وسيكون جمع مثل هذا الائتلاف في المستقبل مهمة مستحيلة. فإذا تمت تسوية تبقي صدام حسين وآلته الحربية بكل عناصرها، فأنت عندئذ تبقي فصلاً سيواصل تهديد أنظمة أخرى موالية للغرب.

«وليس عبثاً ان هذه الدول العربية هي في حالة ذعر

تقريباً. فها قد عادت فكرة كل العرب ضد الغرب التي كانت حية في يوم من الأيام، واليوم مع صعود الأصولية بتطرفها تقريباً، التي تأسر الطبقات الأكثر دُونية. ولقد قلت في تلك المحادثات انه إذا حدث هذا الأمر فستكون النتيجة انه (صدام حسين) لن يضطر إلى اللجوء إلى التهديد - إذ سيجيئون إليه ويدفعون الضريبة - ان هذا هو ما سيحدث إذا بقي في منصبه مع آلته، وإذا تبيّن أن هذا الأسطول الحربي الذي يهدده يخاف من خياله. هذا لا يعني أننا نريد الحرب، لكن يوجد خطر ملموس على الجميع - على كل من يحيط بنا».

من حديث صحافي لوزير الخارجية الاسرائيلي دافيد ليفي
٢٣ - ١٠ - ١٩٩٠

ب - من ليفي إلى بايكر

السيد وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر

«لقد دخلت أزمة الخليج مرحلة دقيقة وخطرة. وكما سبق أن لاحظت بنفسك، فان الوقت ينفد. ان المسؤولية الملقاة على عاتق الولايات المتحدة ثقيلة، وأعين العالم مشدودة نحوكم بحثاً عن الدعم والأمن. ان مصدراً مهماً من مصادر التشجيع هو تصميمكم الذي عبّرت أقوال الرئيس (جورج بوش) وأقوالكم عنه، بعدم التراجع بأي شكل من الأشكال عن أهدافكم الأساسية فيما يتعلق بالعراق.

«ان هذا التصميم هو الذي يمكّن اسرائيل من تحمل أخطار سياسة «البروفيل المنخفض» التي تبنّتها. ومن الواضح أننا نجرؤ على التقليل من واجبنا في الدفاع عن حياة مواطنينا وأمنهم. ولا شك عندي أن في هذا التوازن الدقيق بين «البروفيل المنخفض» وحاجاتنا الطبيعية للبقاء يجب أن يقوم على أساس تعاون وثيق جداً، وأيضاً على حوار صريح ومستمر بين اسرائيل والولايات المتحدة.

«اننا نتابع عن كثب الخطوات التي تتخذونها لمعالجة عدوان صدام حسين. في هذا السياق، وبهذه الروحية، لاحظنا برضا قراركم في أن تنحصر الاتصالات بالعراق في تطبيق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالعراق، وبألا تتيح «دعم أو تشجيع حلول جزئية تكافىء المعتدي».

«في أية حال، وكما أوضحتَ أنتَ بنفسك، من غير المسموح بأي حال من الأحوال، إفساح المجال أمام صدام حسين ليخلق رابطاً بين عدوانه والموضوع الفلسطيني. فهذا الأمر كان سيشكل، تحديداً، «جائزة للمعتدي» يجب حرمانه منها بأي ثمن! ولقد سجلتَ من قبل أن الولايات المتحدة ترفض مثل هذا الربط، وانها نجحت ـ في مؤازرتها الأخيرة للمنطقة ـ في نقل هذه الرسالة إلى قادة الدول الذين تحادثت معهم.

«وبحسب تقديرنا للوضع، فان أي حلٍ للأزمة، ينمّي كما تقول «الاستقرار والأمن في هذه المنطقة الحيوية من العالم»، يجب أن يحرم صدام حسين القدرة على توجيه ضربة أخرى إلى سكان هذه المنطقة ووضعهم تحت التهديد المخيف لجيش جبار وسلاح غير تقليدي، يهدّد حياة ملايين البشر في المنطقة، بالاضافة إلى كونه تهديداً دائماً للسلام والاقتصاد العالميين.

«اننا هنا، في اسرائيل، نتابع التطورات بقلق شديد. نحن نواجه عدواً شرساً مسلّحاً من رأسه حتى أخمص قدميه بأسلحة تقليدية وغير تقليدية مدمرة جداً، عدواً لا يخفي رغبته في ضرب اسرائيل وإبادة شعبنا. ولا يستطيع مواطنو اسرائيل أن يتجاهلوا كلمات تبشّر بالمصائب صادرة عن شخصية موثوق بها إلى هذا الحد مثل وزير الدولة الأميركي. فقد أعلن (وزير الدفاع الأميركي ريتشارد) تشيني صراحة أن المسألة مسألة وقت فقط قبل أن يصبح في حيازة صدام حسين أسلحة نووية وقدرة على استخدامها.

«ولقد أضاف الوزير تشيني بشأن الديكتاتور العراقي، فقال: «لقد أنجز أسلحة كيماوية واستخدمها. وهو يعمل على إنجاز أسلحة بيولوجية. لكنه لم يستخدمها بعد. غير اننا نعتقد أنه لو كان في إمكانه أن يفعل لكان بالتأكيد حاول استخدامها هي أيضاً».

«وفي هـذا السياق وعلى خلفية تهديدات صدّام المتكرّرة بمهاجمة اسرائيل بالصواريخ وأسلحة الدمار والابادة الجماعية، فاننا نثمّن تثميناً خاصاً تأكيدكم المتكرر الثابت في اجتماعنا، ان اسرائيل تستطيع الاعتماد على الولايات المتحدة التي سترد الردّ الملائم، وان الولايات المتحدة ستحترم التزامها تجاه أمن اسرائيل وتفوقها النوعي.

«ان دولتينا تواجهان تحدي اجتثاث العدوان العراقي من جذوره. وكذلك الأخطار النابعة منه. ويترتب علينا، كمدافعين عن القيم المشتركة، أن نقف معاً بتنسيق كامل بحيث نستطيع أن نحقق الانتصار الكامل والقاطع في هذه المعركة الحاسمة».

٦-١٢-١٩٩٠

ج ـ الخطر الحقيقي.. والسلام الحقيقي

في «منبر موشيه دايان للاعتبارات السياسية» قال الوزير الاسرائيلي دافيد ليفي:

«إذا أرادت الولايات المتحدة أن تمنع نشوب أزمة في المستقبل تكون أخطر من أزمة الخليج، عليها أن تطلب من الدول العربية المشتركة في الائتلاف ضد العراق، أن تعلن إنهاء حالة الحرب مع اسرائيل بصورة واضحة لا لبس فيها.

«وعلى الأميركيين أن يتذكروا أن سرائيل لن توافق على

فرض اتفاق سلام عليها لن يؤدي إلاّ إلى إضعافها. ان اسرائيل قوية، وهي على استعداد للجلوس إلى طاولة المفاوضات وحتى لتحمّل الأخطار. إن إنهاء حالة الحرب مع الدول العربية هو الشرط الأول لاجراء مفاوضات.

«ويجب أن تجري المفاوضات بين اسرائيل والدول العربية في الوقت نفسه الذي تجري المناقشات لحل المشكلة الفلسطينية ـ الاسرائيلية. إذ لا يمكن أن يحل الشرق والغرب مشكلاتهما عن طريق الحوار وتُحرَم اسرائيل هذا الحق لمجرد أن الدول العربية معنيّة بالقضاء علينا.

«ان الخطر الحقيقي على اسرائيل ينبع من الجيوش العربية كلها. فهل الجيش السوري يشكل خطراً علينا أقلّ؟ ان للسوريين تلك الأيديولوجية وتلك القوة نفسيهما اللتين لدى العراق.

«ان على اسرائيل أن تردّ بقسوة وبرويّة. فالعالم لا يسارع إلى الدفاع عن الضعفاء باسم العدالة، كما قد تصوّره لنا أزمة الخليج. إذ ان الحافز الذي يحرك العالم هو حافز الدفاع عن مصالحه، وعلينا ألاّ نتوهّم انه سيبادر إلى مساعدتنا إذا برز خطر حقيقي يهدّد وجودنا وسيادتنا.

«ومن المحظور على اسرائيل أن تتيح لأعدائها الاعتقاد أنها لن تردّ على اعتداء عليها. فاسرائيل لم تكن دمية أو تابعة لأي

كان، ولن تكون».

٣٠-١٢-١٩٩٠

ـ الرسالة الفريدة

وجّه الرئيس حافظ الأسد رسالة قومية فريدة إلى الرئيس صدّام حسين أول من أمس (السبت ١٢ ـ ١ ـ ١٩٩١) عبر إذاعة دمشق هنا نصها كما وزعتها الوكالة العربية السورية للأنباء «سانا»:

«السيد الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية

«بمشاعر أخوية صافية وأحاسيس قومية صادقة ومن منطلق إدراك الأخطار المحدقة بالوطن العربي عامة وبالعراق الشقيق خاصة، أتوجّه إليكم بهذه الرسالة عبر الأثير حرصاً على أن نجنب الأمة والعراق ما لا تحمد عقباه، وكلي أمل في أن تلقى رسالتي منكم التفهم لحقيقة دوافعي والاستجابة التي أتوخاها.

«وفي هذا الظرف الدقيق الذي يجتازه الوطن العربي، والذي ترصده وتتابع تطوراته جماهير أمتنا وشعوب العالم وحكوماته باهتمام وقلق بالغين، لا أجد مدخلاً إلى مخاطبتكم أفضل من تأكيد وشائج الأخوّة التي تجمع بين شعبينا في سوريا والعراق وتأكيد اقتناعي بأن حرصنا الدائم في البلدين

الشقيقين يجب أن يتركّز على مواجهة التحديات والأخطار التي تتعرض لها الأمة العربية.

«لقد عزمتُ على أن أتوجه إليكم بهذه الرسالة برغم ما بيننا منذ سنوات عدّة من خلافات في وجهات النظر وعلاقات غير ودية آمل أن تتبدّل إلى ما هو خير وأنفع لبلدينا ولأمتنا، لأن ما نحن في صدده يفرض علينا أن نتصارح وأن نتبادل الرأي، فأي أذى يصيب العراق هو في نهاية الأمر أذى يصيب في شكل من الأشكال سوريا والأمة العربية.

«وعندما نرى أن العراق يواجه خطراً جدياً كما هي الحال الآن، فإن الخلافات بين قطرين شقيقين تضمحل وتزول لأن ما يجمع بيننا أكبر وأهم كثيراً من أية خلافات ومكاسب آنية قد تتراءى لنا. هذا إذا صحّ أن نقول اننا أمام أية مكاسب، وإدراك جدية الخطر يدفع المرء إلى الحديث بالصراحة التي تفرضها الروابط الأخوية والقومية. بيد أني أبادر من البداية بالاعراب عن أملي في ألاّ يُفهم كلامي على أنني أريد الإحراج بل إن جلّ همي أن أخاطب الضمائر وغايتي أن تتفاعل العقول والعواطف وأن تسمو الأفكار والأفعال إلى ما يحقق المصلحة القومية العليا ويفوّت على أعداء أمتنا فرصة لا يمكن أن يحلموا بأفضل منها، خصوصاً أن هذه الفرصة تأتيهم بفعلنا وبقرار منا، ولذلك ينبغي أن نحذفها تماماً

بفعلنا وبقرار منا غير مكرهين ولا خائفين من أحد، بل منطلقين من إيماننا بضرورة هذا الفعل وهذا القرار، وهذا هو دور العراق الشجاع في هذه اللحظات. وهكذا لا نسمح لأعداء الأمة أن يجنوا أية فائدة عن طريق استغلال هذه الفرصة ومهما كان العربي يمرّ في ظروف يعتقد أنها حساسة فذلك لا يمنعه من الاستماع إلى صوت إخوانه الحريصين عليه.

«إن المصلحة العربية تعنينا ومصلحة العراق تعنينا. فكلانا جزء من الأمة العربية. ومن هنا تكون الشركة في الرأي التي تنبثق من الشركة في التاريخ والشركة في التراث والشركة في الحضارة والشركة في اللغة والشركة في القيم الروحية والشركة في الآلام والآمال والشركة في المصير والشركة في كل ما يعنيه انتماؤنا إلى الأمة العربية التي انطلقت من أرضها رسالات السماء، وبهرت العالم بما قدّمت من فكر وعلم ومثل، وعلى ذلك فإن المشاركة في ما نحن فيه قولاً وفعلاً هي لنا وعلينا حق وواجب. ومن هنا يصبح واجب الأخ أن يوصل كلمته إلى أخيه الذي بدوره، يصبح واجبه أن يسمع كلمة أخيه، بأقوى احساساته وبذهن مفتوح، لأن كليهما شريكان في المصير ومن سمع كلمة أخيه ما أصابه خسران، ولا خاب عنده ظن.

«وإذا كنتُ أشدّد على الخطر الجدي الذي تواجهه الأمة (العربية) عامة والعراق خاصة، وأدعو إلى تفويت الفرصة على الأعداء، فلستُ في صدَد مناقشة وجه الحق ووجه الباطل في اجتياح العراق للكويت، فهذه مسألة أخرى ليس هذا مكان ولا أوان مناقشتها وإنما المهم في الظرف الراهن، هو ما نواجهه من وضع خطر وخطير يهدّد العراق.

«إن حرصنا على العراق بأرضه وشعبه وجيشه كحرصنا على أنفسنا لأن العراق جزء عزيز غالٍ من أرض العرب وأمة العرب.

«إن المستفيد من الوضع في هذه اللحظات هو اسرائيل التي تحتل أراضي عربية وتخطط وتعمل للتوسع المستمر في أرض العرب وتستفيد من الوضع الدولي الحالي والتناقض العربي، في حين أن العرب مجتمعين ومنفردين وفي مقدمهم العراق هم الخاسرون ولا أرى أن لأحد من الغرب مصلحة في ما يحدث الآن ولا أن للعراق مصلحة فيه.

«إن المصلحة الأساسية للأمة العربية وخصوصاً في هذه المرحلة التاريخية هي في التماسك والتضامن الحقيقي وأن يوفر كل بلد عربي الطمأنينة للبلد العربي الآخر، حتى ولو كانت بينها خلافات في موضوع أو أكثر من الموضوعات العربية. ولا أريد أن أصدّق أن الشعور عند العرب بوحدة المصير قد

زال أو أن التضامن بين العرب صار في حيز المستحيل، بل أريد أن أؤكد أن فداحة الخطر كفيلة بأن تعزز الشعور بوحدة المصير وكفيلة بأن تدفع إلى التضامن العربي وإلى حل الخلافات العربية بالحوار لا بالقسر.

«وأريد أن أؤكد خصوصاً أن مسؤولية العراق وسوريا ودول عربية أخرى هي المساعدة في توفير الطمأنينة والشعور بالأمن للدول العربية المجاورة لها ولو برزت خلافات بين حين وآخر لأن هذه الخلافات يمكن معالجتها بالحوار وبما يعزز الثقة ويبعد خوف أي بلد عربي من الآخر، وهذا يساعد في تعميق روح الأخوّة وتحقيق التضامن العربي الفعّال ويشكّل خطوة مهمة على الطريق نحو وحدة عربية مستقبلية تتحقق بالاقتناع وبالايمان بأن خلاص الأمة في وحدتها. إن المستقبل أمامنا مفتوح لتوحيد الأمة كلها، وأمتنا أمة عظيمة بذاتها وبرسالتها وتراثها وبوفرة إمكاناتها، وهي قادرة على أن تقدّم لنفسها وللعالم، مثلما قدّمت في الماضي من إشعاع روحي وفكري وحضاري أغنت به البشرية.

«السيد الرئيس صدام حسين

«إن صعوبة الواقع الراهن في الوطن العربي وتعقيده، وما يحمله من أخطار ناجمة عن دخول العراق إلى الكويت وضمها بالقوة، وإلغاء وجود الكويت كدولة مستقلة عضو في جامعة

الدول العربية وفي منظمة الأمم المتحدة، وهذا ما لا نعتقد أنه تصرّف مشروع ولا يحق للعراق أن يُقْدم عليه ولو من وجهة نظر وحدوية. لأن أسلوب القوة والعنف ليس بالأسلوب الصالح والملائم لتحقيق الوحدة، بل هو سبب لعرقلة أي عمل وحدوي والنفور منه.

«فليكنْ إذاً انسحاب العراق من الكويت المقدمة لجو جديد، تتلاشى فيه الأخطار الجدية ونقف فيه صفاً واحداً وقوّة واحدة في وجه كل من يهدد أرضنا ومصالحنا وكرامتنا ومصيرنا. وقد يقول قائل ان العراق سيكون مستهدفاً بهجوم حتى لو خرج من الكويت. إنني أريد أن أؤكد في هذا الشأن عهداً أخوياً لا شك فيه أنه لو حدث ذلك بعد الخروج من الكويت فان سوريا ستقف بكل إمكاناتها المادية والمعنوية إلى جانب العراق في خندق واحد تقاتل معه بكل شدّة وبأس إلى أن يتحقق النصر.

«السيد الرئيس صدّام حسين،

«ان مصلحة الأمة فوق كل مصلحة وفي سبيلها تهون كل تضحية ومواجهة الخطر تكون بالقرار الصائب والموقف الصائب، وهذا ما هو منتظر منكم وان قراراً تتخذونه الآن بنزع فتيل الأزمة وتجنيب العراق والوطن العربي أخطار حرب مدمّرة سيسجّل لكم أنه عمل شجاع مناسب في لحظة

مناسبة، والله نسأل أن يلهمنا الصواب ويهدينا سواء السبيل والسلام عليكم ورحمة الله.

حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية»

١٤ - ١ - ١٩٩١

- الردّ «الشمشوني» (مقتطفات)

وكتب الرئيس العراقي صدام حسين إلى الرئيس السوري حافظ الأسد:

«ولأننا أمام امتحان كبير لأمتنا وامتحان لامكانية وقدرة الاستمرارية فيها على طريق العز والفضيلة الذي اختارته بعد أنْ شاء الله فليس بامكاننا أن ننحو منحى التبسيط في قضاياها أو نجتزىء من غير أن نضع الجزء وسط الكل والخاص وسط العام والماضي وسط الحاضر...

«أقول تذكرون يا سيادة الرئيس كيف قلتم جواباً على النقد الذي كان في ذلك الوقت يوجّه إلى موقفكم.. كيف قلتم علناً وفي أحاديثكم مع الوفود والشخصيات العربية التي كانت تزوركم بأنكم تحرصون على الشعب العراقي لتجنبوه الحرب انكم ستقاتلون إلى جانب الجيش العراقي فيما لو تجاوزت الجيوش الايرانية الحدود، وقد عملتم من ناحية أخرى على أن تستمر الحرب. وعندما احتلّت الجيوش الايرانية أراضي ومدناً عراقية ازددتم تفاؤلاً في إمكانية سقوط

نظام الحكم في العراق كما أسميتموه ورفعتم شعاراً أن الحرب هي الوسيلة لذلك، وعندما كان يحصل هذا كنتم تجتمعون ثلاثياً لتخططوا ضد العراق في تلك المحنة، تماماً كما يحصل اليوم في اجتماعاتكم الثلاثية مع أطراف أخرى والمنسقين الأميركان، واليوم هل نحن أمام رسالة، تبحث فيما قيل فيها عن فرصة شريفة وعزيزةلأمة العرب أم ان الرسالة وما فيها ليس إلا ارتباطاً في سياق قد تمّت ممارسته من قبل.

«ان الواجب يقتضي أن نغلق باب التفاؤل في إمكانية أن يصحو أي عربي وسط هذا الازدحام على مفترق الطرق لكل العرب بين ما يزدحم على أبواب العار والرذيلة والرشوة وفقدان كل قياسات الانسان الصحيح والعربي النبيل والمسلم المؤمن.

«وانه لحدَثٌ سيذكره التاريخ لو أن الرئيس حافظ الأسد قد تفاعل مع هذا وانضم إلى هذا الطريق مؤمناً متوكلاً على الله ليصبح قوياً باذن الله وليزيد الجمع المؤمن ما يزيده من قوة فيطرّز ما بقي من سنوات العمر للخاتمة المسك مثلما ندعو إلى الله العزيز الحكيم أن يمتعنا.

«ومع ان جيش سوريا العزيز هو جيش الأمة عندما يؤمن، فاننا نؤكد لكم بأن جيش الايمان في العراق قادر على أن يحمي أرضه وعرضه وشرفه وشرف الأمة وهو المؤمن الذي

لا يستطيع غيره أن ينازل جميع الكفار إلا عندما يؤمن بمثل ما آمن به ويتصاعد فيه الايمان ليبلغ ما بلغه في ضميره ونفسه وصدره وان الله على كل شيء قدير.

صدام حسين، رئيس الجمهورية العراقية
١٩ - ١ - ١٩٩١»

- الرئيس صدّام يخاطب الملك فهد

وجّه الرئيس صدام رسالة مفتوحة إلى الملك فهد أعرب فيها عن «استعداد العراق الكامل لتقديم الضمانات الاضافية التي تطمئن النفوس» لاعادة العلاقات بين السعودية والعراق إلى إطارها الصحيح.

وقال ان «العراق مستعد لأن يعدّ كل ما مضى حلماً مزعجاً لا يحول دون اعادة العلاقات بين العراق والسعودية إلى إطارها الصحيح حيث لا اعتداء ولا عدوان ولا أجنبي يحكم بيننا».

أضاف «ولا شيء في هذا خارج العلاقات الثنائية إلا رحيل الأجنبي بلا إبطاء ولتستقدموا من تستقدمون من جيوش العرب المؤمنين من تطمئن إليهم أنفسكم».

وقال «انكم تعرفون ان المنازلة إذا ما وقعت والمملكة ساحتها قد يموت فيها مئات الألوف من السعوديين أهل نجد والحجاز».

وأوضح صدام «ان العراق تربطه معكم مواثيق واتفاقات كثيرة (...) وقد التزمنا بكل هذه المواثيق التزاماً شريفاً صادقاً أميناً ولم يسجّل علينا أي خرق لأي منها من قبل».

وأضاف متهماً الملك فهد «اننا نعدّ إثماً ومسؤولية كل من يموت في العراق جرّاء نقص في الدواء والغذاء إنما هو إثم ودَيْن في رقابكم (...) وانكم تتحملون إلى جانب المسؤولية العامة... مسؤولية شخصية في هذا».

واعتبر صدام ان «استقدام (السعودية) لجيوش الكافرين إلى أرض نجد والحجاز والمشاركة في تحويل مهمتها عن الدفاع عن السعودية إلى الهجوم على العراق هو إعلان للحرب في العراق».

ودعا الملك السعودي إلى «مراجعة مع النفس لاصلاح المواقف والتصرفات المعادية للعروبة والاسلام والعراق».

وتابع الرئيس العراقي ان الاحتلال «أرهق ميزانية السعودية ودولاً عربية أخرى كان المساكين والمحتاجون الذين يموتون جوعاً في الأمّتين الاسلامية والعربية يحتاجون إليها».

وختم قائلاً «هل ستوغلون أكثر أم تتأملون وتوجهون نقداً ذاتياً للنفس ثم تبدأون عملاً بدون شروط؟». وأضاف «هذا هو استعدادنا ليتراجع من في نيته التراجع عن مسارٍ لن يفضي

إلّا إلى الخيبة ولكنه قد يملأ الدرب بدماء زكية تختلط بدماء فاسدة.

صدام حسين، رئيس الجمهورية العراقية
١٤ - ١ - ١٩٩١»

- الملك فهد يرد على الرئيس صدام

«الرئيس صدام حسين» . .

«حرصا على تبيان الحقائق لكل من اطلع على مضامين رسالتكم من الناس في كل مكان نوجه لكم الاجابة عن بعض ما احتوته تلك الرسالة.

«أولاً: لماذا تتجاهلون السبب المباشر في كل ما حدث ويحدث الآن على صعيد المنطقة العربية من الاضطرابات والانقسامات والمآسي التي تعيشها الأمة العربية منذ اعتدائكم الغادر على دولة عربية مسلمة آمنة مجاورة لكم وقفت إلى جانبكم في الشدائد وآزرتكم بكل ما تستطيعه من عون وتأييد . .

«لماذا ختنتم العهد الذي قطعتموه والوعد الذي أخذتموه عندما أكدتم لي شخصياً ولأخي فخامة الرئيس محمد حسني مبارك بأنكم سوف لا تعتدون على دولة الكويت أو تمسونها بأذى. وبعد بضعة أيام فقط من عهدكم ووعدكم أقدمتم على أبشع جريمة عرفها تاريخ البشرية.

«ولماذا حشدتم الجيوش والمعدات الحربية على حدود المملكة العربية السعودية ثم جئتم اليوم تتساءلون عن سبب وجود القوات الشقيقة والصديقة على أرض المملكة متجاهلين كل ما اقترفته يداكم من الجرائم والآثام.

«ثانياً: لقد حاولت من خلال ما كان يصل بيني وبينكم من أواصر الصداقة والمودة أن أعالج الأمور بالحكمة والروية والكلمة الطيبة وبذلت الكثير في سبيل تحقيق رغبتكم عندما نشأ الخلاف بينكم وبين المسئولين في دولتي الكويت والامارات حول موضوع انتاج البترول واسعاره فأجريت الاتصالات اللازمة بالأشقاء المسئولين في كل من دولتي الكويت والامارات وكان لكم ما أردتم آنذاك ثم بادرت عقب ذلك بالتنسيق والتعاون مع أخي فخامة الرئيس محمد حسني مبارك إلى تطويق الخلاف المتجدد حول موضوع الحدود مع الكويت وهيأت الفرصة لاجتماع موفدكم عزة ابراهيم بوفد الكويت سمو الشيخ سعد العبد الله ولي عهد الكويت في مدينة جدة لبحث أوجه الخلاف والتوصل إلى حلول يرضى بها الطرفان وتم اللقاء وجرى النقاش بين الوفدين دون أي تدخل مني وغادر الوفدان المملكة على أمل عقد الجولة الثانية من المباحثات في بغداد وما هي إلا سويعات حتى فوجئنا بالخطب الجلل عند الساعة الواحدة من فجر يوم الخميس الثاني من «آب» اغسطس لعام ١٩٩٠ باحتلالكم دولة الكويت.

«ثالثاً: بادر الرئيس محمد حسني مبارك إلى دعوة انعقاد القمة العربية الطارئة في القاهرة ليتيح لكم فرصة التراجع من أكرم منبر عربي ومن خلال أكبر حشد عربي وبذلت مع الخيرين من قادة الأمة العربية كل ما نستطيعه لرأب الصدع ورفع الظلم وعودة الأمور إلى مجاريها الطبيعية حرصاً على مسيرة التضامن العربي ووحدة الأمة العربية.

«رابعاً: أجمع العالم بأسره على مسيرة قراراته العربية والاسلامية والدولية على ضرورة انسحابكم الفوري من الكويت دون قيد أو شرط وعودة الشرعية إليها وبالتالي انسحاب حشودكم المرابطة على حدود المملكة العربية السعودية وبذل الخيرون والوسطاء من مختلف دول العالم جهوداً متواصلة ومكثفة لاقناعكم بدفع الظلم عن دولة الكويت وعودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الثاني من أغسطس لعام ١٩٩٠ وتتالت مبادرات ومناشدات القادة والزعماء لتحقيق المطالب العادلة والمشروعة بانسحاب قواتكم من الأراضي الكويتية ولكنكم أبيتم إلا الاستمرار في إصراركم على مواصلة العدوان مرددين الفرية الكبرى بأن الكويت جزء من العراق ـ والله يشهد ثم التاريخ بأن الكويت لم تكن يوماً واحداً تحت حكم العراق.

«خامساً: تقولون في رسالتكم وبأسلوب نترفع عن مجاراته

من حولنا بدعوة القوات العربية والصديقة.

«ولعلكم من موقع المسئولية تدركون أو لا تدركون ان الذي خولنا هو واجب الدفاع عن أرضنا وحرماتنا.

«سادساً: يقول الله تعالى في كتابه العزيز «ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون».

«وقد جاء في رسالتكم اننا لم نقدم لكم إلا ما يساوي مبلغ احد عشر مليوناً وخمسمائة وثلاثين ألف دينار اسهاماً في تعمير البصرة ولم نقدم سوى بعض المعدات التي لا تزيد قيمتها على مليون دينار لتعمير الفاو.

«ونحن نعتقد من خلال ما اضطررتمونا إليه الآن أن الوقت قد حان لاعلان الحقيقة للناس بالأرقام والمسميات..

«لقد قدمت لكم المملكة العربية السعودية يا حاكم العراق ما مجموعة ٢٦ مليار دولار.

«سابعاً: تقولون ان بيننا مواثيق واتفاقيات كثيرة ومنها ما يقع ضمن إطار عدم الاعتداء واستخدام القوة.

«فهل حفظتم أنتم تلك المواثيق.

«ثامناً: وأخيراً تقولون في رسالتكم انكم على استعداد لجعل ما مضى حلماً مزعجاً لا يحول دون إعادة العلاقات بين العراق والسعودية إلى إطارها الصحيح حيث لا اعتداء ولا

عدوان ولا أجنبي ـ يحكم بيننا كتاب الله ومستوى الترابط القومي الأخوي والروحي بين شعبينا على قيم الفضيلة والتراحم والتواد ولا شيء غير هذا خارج العلاقات الثنائية إلا رحيل الأجنبي بلا إبطاء..

«وجوابنا على طرحكم هذا يسير وبسيط ويتمثل في قوله تعالى «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» والبرهان الذي نريده وتريده معنا كل دول العالم بل ويطالبون به هو إعلانكم الانسحاب الفوري قولاً وعملاً من الكويت لتعود إلى وضعها الطبيعي بقيادة أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح وحكومته وبالتالي سحب جميع قواتكم من المواجهة على حدود المملكة العربية السعودية.

فهد بن عبد العزيز، خادم الحرمين الشريفين
١٧ ـ ١ ـ ١٩٩١»

ـ غلاسبي تتهم صدام بالكذب

قالت سفيرة الولايات المتحدة السابقة في العراق ابريل غلاسبي ان الرئيس العراقي صدام حسين «كذب» عليها قبل أيام من اجتياح الكويت وان ذلك كان «خداعاً متعمّداً على مستوى كبير».

وقد أدلت غلاسبي بشهادتها أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، وهو أول ظهور لها منذ نشر العراق محضر لقائها مع صدام الذي قالت فيه انه «ليس

عندها موقف من الخلافات العربية مثل النزاع الحدودي بين العراق والكويت».

وقالت غلاسبي ان المواقف الأميركية كانت «حازمة» في تهديدها للعراق بالرد بقوة «كقوّة عظمى» إذا اتخذ خطوة عدائية تجاه الكويت أو الامارات العربية.

وقالت غلاسبي ان صدام «أخذ على حين غرة» بقوة الانذار الأميركي «الذي نقلته شخصياً». وأضافت ان صدام «كان مذهولاً» وانه «خطر على باله أننا يمكن أن نقاتل».

واستطردت غلاسبي بالقول «يبدو أن صدّام استبعد في النهاية الفكرة، مقتنعاً نفسه أن الدول العربية لن توافق أبداً على قبول قوات أميركية على أرض عربية».

ابريل غلاسبي
٢١ ـ ٣ ـ ١٩٩١

ـ نتائج عملية تحرير الكويت

«١ ـ خسر العراق المعركة السياسية تماماً كما خسر المعركة العسكرية وفقد ما يزيد على ثلثي قواته المسلّحة وما بين ٨٠ ـ ١٠٠ ألف قتيل وخضع في النهاية للارادة الدولية وتم تحرير الكويت بالقوة المسلحة. ويوضح الجدول الآتي الخسائر البشرية العراقية مقارنة بخسائر قوات التحالف:

العراق			التحالف	
قبل الحرب	ما تم تدميره		قبل الحرب	ما تم تدميره
٤٢٨٠	٤٠٠٠	الدبابات	٢٣٦٠	٤
٣١١٠	٢١٤٠	المدفعية	٢٦٣٣	١
٢٨٧٠	١٨٧٠	ناقلات مدرعة	٤٠٥٠	٩
٠١٦٠	٠٠٠٧	هليكوبتر	١٩٥٩	١٧
٠٨٠٩	١٠٣(*١)	طائرات قتالية	٢٦٠٠	٤٤
٠٠٦٠	٨٣(*٢)	سفن حربية	٠١٢٠	٠٢

٢ ـ تكبدت قوات التحالف نفقات مالية ضخمة يمكن بيانها كالآتي:

أ ـ تكاليف عملية «درع الصحراء»: متوسط التكاليف اليومية منذ الثاني من أغسطس (آب ١٩٩٠) حتى ١٦ يناير (كانون الثاني ١٩٩١): ٧٦,٨ ميلون دولار يومياً باجمالي ١٢,٩ بليون دولار.

(*١) ١٣٩ طائرة عراقية نزحت إلى ايران وما زالت هناك. في حين كشفت بغداد وجود ١٤٨ طائرة لها في ايران وهي ١١٥ طائرة عسكرية و٣٣ طائرة مدنية. واعترف وزير الخارجية الايراني الدكتور علي أكبر ولايتي بوجود ٢٢ طائرة عراقية في ايران، أما قوات الحلفاء فقدرت عدد هذه الطائرات بأكثر من ١٥٠ طائرة (م. ج).

(*٢) استولى العراق على ما يزيد على ٢٨ قطعة بحرية بعد غزو الكويت كانت تابعة للبحرية الكويتية، وقد تم تدمير معظمها أيضاً.

ب ـ تكاليف عملية «عاصفة الصحراء»:

ـ الحرب الجوية: ٢٩٥ مليون دولار في اليوم الواحد باجمالي ١٣,٣ بليون دولار خلال ٤٥ يوماً.

ـ الحرب البرية: ٥٢٠ مليون دولار في اليوم الواحد باجمالي ٢,١ بليون دولار خلال ٤ أيام.

ج ـ تكاليف إزالة المخلفات وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه:

ـ فترة ما بعد المعركة (٣ شهور) ٧ بليون دولار.

ـ تكاليف عودة القوات ١١,٥ بليون دولار.

د ـ اجمالي التكاليف: ٥٠ ـ ٦٠ بليون دولار.

٣ ـ دمرت الاغارات الجوية للتحالف التي وصل عددها إلى ما يزيد على ٩٧ ألف إغارة البنية الأساسية للعراق. وبلغ اجمالي وزن القنابل والصواريخ التي أسقطت على القوات العراقية في العراق والكويت المحتلة ١٤١٩٢١ طناً بينما يصل وزن القنابل التي ألقيت على مدينة نجازاكي[1] ٢٤٢٠٠ طن

---

(١) نجازاكي، ميناء غربي كيوشو باليابان، على خليج نجازاكي، بها دور صناعة السفن ومصايد الأسماك. كانت مركزاً قديماً للمسيحيين. وأول ثغر ياباني استقبل التجارة الغربية، استخدمها الهولنديون سوقاً ١٥٦٠ م، ثم الأمريكيون ١٨٥٤ م، وبقية الدول الغربية ١٨٥٨ م. ألقيت عليها القنبلة الذرية الثانية (٩ اغسطس ـ آب ١٩٤٥) إبان الحرب العالمية الثانية.

والقنابل التي ألقيت على مدينة درسدن[٢] الألمانية ٣٤٢١ طناً. وإزاء ذلك سوف يحتاج العراق إلى تكاليف بالغة الضخامة لاعادة بناء ما دمرته الحرب.

٤ ـ تعرّضت الكويت لعملية دمار شامل سواء على أيدي القوات العراقية التي دمّرت المرافق الأساسية الكويتية ونهبت الممتلكات وأحرقت آبار البترول وسرّبت النفط إلى مياه الخليج وقتلت أعداداً كبيرة من الشعب الكويتي وحاولت إفقاده هويته وسوف تحتاج عملية إعادة إعمار الكويت مبالغ طائلة تصل إلى حوالي ٤٠ مليار دولار، في الوقت الذي فقدت فيه الكويت نسبة لم تقدر بعد من إمكانيات انتاج النفط الخام في المستقبل».

عميد أ. ح / مراد ابراهيم الدسوقي
السياسة الدولية (١٠٤) ص ٢٢

(٢) درسدن: مدينة المانية، عاصمة سكسونيا بالمانية الشرقية (سابقاً)، على نهر الألب، مركز صناعي، وميناء داخلي كبير. محلة سلافية في الأصل، واستوطنها الألمان في القرن الثالث عشر. مقر منتخبي سكسونيا (ملوكها فيما بعد) (١٥٤٧ ـ ١٩١٨). أصبحت في أواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر مركزاً للفنون، ومثلاً بارزاً للعمارة من الطراز المختلط (باروك) والطراز المعقّد الزخرفة (روكوكو). دمر نحو ثلاثة أرباعه في الحرب العالمية الثانية.

ـ أشار اختصاصيون أميركيون في الشؤون العسكرية إلى أن اليوم الأول من عملية «عاصفة الصحراء» على العراق كلف الولايات المتحدة ٥٠٠ مليون دولار على الأقل.

وبحسب توقعات الموازنة التي أعدها الكونغرس الأميركي الأسبوع الماضي ستكلف الحرب الولايات المتحدة ما بين ٢٨ و ٨٦ مليار دولار وذلك حسب مدة المعارك وكثافتها.

١٩ ـ ١ ـ ١٩٩١

ـ تعهدت الكويت أمس دفع «مبلغ صغير متواضع» للمساهمة في تغطية نفقات الحرب للأشهر الأولى الثلاثة من هذه السنة، وكذلك قررت السعودية المساهمة بمبلغ مماثل.

وإذ صرّح سفير الكويت لدى الولايات المتحدة الشيخ سعود ناصر الصباح أن حكومته «قررت المساهمة بمبلغ ١٣,٥ مليار دولار للأشهر الثلاثة الأولى من سنة ١٩٩١»، أعلن وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر أن السعودية «قررت هي دفع ١٣,٥ مليار دولار إضافية ليرتفع بذلك الدعم الدولي لعملية إخراج القوات العراقية من الكويت إلى ٣٦ مليار دولار في الأشهر الثلاثة المشار إليها، علماً أن اليابان كانت أعلنت تقديم تسعة مليارات دولار».

٢٧ ـ ١ ـ ١٩٩١

- تواصلت أمس (الاثنين ٤ ـ ٢ ـ ١٩٩١) العمليات الحربية بكل أنواع الأسلحة وتميزت بالقصف الجوي الكثيف لبغداد وضواحيها، وتدخل سلاح البحرية للمرة الأولى بقصف أهداف داخل الكويت بأكبر المدافع المستعملة عسكرياً بعد دخول قاذفات «ب ـ ٥٢» الضخمة الحرب، وتأكيد فرنسي أن العراق سيستخدم أسلحة كيميائية.

وأصابت الغارات الجوية التي تشنها القوات المتحالفة البنية الأساسية في العراق بالشلل وجعلت السكان يعيشون في حالة مزرية. فالتيار الكهربائي مقطوع ولا وجود إلا للقليل من الماء في المدن العراقية الكبرى.

٥ ـ ٢ ـ ١٩٩١

- قال سكان مدينة النجف العراقية ان طائرات أميركية القت ١٢ قنبلة على منطقة سكنية تبعد حوالي خمسة كيلومترات عن مقام الامام علي في المدينة مما أسفر عن مقتل ٢٠ شخصاً على الأقل وجرح عشرات آخرين.

٥ ـ ٢ ـ ١٩٩١

- اتهمت صحيفة «التجمع» الناطقة باسم حزب «التجمع الوحدوي اليمني» أمير منطقة مكة ماجد بن عبد العزيز بأنه «أصدر توجيهات إلى الدوائر والمؤسسات السعودية لحثها على

بذل جهود إضافية لمضايقة من تبقى من المغتربين اليمنيين في المملكة».

وأكدت الصحيفة أن وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز «كان قد أوصى أمراء المناطق بتسخير طاقاتهم لايذاء اليمنيين بصورة سرية وغير معلنة للنظر».

٥ ـ ٢ ـ ١٩٩١

- اتهمت صحيفة «الوحدوي» الناطقة باسم «التنظيم الوحدوي الشعبي الناصري» (في صنعاء) المملكة العربية السعودية بـ «قتل المغتربين اليمنيين وغيرهم من العمال العرب (...) مدّعية بعد ذلك أنهم ضحايا قصف الصواريخ العراقية».

ونشرت الصحيفة أن «عناصر من الأمن السعودي اختطفت هؤلاء العمال من مراكز عملهم ومن منازلهم ونقلتهم بسيارات عسكرية وحشرتهم قسراً في ملاجىء تحت الأرض وأمطرتهم بوابل من النيران والقنابل ثم أرسلت جثث هؤلاء الشهداء إلى بلدانهم مدّعية أنهم ضحايا قصف الصواريخ العراقية». ورأت أن «هذه الجريمة تعكس مدى الحقد الأسود الذي يختزنه أجلاف الصحراء لأبناء العروبة والاسلام، لكن العقاب العاجل آتٍ لا ريب فيه».

٦ ـ ٢ ـ ١٩٩١

ـ دمّرت الغارات الجوية الكثيفة التي شنتها طائرات القوات المتحالفة الجسور الثلاثة الرئيسية في بغداد التي تسمح بعبور الفرات، واستهدفت مناطق سكنية في عدد من المدن العراقية مع اقتراب الساعة الصفر لبدء الهجوم البري على الكويت، بينما دعا العراق العرب والمسلمين إلى مهاجمة أهداف أميركية وغربية.

٨ ـ ٢ ـ ١٩٩١

ـ أكدت إذاعة بغداد في تعليقها اليومي أن القوات العراقية «سليمة ومستعدة تماماً لمواجهة المعتدين» على رغم الغارات التي شنتها القوات «الأميركية والصهيونية». وقالت: «بعد اثني عشر يوماً من القصف البربري على كل مدن العراق تقريباً لا تزال القوات العراقية سليمة وتنتظر بدء الهجوم البري لابادة الغزاة». وأضافت «انه بعد فشل غارات الحلفاء في التأثير على معنويات الشعب العراقي، بدءاً بقصف المنازل والمساجد والمدارس والمؤسسات العلمية والثقافية والفنية، يصبح الانتصار العراقي أمراً مؤكداً».

ونشرت صحيفة «الجمهورية» الحكومية أن «صدام حسين يمضي في انتظام جانباً كبيراً من الليل في بغداد مع السكان والجنود ويناقش مع المواطنين الوضع على الجبهة ويطمئنهم إلى قرب الانتصار».

٩ ـ ٢ ـ ١٩٩١

ـ إستعمار جديد

قالت صحيفة «برافدا» الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي، «ان الحرب التي تشنها القوات المتحالفة على العراق هي مسعى لحماية المصالح النفطية الأميركية في الخليج» وتكهنت بأن تتحول الحرب قريباً إلى «عمل من أعمال الاستعمار الجديد».

وقال المعلق السياسي للصحيفة تسفولود أوفتشينكوف في تعليق عنوانه «نفط تفوح منه رائحة الدم»: ان «استراتيجية واشنطن في الخليج تحركها رغبتها في كسب ميزة اقتصادية على اليابان وأوروبا الغربية».

وكتب يقول: «أخشى أن تتحول المهمة التي أقرتها الأمم المتحدة إلى عمل من أعمال الاستعمار الجديد ذي هدف مختلف كل الاختلاف وهو احتلال مواقع رئيسية في الصراع على مصادر الطاقة لتضمن بذلك للاحتكارات الأميركية موقع الهيمنة في الاقتصاد العالمي».

٩ ـ ٢ ـ ١٩٩١

ـ أفادت دراسة نشرتها أمس مؤسسة يابانية شبه رسمية أن قيمة ديون العراق الخارجية ستبلغ مع دفع تعويضات محتملة عن أضرار الحرب أكثر من مائتي مليار دولار حتى لو توقفت الأعمال العسكرية على الفور.

وتقدّر المنظمة اليابانية الأضرار التي ألحقها الجيش العراقي بالكويت بأكثر من خمسين مليار دولار.

١٣ - ٢ - ١٩٩١

- دوّى في العالم أمس، وبعد ١٩٨ يوماً على الغزو العراقي للكويت، و ٣٠ يوماً على بدء الحرب، أول عرض عراقي رسمي للانسحاب من الكويت، ربطته بغداد بشروطها السابقة التي صاغتها بلغة مطالب، وأضافت إليها مطالب جديدة، لكن واشنطن سارعت إلى الرفض وانضمت إليها عواصم أوروبية غربية كانت قد رحّبت بالعرض، فيما تميزت موسكو بموقف الارتياح معتبرة أن التطورات الديبلوماسية في الخليج تعطي «ما يكفي من الأمل» لتسوية الأزمة.

١٦ - ٢ - ١٩٩١

- قال السناتور الأميركي فرانك موركاوسكي، وهو من بين خمسة أعضاء في مجلس الشيوخ التقوا مع الرئيس العراقي صدام في الربيع الماضي، ان «الرئيس العراقي يعاني من حالة نفسية مركّبة نشأت من طموح كبير للسيطرة على نفط الشرق الأوسط وعقدة نقص عميقة».

أضاف ان «صدام ألمح إلى نواياه قبل نحو أربعة أشهر من قيام جيشه بغزو الكويت في الثامن من آب الماضي».

وقال ان «صدام ظل في موقع الدفاع عن النفس طوال

الاجتماع الذي استغرق ثلاث ساعات ونصف الساعة وأنه أحبط أعضاء وفد مجلس الشيوخ الأميركي لاستخفافه بهم».

١٦ - ٢ - ١٩٩١

- قال رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير انه «سيحمل حلمه بسيطرة اسرائيل الدائمة على الضفة الغربية (المحتلة) إلى محادثات تسوية بعد حرب الخليج».

وسألت هيئة الاذاعة البريطانية شامير عما إذا كان يريد «اسرائيل الكبرى» وقد امتدت من البحر المتوسط إلى نهر الاردن فأجاب قائلاً: «هذه عقيدتي وهذا حلمي شخصياً».

١٦ - ٢ - ١٩٩١

- نقلت وكالة الجمهورية الاسلامية للأنباء «إرنا» الايرانية عن نائب رئيس الوزراء العراقي (صار فيما بعد رئيس الوزراء) سعدون حماده أن أكثر من ٢٠ ألف قتيل مدني عراقي سقطوا في الأيام الـ ٢٤ من حرب الخليج وأن عدد الجرحى يفوق ٦٠ ألف شخص، الأمر الذي يتجاوز بكثير ما تعلنه القوات المتحالفة وما تقر به بغداد.

٢٠ - ٢ - ١٩٩١

١٨ - بوش يأمر بالحرب البرية

- «مساء الخير، بالأمس بعد أن اجتمعت مع كبار

مستشاري الأمن القومي وبعد مشاورات مكثّفة مع شركائنا في التحالف أعطي صدام حسين الفرصة الأخيرة التي طُرحت بشكل صريح للغاية حتى يُقْدم على ما كان يجب عليه أن يفعله قبل ما يزيد على ستة أشهر، الانسحاب من الكويت دون شروط ومن دون أي تأخير والالتزام بكافة القرارات التي أصدرها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وللأسف انتهت المهلة في الظهيرة من دون أن توافق الحكومة العراقية على الاستجابة للمطالب الواردة في قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٦٦٠ والتي حددتْها بوضوح دول التحالف للانسحاب من دون شروط من الكويت.

«وعلى النقيض فإن ما رأيناه هو مضاعفة جهود صدام حسين لتدمير الكويت وشعبها تماماً. ولذلك فقد أصدرت تعليماتي للجنرال نورمان شوارسكوف بالتنسيق مع قوات التحالف لاستخدام كل القوات المتاحة بما في ذلك القوات البرية لطرد الجيش العراقي من الكويت. مرة أخرى اتخذ هذا القرار فقط بعد مشاورات مكثّفة مع شركائنا في التحالف.

«والليلة بينما تسعى الدول المتحالفة للقيام بما هو حق وعدل أطلب منكم فقط أن تلقوا ما في أيديكم وتصلّوا من أجل القوات المتحالفة جميعاً، وخاصة رجالنا ونسائنا

العسكريين الذين يخاطرون في هذه اللحظة بحياتهم من أجل بلادهم ومن أجلنا جميعاً. ليبارك وليحفظ الله كلّ فردٍ منهم وليبارك الولايات المتحدة وشكراً جزيلاً.

جورج بوش، رئيس الولايات المتحدة الأميركية

٢٥ - ٢ - ١٩٩١»

- «أصبح عدد الصواريخ (طراز «سكود») التي أطلقها العراق على اسرائيل ٣٩ صاروخاً أسفرت عن مقتل ١٢ اسرائيلياً وإصابة أكثر من ٣٠٠ بجروح، وتدمير مئات الشقق السكنية».

الجنرال نعمان شاي

٢٦ - ٢ - ١٩٩١

- «ان اسرائيل ليست بحاجة لتدمير منصات الصواريخ العراقية ما دامت الولايات المتحدة تهاجم العراق».

اسحق شامير

٢٦ - ٢ - ١٩٩١

- نسب عسكريون مسؤولون تابعون لقوات التحالف في السعودية مسؤولية إشعال الحرائق في آبار النفط الكويتية إلى القوات العراقية في الكويت والتي يزعم الرئيس الأميركي أنه جزء من سياسة «الأرض المحروقة» التي أمر بها الرئيس العراقي صدام حسين، بينما يزعم العراق أن الغارات الجوية التي تشنها القوات المتحالفة هي التي أدت إلى إشعال هذه الحرائق.

ومن جهة أخرى، قال الخبير في مكافحة حرائق آبار نفط ريد ادير: «لم أر أي شيء مثلها وآمل ألّا أرى أي شيء مثلها مرة أخرى. هذه الأرض ستصبح شديدة الحرارة، وهي ستحوّل تلك الرمال إلى زجاج».

٢٦-٢-١٩٩١

١٩ - خطاب الهزيمة

بعد الهزيمة الفظيعة المروّعة التي مني بها العراق، وجّه الرئيس صدام إلى شعبه وقواته وأمته وعموم المسلمين والخيّرين في العالم الخطاب التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«أيها الشعب العظيم، أيها النشامى في قوات الجهاد والايمان رجال أم المعارك الأماجد، أيها الغيارى المؤمنون الصادقون في أمتنا المجيدة وعموم المسلمين وكل الخيرين في العالم، أيتها الماجدات العراقيات،

«في ظروف ولحظات كهذه يصعب الحديث عن كل الذي ينبغي الحديث عنه واستحضار القول بكل ما ينبغي الذكر به ومع هذا الظرف لا بد أن نذكّر بما يجب وأن نقول جانباً أساساً مما ينبغي.

«ونقول ابتداء من هذا اليوم ستكمل قواتنا المسلّحة الباسلة الانسحاب من الكويت، وبهذا اليوم تكون مقاتلتنا

للعدوان ولصفّ الكفْر بحلف بغيض مؤلّف من ثلاثين دولة دخلت الحرب ضدنا بصورة رسمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، يكون قتالنا لهم قد امتد عبر زمن في الشهر الأول من هذه السنة الميلادية ابتداء من ليلة ١٦ - ١٧ إلى هذا الزمن من الشهر الجاري الثاني من هذه السنة وعبر شهرين من زمن المنازلة الأسطورية التي جاءت برهاناً ساطعاً على عبرة أرادها الله لتكون مدخل ايمان وحصانة واقتدار للمؤمنين ومدخل هاوية وضعف وذلة أرادها الله سبحانه للكفرة والمجرمين والخونة والفاسدين والمنحرفين».

أضاف:

«وبعدما حصدنا ما حصدنا سيكون الحصاد الأكبر ومحصوله ضمن الزمن اللاحق وهو أكبر بكثير من زمننا الحالي، على ما في زمننا الحالي من نصر وعز ومجد ارتكز على تضحيات إيمان عميق سخي بلا تردد أو خوف أعزّ الله فيه المجاهدين العراقيين وكل عمق هذا الخط الجهادي على صعيد الوطن العربي وعلى مستوى الناس جميعاً ممن كتب الله لهم شرف الانتهاء والهداية والموقف الشريف.

«وإلى أن يأذن الله بتوقف الصراع هو يعدل في اتجاهاته ومنحاه والمواقف بما يسرُّ المؤمنين ويزيدهم عزاً».

وقال صدام:

«أيها العراقيون النشامى وأيتها العراقيات الماجدات،

«حتى الكويت التي هي جزء من بلدكم واقتُطِعت منه في السابق وشاءت الظروف اليوم لتبقى الحال الذي ستكون عليه بعد انسحاب قواتنا المجاهدة منها والذي أساءكم أن يحصل هذا، حتى هذه الكويت التي ستذكّرنا في يوم النداء يوم تقرر أن تكون بوابتها إحدى البوابات الرئيسية لردع المؤامرة والدفاع بوجه المتآمرين على العراق ككل. نقول حتى الكويت التي استذكرنا عنها في يوم النداء الأغرّ وما بعده وثائق وأحداثاً عمرُ بعضها أكثر من سبعين سنة، سيتذكر العراقيون ولم ينسوا أنها في ٨/٨/١٩٩٠ ميلادية أصبحت جزءاً من العراق قانونياً ودستورياً وفعلياً. وامتد حالها على هذه الحال طيلة الزمن الممتد من ٨/٨/١٩٩٠ حتى الليلة الماضية (الأحد ـ الإثنين: ٢٤، ٢٥/٢/١٩٩١) حيث بدأ الانسحاب وهذا اليوم حيث يكتمل انسحاب قواتنا إن شاء الله.

«اليوم جعلتْ ظروفٌ خاصة جيش العراق ينسحب من جراء الملابسات مما ذكرنا ومنها عدوان ثلاثين دولة مجتمعة وحصارها البغيض تتقدمهم في الشرّ والعدوان الآلة والكيان المجرم في أميركا وحلفائها الكبار.

«وقد أخذ هذا العنف الخبيث عمق وفاعلية عدوانيته ليس من نواياه العدوانية المسبقة ضد العراق والأمة العربية والاسلام فحسب وإنما من موقف الذين انخدعوا بدعوة الشرعية الدولية أيضاً».

وقال صدام مفسّراً الهزيمة بالنصر وأي نصر:

«وسيذكر الجميع أن أبواب القسطنطينية لم تنفتح أمام المسلمين في أول محاولة جهادية وأن فلسطين العزيزة التي ركن المجتمع الدولي حريتها واستقلالها في زوايا النسيان ومهما حاول المشبوهون، فإنها بفضل تضحيات وجهاد الفلسطينيين والعراقيين عادت لتطرق الأبواب الموصدة على الباطل. عادت فلسطين تطرق هذه الأبواب لتجبر المتجبرين والخونة على حل يضعها في مقدمة القضايا التي لا بد لها من حل ويعز أهلها ويضع الحال أمام فرص متطورة أفضل، وأصبحت قضية الكفر والانصاف والاجحاف والايمان والخيانة والاخلاص والأمانة عناوين مقترنة في أحداث قريبة لأشخاص معلومين واتجاهات معروفة ترجح كل ما هو ايجابي على ما هو سلبي وكل ما هو مخلص على القادر المدمر وكل ما هو طاهر شريف على كل ما هو فاسد.

«وأصبحت ثقةُ المواطنين والمؤمنين المجاهدين والمسلمين أكبر من السابق بكثير وأصبح الأمل يقترب أكثر فأكثر.

«لقد قامت الشعارات من مخازنها لتحتل وتتصدّر واجهات النضال القومي والانساني بقوة ولذلك فـان النصر الكبير الآن وفي المستقبل إن شاء الله».

ثم قال:

«اهتفوا للنصر أيها الأخوة. اهتفوا لنصركم ونصر كل الشرفاء. أيها العراقيون، لقد قاتلتم ثلاثين دولة وما يحيط بهم من شر وأقوى آلة الحرب والدمار في العالم على الاطلاق.

«لقد انتصرتم بالحق على الباطل أيها النشامى وكان الله ناصركم. لقد انتصرتم يوم رفضتم باسم الايمان إرادة الشر التي أراد الأشرار فرضها عليكم لانتزاع جذوة الايمان من صدوركم.

«وبقي الايمان واليقين والأمل والتصميم عامراً في صدوركم ونفوسكم وقلوبكم بل ازداد عمقاً وتألقاً وإشراقاً ورسوخاً.

«الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر وليخسأ الخاسئون
يا محلى النصر بعون الله.

صدام حسين
٢٧ - ٢ - ١٩٩١»

٢٠ ـ بوش يرد

على هذا الخطاب ردّ الرئيس بوش، فقال:

«خطاب (الرئيس العراقي) صدّام (حسين) فظيع. إنه لا ينسحب. قواته المنهزمة تتقهقر. إنه يحاول إعلان انتصاره وسط الاندحار وهو لا يتخلى طوعاً عن الكويت. إنه يحاول انقاذ ما بقي من سلطته وسيطرته في الشرق الأوسط بكل الوسائل الممكنة وهنا أيضاً سيفشل صدام حسين.

«إن صدام ليس مهتماً بالسلام بل مهتم فقط بتجميع قواته والقتال يوماً إضافياً، إنه لا يتخلى عن مطالبة العراق بالكويت، بل على العكس هو يقول بوضوح ان العراق يواصل المطالبة بالكويت.

«وهو لا يُظهر أقلّ شعور بالأسف حيال عدوان العراق أو أقل إشارة إلى أنه مستعد لتحمل مسؤولية النتائج المرعبة لهذا العدوان.

«إنه لا يزال يرفض الموافقة على قرارات مجلس الأمن أو على الشروط التي فرضها التحالف في ٢٢ شباط وضمنها إطلاق جميع أسرى الحرب والمعتقلين من دول أخرى ووضع حدٍ لتدمير الكويت».

أضاف بوش:

«إن التحالف سيواصل إذاً الحرب من دون تخفيف وتيرتها.

«وهكذا فإننا لن نهاجم جنوداً منزوعي السلاح متقهقرين مثلما أعلنّا مساء، ليس عندنا خيار آخر سوى اعتبار انسحاب الوحدات المقاتلة بمثابة تهديد وسنردّ عليه بالتالي.

«ان أي شيء آخر يتضمن مخاطر إضافية في الخسائر في الأرواح البشرية للولايات المتحدة والتحالف. إن أفضل وسيلة لتفادي وقوع خسائر أخرى من الجانبين هي أن يُلقي الجنود العراقيون أسلحتهم مثلما فعل نحو ثلاثين ألف جندي عراقي حتى الآن».

وختم بوش قائلاً:

«لقد آن الأوان لتلقي جميع القوات العراقية على مسرح العمليات والقوات التي تحتل الكويت وتلك التي تدعم احتلال الكويت أسلحتها. ان هذا الأمر سيوقف حمام الدم.

«قلت منذ بدء العمليات الجوية قبل ستة أسابيع ان جهودنا ستتواصل بحسب البرنامج المتوقع. ان تحرك قوات التحالف سبق البرنامج الموضوع. ان تحرير الكويت هو في متناول اليد.

«اسمحوا لي أن أضيف اني أقاسم كل الشعب الأميركي الاعتزاز أمام الأداء الرائع والبطولي لقواتنا المسلّحة. فليباركها الله وليحفظها.

جورج بوش
٢٧ - ٢ - ١٩٩١»

٢١ - المجد لاميركا

١ - في اليوم الثاني أعلن العراق اكتمال انسحابه المأسوي من الكويت وناشد موسكو التدخل لانهاء الحرب.

٢٨ - ٢ - ١٩٩١

٢ - سخر قائد القوات الأميركية في الخليج الجنرال شوارسكوف من القدرات العسكرية للرئيس العراقي صدام قائلاً إنه (صدام) «ليس ضابطاً ولا جندياً ولا يعرف شيئاً عن التكتيكات العسكرية».

٢٨ - ٢ - ١٩٩١

٤ - قال نائب الرئيس الأميركي دان كويل:

«ان الانتصار الذي قادته الولايات المتحدة في حرب الخليج قضى وإلى الأبد على أية تكهنات بأن الولايات المتحدة في تراجع كقوة عالمية».

وقال: «ان الأسلحة الذكية في أيدي أناس أذكياء هي التي حققت الفرقَ كله في عاصفة الصحراء. حقاً لقد فرضت

التكنولوجيا والمهارات الأميركية النصر في الحرب».

١٥ - ٣ - ١٩٩١

٥ ـ الأمم المتحدة تتعزّز

● قال السفير الأميركي لدى الأمم المتحدة توماس بيكرينغ أمس الأول ان «الامم المتحدة تعززت قوتها كثيراً من خلال معالجتها لأزمة الخليج وان نفوذها في المجتمع الدولي يمكن أن يستمر في النمو».

أضاف: «الأمم المتحدة تغيّرت جذرياً بفعل هذا الجهد، وإمكانية استمرارها بهذا الشكل تظلّ في أيدي الدول الأعضاء كما كانت دائماً».

وذكر أن «القرارات العديدة التي أدانت في البداية الغزو العراقي للكويت ثمّ فرضَتْ الحظْر وبعدها رخّصت باستخدام القوة العسكرية أظهرت أن الأمم المتحدة فعالة في تأمين الاستقرار العالمي».

وقال أيضاً: «إن التعاون الذي حققته (الأمم المتحدة) يمنحنا أساساً قوياً للاستمرار في بناء ما يسميه الرئيس (الأميركي جورج بوش) النظام العالمي الجديد وهو نظام يقوم على أساس الأمن الدولي الجماعي الذي كان إلى حد بعيد

يمثل حجر الزاوية في الجهود التي بذلناها في مواجهة عدوان العراق».

١٥ - ٣ - ١٩٩١

٦ ـ . . وعاد الأمير جابر

ـ عاد أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى بلاده أمس (الخميس ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٩١) بعد سبعة أشهر قضاها في المنفى إثر الغزو العراقي في ٢ آب الماضي.

ووصل الأمير إلى الكويت آتياً من مدينة الطائف السعودية على متن طائرة كويتية تدعى «بوبيان» تيمناً بالجزيرة التي كان يطالب بها الرئيس العراقي صدّام حسين قبل غزوه الكويت.

ونزل الأمير من سلّم الطائرة وقبّل أرض المطار، فيما تجمّع مئات من الأشخاص للترحيب به.

وكان في مقدمة المستقبلين السفير الأميركي في الكويت ادوار غنيم الذي رحّب بالشيخ الأمير قائلاً: «تهانينا وأهلاً وسهلاً بك في بلدك».

وأعرب الشيخ عقب وصوله عن سعادته لعودته إلى بلده.

ووجه سموّه الشكر إلى السعودية ودول الخليج الأخرى ومصر وسوريا والولايات المتحدة وغيرها من الدول التي

اشتركت في الائتلاف الدولي الذي طرد القوات العراقية من الكويت.

ولم يُعرف بعد المكان الذي سينزل فيه الشيخ جابر بعد أن أشعلت القوات العراقية النار بقصره قبل انسحابها، فيما تردد أن الأمير سيقيم في ضاحية النزهة القريبة من مدينة الكويت.

١٥ - ٣ - ١٩٩١

٧ ـ لتعترفْ الكويت والسعودية باسرائيل

ـ طالب أكثر من نصف أعضاء مجلس النواب الأميركيين (٢٤٠ نائباً من أصل ٤٣٥ نائباً في المجلس) الرئيس جورج بوش بالسعي لاعتراف كويتي سعودي باسرائيل. وقالوا في رسالة بعثوا بها إلى بوش:

«ان هناك فرصة تاريخية لتحقيق السلام في الشرق الأوسط. ولهذا الغرض فإننا نطالبكم بأن تضعوا الاعتراف الرسمي باسرائيل من جانب أعضاء الجامعة العربية على رأس جدول أعمالكم من أجل السلام في الشرق الأوسط.. وينبغي أن تُتخَذ الخطوة الأولى على هذه الطريق من جانب الكويت والمملكة العربية السعودية، فقد حررت الولايات المتحدة الكويت وحمت السعودية، ويجب أن نطلب من هاتين الدولتين أن تكونا على نفس الدرجة من الثبات في التزامها

بالسلام في الشرق الأوسط».

١٥ - ٣ - ١٩٩١

٨ ـ ألمانيا واسرائيل

ـ قال وزير الخارجية الألمانية هانز ديتريش غينشر لدى استقباله نظيره الاسرائيلي دافيد ليفي أمس (الخميس ١٤ - ٣ - ١٩٩١) «ان اعتراف جيران اسرائيل العرب بها هو وحده الكفيل بمنح مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط فرصة للنجاح».

وقال بيان لوزارة الخارجية الألمانية ان غينشر وليفي اعتبرا في اجتماعهما الرابع في غضون سبعة أشهر أن «فرصة حل مشاكل المنطقة يجب استغلالها الآن».

وعبّر المستشار الألماني هلموت كول، خلال محادثاته مع ليفي، عن «احترامه» لسياسة ضبط النفس التي اتبعتها اسرائيل أيام حرب الخليج، فيما توجّه ليفي بالشكر لألمانيا لـ «وقوفها بكامل ثقلها إلى جانب اسرائيل» وحيّا الزيارة التي قام بها غينشر إلى تل أبيب بعد القصف العراقي ووصفها بأنها «لفْتَةٌ جاءت في الوقت المناسب والمكان المناسب في خضم ظروف صعبة».

١٥ - ٣ - ١٩٩١

ـ وفيما عاد من الطائف أمير الكويت الشيخ جابر وحكومته إلى الوطن المدمّر والمحروق الكويت، ليعيد إليه الحياة والأمن والاستقرار، كان صدّام حسين يلملم بقايا جيشه ومعداته منكفئاً إلى جنوب العراق وشماله، ليدمّر ويحرق ما لم تدمره وتحرقه القوات المتحالفة في العراق. وإذ يتنافس المحللون والمعلقون في تقدير الخسائر والمصائب التي حلت بالكويت والعراق وكل العرب، يبرز الحديث عن حمائم وصقور في القيادة العراقية، بيد أن للظالم الأكبر صدام حسين هدفاً واحداً لا يتراجع عنه وهو تدمير الأمة العربية، من مشرقها إلى مغربها، تدميراً شاملاً كاملاً، ليتسنى له الوقوف على أنقاضها وهزائمها وعذاباتها أطول زمن ممكن.

مصطفى جحا

كتب المؤلف

- المخالب
- صدى ونغم
- أية عروبة أية قضية؟
- رسائل من خلف المتراس (١) و (٢)
- إلى امرأة واحدة
- لبنان في ظلال البعث
- يوميات تائه
- في سبيل وطن وقضية
- الخميني يغتال زرادشت
- محنة العقل في الاسلام
- أبعد من زحلة وصور
- جزيرة الكلمات: الجزء الأول
- حبيبتي ما زالت تغالب الفجر
- شاهِدُ الثعلبِ ذَنَبُه
- رسالتي إلى المسيحيين
- قاموس حرب علي ومعاوية وسباعية طلال سلمان

● نحن وصنمية التاريخ
● قضايا مشرقية
● سجين الصحراء: الفارعاملي الامام موسى الصدر
● في سبيل الشعر
● عقائد ورجال

تم طبع هذا الكتاب يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٩١، وسيتلوه كتاب «ملف السلام» أو «ما لفّ السلام في الشرق الأوسط».